

رسالة الصلاة

الشَّيْخُ الشَّامِي
الْعَلَّامَةُ زَيْنُ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ الْكَاذِمِيِّ

تَحْقِيقُ
مُحَمَّدُ عَلِيُّ قَاسِمٍ



اِسْرَارُ الصَّلَاةِ

السُّرَرُ الْعِصْلَاءُ

تأليف
الشهيد الثاني
العلامة زين الدين بن علي العاملي

تحقيق
الأستاذ محمد علي قاسم

الدارالاسلامية

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

كورنيش المزرعة، نهاية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فتح ثاني، حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
صوب: ١٤٥٦٨ - تلخس، ٢٣٢١٢ - غدير



كلمة الناشر

عزيزي القارئ .

كثيرة هي الكتب والرسائل التي تناولت موضوع الصلاة ..

وحسبك بها أنها فاتحة الكتب الفقهية ، دون استثناء ، ومبتدأ أبحاثها .

فالصلاة ، صلة وصل بين خالقٍ ومخلوقٍ ، وبها ينماز برُّ عن فاجر . . .

وبالصلاة ، تتصل أرض بسماء ، . . وتدنو بدايةً من نقطةٍ نهائيةٍ ، لتتم دائرة الكمال الإنساني ! .

● وهذا الكتاب الذي بين يديك . . .

إنه من تأليف علامة زمانه ، وموسوعي عصره ، ونادرة أوانه ، الشهيد الثاني قدس الله سره ، الذي نذر

حياته ، ودمه ، للمعرفة والحق أنى كانا . فعاشهما ، بعد
أن كان يعيش لهما ! . . .

أما الجديد فيه ، فشيئان :

- الأول : - لجهة التأليف - . فقد مزج المؤلف ، إلى
حد بعيد ، بين الصلاة بمفهومها الديني ، الفقهي ،
والصلاة ، عرفاناً ذوقياً ، وتوجهاً إشراقياً ،
واستشرافاً سلوكياً . . .

فهي ليست واجباً شرعياً دينياً ، يؤدى ضمن أطر
تشريعات فقهية . . .

ولست سلوكاً عرفانياً ، يتجاوز المريد فيه العوالم
كلها ، ليتصل بـ « واجب الوجود » مباشرة ، كي
يتحد في نهاية المطاف بجناب الحق الأقدس . . .
ولكنه مزيج فريد من هذا وذاك .

وهكذا أتى عمل المؤلف إسلامياً فذاً من طراز
رفيع ، يعتمد على صفاء قلب ، وإشراق روح ،
وشفاافية ذوق ، وصقيل إحساس مجلّو ، ولطف
مخزون رهيف . . . ليأخذ بيد القارئ ، مصعداً به
من مرقاة نور ، إلى معراج شفاافية وأضواء ،
ولألاء ، فإذا الآفاق جميعاً ، والآماد ، محراب تلاوة
وصلاة ودعاء ! . .

- الثاني : - لجهة التحقيق - . فقد تسنى لمحقق الكتاب ، الأستاذ محمد علي قاسم ، أن يقدم دراسة مستفيضة عن المؤلف ، والكتاب ، معاً ، مستعيناً بجمللة صالحة من المصادر والمراجع ، المتنوعة . فانتهى به الأمر - بالإضافة إلى غزارة المعلومات التي قدمها في تحقيقه - ، إلى وضع اليد على معلومات جديدة ، لم يفتن لها ، في حدود علمنا ، من قبل ، أحد ! ...

● وأن الدار الإسلامية التي دأبت - وستبقى - على نشر الفكر الإسلامي ، في سبيل معرفة إسلامية واسعة ، تليها نهضة إسلامية واعية إن شاء الله ، ليسعدها أن تقدم لقرائها الكرام هذا العمل الإسلامي ، الجاد ، الرصين ، إنجازاً جيداً ، في زمنٍ طغأَتْ الإنتاج فيه على سمينه ! ...

والله ، وحده ، من وراء القصد . . .

وهو يهدي السبيل ! . .

الدار الإسلامية - بيروت -

زين الدين بن علي - المشهور بالشهيد الثاني - (٩١١ هـ - ٩٦٥ هـ)

● الرجل :

حياته - سيرته الذاتية - العصر والبيئة ، والدلالة عليهما - صفاته -
نهايته - آثاره - طلابه .

هو زين الدين بن علي ، علامة زمانه ، ونادرة أوانه ، ورأس
الفقهاء فيهما ، والمتكلمين ، والعلماء ، والمحدثين .

في ١٣ / شوال / ٩١١ هـ ، فتح عينيه الصغيرتين المترأرتين على
النور ، في بلدة جباع ، جنوبي لبنان .

وأشرف أبوه على تربيته ، وتعليمه ، منذ نعومة أظفاره . فحتم
زين الدين القرآن ، وكان عمره إذ ذاك تسع سنين .

وتابع الوالد الشيخ تدريس فتاه النجيب ، المتوقد ذكاء ،
والمشتعل بديهة وخاطراً ، علم ذلك الزمان من لغة وأدب وفقه وأخلاق .

ولكن القدر لم يمهلهما ، إذ ما لبث الشيخ أن اخترمته المنية،
سنة ٩٢٥ هـ ، مخلفاً وراءه فتاه ذا الأربعة عشر ربيعاً ! . .

ولم تفتّ الفاجعة في عضد زين الدين ! . . .

ولم تحل دون توجهه العلمي . . .
 بل كان نقيض ذلك الصحيح .
 فسرعان ما عقد الفتى العزم على متابعة رحلته العلمية هذه . .
 والله يفعل بعد ذلك ما يشاء . ويحكم ما يريد ! . . .
 و« يهاجر » الفتى الغض العود ، الطري الأملود ، إلى « ميس
 الجبل » . . . فلمدرستها شهرة طائرة ، وصيت ذائع .
 وفيها التقى بالشيخ الجليل ، والحق المدقق ، علي بن عبد العالي
 الميسي . فقرأ عليه الشرايع ، والإرشاد ، وأكثر القواعد .
 وبقيَ فيها إلى جانب شيخه الجليل ، يأخذ عنه ، قرابة ثلاثة عشر
 عاماً ، . . . انتقل بعدها إلى « كرك نوح » حيث الشيخ حسن بن جعفر
 الكركي .
 وضاق به لبنان .
 فشدّ الرحال إلى دمشق سنة ٩٣٧ ، حيث محمد بن مكّي ،
 وغيره ، من أساطين العلماء وجهابذة الفحول ، فأفاد أدباً غزيراً ، وعلماً
 جماً . .
 ثم عاد إلى بلده ، فبنا عنها جنباه ، ولم يستطع فيها لبثاً ولا
 مقاماً ، فقد تمكنت في نفسه نزعة اقتناص العلم من فحوله حيث
 وجدوا .
 وعاد إلى دمشق ثانية ، حيث مكث فيها قليلاً ، . . ومنها شد
 الرحال إلى مصر حيث دور العلم . وعلى رأسها الأزهر الأنور ، وكان
 ذلك سنة ٩٤٣ هـ .
 يذكر متبعو سيرته ، وفي طليعتهم تلميذه ابن العودي ، بأنه قد

. اتفقت له في طريقه ألطاف خفية ، وكرامات جلييلة ، أشار إليها الشهيد المقدس في سيرته الذاتية ، والتي ستلي بعد قليل .

ومكث زين الدين في مصر عاماً ونصف عام ، يستمع باهتمام ، ويناقش بشغف ، ويتزود بنهم ، متنقلاً في دور العلم فيها ، كالعصفور - من فنن إلى فنن ، يحضر دروس العلم ، متنقلاً من شيخ إلى شيخ ، ومن حلقة إلى حلقة ، ومن مدرسة إلى أخرى ، حتى تمكن من استيعاب ثقافة شاملة ، متنوعة ، متعمقة ، حقاً ! .

ثم حج بعد ذلك واعتمر .

وقاده نهمه العلمي الذي لا شبع له ، ولا إرتواء ، إلى العراق عام ٩٤٦ هـ مخلفاً وراءه مجالس العلم في مصر التي ألفها والفته ، فأحبها وأحبته ، فزار العتبات المقدسة . وتوجه من ثم إلى فلسطين يأخذ عن شيوخها الأجلاء ، . . فنشدان العلم والمعرفة أصبح جزءاً من ذاته ، لا يتجزأ ! . .

ثم ، ليس طلب العلم فريضة ، . . ووجهاً ، ولا أرقى ، من وجوه العبادة ، والتقرب به إلى الله زلفى ؟ . .

ففي سبيل ذلك ، ترخص ، إذأ ، التضحيات . وتقصر المسافات . .

إنها هجرة إلى الله تعالى ! . .

وزيادة في الإستقصاء العلمي ، ونشدان المعرفة ، يمم زين الدين وجهه إلى تركيا عام ٩٥١ هـ . ومكث فيها شهوراً تسعة ، يدرس ويتدارس وفقهاءها شتى ضروب العلم والمعرفة . فالحكمة ضالته ، وهو لا يني في التقاطها مهما شط بها المزار ونأت بها الديار . وكأنما إياه عنى ابن زريق البغدادي :

كأنما هو في حل ومرتحلٍ موكل بفضاء الله يذرعه !..
وهكذا استقامت لمترجمنا ثقافة جدٌ واسعة ، وبعيدة غور
الجدور .

فطار صيته ، وعمت شهرته ، وسما شأوه . وناقلت الألسن فضلاً
له ، وعلماً !..

وضمن إطار هذه الهالة المتألقة ، قفل زين الدين عائداً إلى وطنه
الأم ، ومسقط رأسه ، عودة المظفرين .

ونزل في جبل عامل نزول الديمة السكوب . على الأرض التي
بَعَدَ عهدا بالحيا الهتون .

ويأمر السلطان سليمان القانوني في استانبول أن يُعَهَّدَ إلى الشيخ
الفقيه العائد ، بتدريس مواد الفقه ، والحديث ، والتفسير ، على
المذاهب الخمسة ، في مدرسة بعلبك ، المعروفة أيامذاك بـ « المدرسة
النورية » . وكان الشيخ قد استحصل على براءة بذلك خلال إقامته
القصيرة في العاصمة العثمانية . فمن كـ « مفتي طوائف الأمم » يتصدى
لهذا المنصب الخطير ؟ .

إنّه ، وأيم الله ، نسيج وحده ، وفريد عصره ، وقد أحاط بكل
جوانب الفقه وغيره ، من صنوف العرفان ، وضروب الحكمة ،
والمعرفة ، خُبْراً !..

ولنستمع إلى هذا العلامة العلم ، والبحر الخضم ، يحدثنا عن
حياته بلسانه ، طيب الله ثراه .

إنّها الوثيقة الأصدق قِيلاً ! وقد ارتأينا إثبات سيرته الذاتية هذه
بقلمه ، لنفاستها ، وأهميتها . قال ذو الأنفاس العطرات ، نور الله مثواه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على أشرف المرسلين ، وآله الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين .

هذه جملة من أحوالي ، وتصرف الزمان بي في عمري ، وتاريخ بعض المهمات التي اتفقت لي .

كان مولدي في يوم الثلاثاء ، ثالث عشر شوال ، سنة إحدى عشرة وتسع مئة من الهجرة النبوية .

ولا أحفظ مبدأ اشتغالي بالتعلم ، لكن ، كان ختمي لكتاب الله العزيز سنة عشرين وتسع مئة من الهجرة النبوية وسني إذ ذاك تسع سنين . واشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية والفقه على الوالد قدس الله سره ، إلى أن توفي في العشر الأوسط من شهر رجب يوم الخميس ، سنة خمس وعشرين وتسع مئة .

وكان من جملة ما قرأته عليه من كتب الفقه النافع ، مختصر الشرائع ، واللمعة الدمشقية .

ثم ارتحلت في تلك السنة مهاجراً في طلب العلم إلى « ميس » ، وكان ابتداء الإنتقال في شهر شوال من السنة المذكورة ، واشتغلت على

شيخنا الجليل : الشيخ علي بن عبد العالي قدس الله سره ، من تلك السنة إلى أواخر سنة ثلاث وثلاثين وتسع مئة . وكان من جملة ما قرأته عليه ، شرائع الإسلام ، والإرشاد ، وأكثر القواعد .

ثم ارتحلت في شهر ذي الحجة إلى كرك نوح عليه السلام ، وقرأت بها على المرحوم المقدس السيد حسن بن السيد جعفر جملة من الفنون . وكان ممّا قرأته عليه قواعد ميثم البحراني في الكلام ، والتهذيب في أصول الفقه ، والعمدة الجلية في الأصول الفقهية من مصنفات السيد المذكور ، والكافية في النحو . وسمعت جملة من الفن وغيره من الفنون ثم انتقلت إلى جبع وطني الأول ، زمن الوالد ، في شهر جمادى الآخر سنة أربع وثلاثين (وتسع مئة) وأقامت بها مشغلاً بمطالعة العلم والمذاكرة إلى سنة ٩٣٧ .

ثم ارتحلت إلى دمشق واشتغلت بها على الشيخ الفاضل المحقق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكّي .

فقرأت عليه من كتب الطب شرح الموجز النفيسي ، وغاية القصد في معرفة الفصد ، من مصنفات الشيخ المبرور المذكور ، وفصول الفرغاني في الهيئة ، وبعض حكمة الإشراق للسهروردي ، وقرأت في تلك المدة بها على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر الشاطبية في علم القراءات ، وقرأت عليه القرآن بقراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم .

ثم رجعت إلى جبع سنة ٩٣٨ ، وبها توفي شيخنا شمس الدين المذكور ، وشيخنا المتقدم الأعلى الشيخ علي في شهر واحد ، وهو شهر جمادى الأول . وكانت وفاة شيخنا السيد حسن سادس شهر رمضان سنة ٩٣٣ ، وأقامت بالبلدة المذكورة إلى تمام سنة ٩٤١ .

ورحلت إلى مصر في أول سنة ٩٤٢ لتحصيل ما أمكن من

العلوم ، واجتمعت في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الأفاضل . فأول اجتماعي بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي ، وقرأت عليه جملة من الصحيحين ، وأجازني روايتهما ، مع ما يجوز له روايته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة .

وكان وصولي إلى مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الآخر من السنة المتقدمة ، واشتغلت بها على جماعة :

(منهم) : الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي ، قرأت عليه منهاج النووي في الفقه ، وأكثر مختصر الأصول لابن الحاجب ، وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه ، منها : السعدية والشريفية . وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرهما .

فمنها شرح التلخيص المختصر في المعاني والبيان لملا سعد الدين ، ومنها شرح تصريف العربي ، ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات إمام الحرمين الجويني في أصول الفقه ، ومنها أذكار النووي ، وبعض شرح جمع الجوامع المحلي في أصول الفقه ، وتوضيح ابن هشام في النحو ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، وأجازني إجازة عامة بما يجوز له روايته سنة ٩٤٣ .

(ومنهم) الملا حسين الجرجاني ، قرأنا عليه جملة من شرح التجريد للملا علي القوشجي ، مع حاشية ملا جلال الدين الدواني ، وشرح أشكال التأسيس في الهندسة لقاضي زاده الرومي ، وشرح الجغميني في الهيئة ، له .

(ومنهم) الملا محمد الأسترابادي ، قرأنا عليه جملة من المطول ، مع حاشية السيد الشريف ، والجامي ، شرح الكافية .

(ومنهم) الملا محمد الكيلاني ، سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق .

(ومنهم) الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي ، قرأت عليه جميع شروح الشافعية فيه للجاربردي ، وجميع شرح الخزرجية في العروض ، والقوافي للشيخ زكريا الأنصاري ، وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون ، والحديث ، منها : الصحيحان . وأجازني جميع ما قرأت وسمعت ، وما يجوز له روايته . في السنة المذكورة .

(ومنهم) الشيخ أبو الحسن البكري ، سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه والتفسير ، وبعض شرحه على المنهاج .

(ومنهم) الشيخ زين الدين الحري المالكي ، قرأت عليه ألفية ابن مالك .

(ومنهم) الشيخ المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي ، محقق الوقت ، وفاضل تلك البلدة .

لم أر بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية . سمعت عليه البيضاوي في التفسير ، وغيره من الفنون .

(ومنهم) الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعي . قرأت عليه القرآن بقراءة أبي عمرو ، ورسالة في القراءات ، من تأليفاته .

(ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد أبي النجا النحاس ، قرأت عليه الشاطبية في القراءات ، والقرآن العزيز للأئمة السبعة ، وشرعت ثانياً أقرأ عليه للعشرة ، ولم أكمل الختم بها .

(ومنهم) الشيخ الفاضل الكاهل عبد الحميد السمهوري . قرأت عليه جملة صالحة من الفنون وأجازني إجازة عامة .

(ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرضي الشافعي ، قرأت عليه كتباً كثيرة في الحساب الهموائي والمرشد في

حساب الهند الغباري . والياسمينية وشرحها في علم الجبر والمقابلة ، وشرح المقنع في علم الجبر والمقابلة ، وسمعت عليه بعض شرح الوسيلة ، وأجازني إجازة عامة .

وسمعت بالبلد المذكور من جملة متكثرة من المشائخ يطول الخطب بتفصيلهم ، ومنهم الشيخ عميرة ، والشيخ شهاب الدين بن عبد الحق ، والشيخ شهاب الدين البلقيني ، والشيخ شمس الدين الديروطي ، وغيرهم .

ثم ارتحلت من مصر إلى الحجاز الشريف سابع عشر شهر شوال سنة ٩٤٣ ، ورجعت إلى وطني الأول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة ، والتمتع بزيارة النبي وآله وأصحابه صلوات الله عليهم ، ووصلت رابع عشر شهر صفر سنة ٩٤٤ ، وأقامت بها إلى سنة ست وأربعين . .

وسافرت إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام ، وكان خروجي سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٩٤٦ ، ورجوعي خامس عشر شعبان منها .

وسافرت لزيارة بيت المقدس منتصف ذي الحجة سنة ٩٤٨ ، واجتمعت في تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسي ، وقرأت عليه بعض صحيح البخاري ، وبعض صحيح مسلم ، وأجازني إجازة عامة .

ثم رجعت إلى الوطن الأول المتقدم ، وأقامت به إلى أواخر سنة إحدى وخمسين (وتسع مئة) مشغلاً بمطالعة العلم ، ومذاكرته ، مستفرغاً وسعي في ذلك .

ثم برزت إليّ الأوامر الإلهية ، والإشارات الربانية ، بالسفر إلى

جهة الروم ، والإجتماع بمن فيها من أهل الفضائل والعلوم ، والمتعلق
بسلطان الوقت والزمان ، السلطان سليمان ابن عثمان .

وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع ، ومساق الفهم ، ولكن ما
قدر لا تصل إليه الفكرة الكليّة والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق
وأحوال العواقب .

والكيس الماهر هو المستسلم في قبضة العالم الخبير القاهر .
الممثل لأوامره الشريفة ، المنقاد إلى طاعته المنيفة . كيف لا ؟ . . .
وإنما يأمر بمصلحة تعود على المأمور ، مع اطلاعه على دقائق عواقب
الأمر ، وهو الجواد المطلق ، والرحيم المحقق .

والحمد لله على إنعامه وإحسانه وامتنانه .

والحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يهمل من غفل عنه ، ولا
يؤاخذ من صدف عن طاعته بل يقوده إلى مصلحته ، ويوصله إلى بغيته .

وكان الخروج إلى السفر المذكور بعد بوادر الأمر به ، والنواهي
عن تركه ، والتخلف عنه ، وتأخيره إلى وقت آخر ، ثاني عشر شهر ذي
الحجة الحرام سنة ٩٥١ .

وأقمت بمدينة دمشق بقية الشهر ، ثم ارتحلت منها إلى حلب .
ووصلت إليها يوم الأحد سادس عشر شهر المحرم سنة ٩٥٢ ، وأقمت
بها إلى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة .

وكان وصولنا إلى مدينة قسطنطينية يوم الإثنين سابع عشر من شهر
ربيع الأول من السنة السابقة ، وهي سنة ٩٥٢ .

ووفق الله لنا منزلاً حسناً وقفاً ، من أحسن مساكن البلد ، قريباً إلى
جميع أغراضنا .

وبقيت بعد وصولي ثمانية عشر يوماً لا أجتمع بأحد من الأعيان .
ثم اقتضى الحال أن كتبت في هذه الأيام رسالة جيدة . تشتمل على
عشرة مباحث جليلة ، كل بحث في فن من الفنون العقلية والفقهية ،
والتفسير ، وغيرها . وأوصلتها إلى قاضي العسكر ، وهو محمد بن
قطب الدين بن محمد بن محمد بن قاضي زاده ، الرومي . وهو رجل
فاضل أديب ، عاقل لبيب ، من أحسن الناس خلقاً ، وتهذيباً وأدباً ،
فوقعت منه موقعاً حسناً ، وحصل لي ، بسبب ذلك ، منه ، حظ عظيم .
وأكثر من تعريفي والثناء عليّ للأفاضل .

واتفق في خلال المدة بيني وبينه مباحثة في مسائل كثيرة من
الحقائق .

وفي اليوم الثاني عشر من اجتماعي ، أرسل إليّ الدفتر المشتمل
على الوظائف والمدارس . وبذل لي ما اختاره ، وأكد في كون ذلك في
الشام أو حلب .

فاقتضى الحال أن اخترت منه المدرسة النورية ببعلبك ، لمصالح
وجدتها ، ولظهور أمر الله تعالى بها على الخصوص .

[فأعرض] لي بها إلى السلطان سليمان ، وكتب لي بها براءة ،
وجعل لي لكل شهر ما شرطه ، واقفها السلطان نور الدين الشهيد .

واتفق من فضل الله سبحانه ، ومنه لي في مدة إقامتي بالبلدة
المذكورة من الألفاظ الإلهية والأسرار الربانية ، والحكم الخفية ، ما
يقصر عنه البيان ، ويعجز عن تحريره البنان ، ويكل عن تقريره اللسان
فله الحمد المنة ، والفضل والنعمة على هذا الشأن . ونسأله أن يتم
علينا منه الإحسان ، إنه الكريم الوهاب ، المنان .

وكانت مدة إقامتي بمدينة قسطنطينية ثلاثة أشهر ونصفاً .

وخرجت منها يوم السبت ، حادي عشر شهر رجب في السنة المذكورة ، وعبرت البحر إلى مدينة اسكدار ، وهي مدينة حسنة جيدة ، صحيحة الهواء ، عذبة الماء ، محكمة البناء ، يتصل بكل دار منها بستان حسن يشتمل على الفواكه الجيدة العطرة على شاطئ البحر ، مقابلة لمدينة قسطنطينية ، بينهما البحر خاصة ، وأقامت بها أنتظر وصول صاحبنا الشيخ حسين بن عبد الصمد ، لأنه احتاج إلى التأخر عني تلك الليلة .

وكان خروجنا من اسكدار متوجهين إلى العراق ، يوم السبت لليلتين خلتا من شهر شعبان ، واتفق أن طريقنا إليها هي الطريق التي سلكتها من سيواس إلى اصطنبول .

ووصلنا إلى مدينة سيواس يوم الإثنين لخمس بقين من شعبان ، وخرجنا منها يوم الأحد ، ثاني شهر رمضان ، متوجهين إلى العراق ، وهو أول ما فارقناه من الطريق الأولى ، وخرجنا في حال نزول الثلج ، وبتنا ليلة الإثنين أيضاً على الثلج ، وكانت ليلة عظيمة البرد .

وانتهينا بعد أربعة أيام من اليوم المذكور إلى مدينة ملطية ، وهي مدينة لطيفة ، كثيرة الفواكه ، تقرب من أصل منبع الفرات . ومررنا بعد ذلك بمدينة لطيفة تسمى أرغين ، وهي قريبة من منبع الدجلة .

وكان وصولنا إلى المشهد المقدس ، المبرور ، المشرف بالعسكريين ، بمدينة سامراء ، يوم الأربعاء رابع شهر شوال ، وأقمنا به ليلة الخميس ويومه ، وليلة الجمعة .

ثم توجهنا إلى بغداد ، ووصلنا إلى المشهد المقدس الكاظمي ، يوم الأحد ، ثامن الشهر ، وأقمنا إلى يوم الجمعة . وتوجهنا ذلك اليوم لزيارة ولي الله تعالى سلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، رضي الله عنهما .

ورحلنا منه إلى مشهد الحسين عليه السلام ، ووصلنا يوم الأحد ،
منتصف الشهر المذكور ، وأقمنا به إلى يوم الجمعة .

وتوجهنا منه إلى الحلة ، وأقمنا بها إلى يوم الجمعة ، وتوجهنا منها
إلى زيارة القاسم ، ثم إلى الكوفة ، ومنها إلى المشهد المقدس
الغروي ، ووصلنا إليه يوم الأربعاء ، ثالث شهر ذي القعدة الحرام ،
وأقمنا به بقية الشهر .

وكان خروجنا من المشاهد الشريفة بعد أن أدركنا زيارة عرفة
بالمشهد الحائري ، والغدير بالمشهد الغروي ، والمباهلة بالمشهد
الكاظمي ، سابع عشر شهر ذي الحجة الحرام من السنة المتقدمة .

ولم يتفق لنا الإقامة لإدراك زيارة عاشوراء ، مع قرب المدة ،
لعوارض وقواطع منعت من ذلك . والحمد لله على كل حال .

واتفق ووصلنا إلى البلاد منتصف شهر صفر سنة ٩٥٣ ، ووافقه من
الحروف بحساب الجمل « خير معجل » . وهو مطابق للواقع .

أحسن الله خاتمتنا بخير ، كما جعل بدايتنا إلى خير ، بمنه
وكرمه .

ثم أقمنا ببلدك ، ودرّسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة ، وكثيراً
من الفنون .

وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة ، وعاشرناهم
أحسن عشرة . وكانت أياماً ميمونة ، وأوقات بهجة ، ما رأى أصحابنا في
الأعصار مثلها .

ثم انتقلنا عنهم إلى بلدنا بنية المفارقة امتثالاً لأمر إلهي سابقاً في
المشاهد الشريفة ، ولاحقاً ، في المشهد الشريف ، مشهد شيث عليه
السلام .

وأقمنا في بلادنا إلى سنة خمس وخمسين (وتسع مئة) ، مشغولين بالدرس والتصنيف^(١) . (انتهى) .

أرأيتم إلى هذا الاختصار المفيد ؟ . . وإلى اعتماد التأريخ للتقييد ؟

● وإن حُقَّ لنا أن نتوقف قليلاً ، فعند هذه الإشارات الإلهية ، والألطف الربانية ، والسوانح الرحمانية . فكان الشهيد ، رضوان الله وسلامه عليه ، يصدع بما أمره الله ، بالقول منه والفعل ، وقد سلّم أمره إليه ، في حل له ، وترحال ، ولا يبالي فله الأمر كله ، من قبل من بعد ! . .

لقد هام بالله عشقاً ، وذاب به حباً ! . فكان بين يديه تعالى كالسهم في كبد قوس الرامي ، له أن يحبسه ما شاء ، أو ينزعه متى يريد ، أو يطلقه حين يرى أن يطلقه ! . .

● وشيء آخر نفيده من هذه السيرة الذاتية العجلى ، ويتجلى بما تحمله من معلومات وثائقية قيمة عن أحوال العصر الإجتماعية والسياسية ، وعن المدارس العلمية منه وطريقة التدريس ، ومنح البراءات العلمية ، والإجازات في الرواية والتدريس والفتيا ، إلى ما هنالك . ولا مجال هنا للإستقصاء في ذلك كله ، والتوسع فيه ، مكتفين بالإشارة دون الإسهاب وفي سيرة الشهيد الذاتية ما فيه الغناء كله .

● وشيء آخر نستشفه بين السطور : إنه تواضع الشيخ الشديد ، وكأنه الفتاة الحية الخفرة تحذر حذراً شديداً أن يشار إليها ببنان . أو أن يلهج بذكرها لسان .

(١) عن : كشف الرية (المقدمة) : ٢٠ - ٢٧ .

فهو - قدس الله سره - لم يشر إلى نفسه ، لجهة حفاوة الغير به ،
أو التقدير الذي لاقاه في كل محفل ، من قريب ، أو بعيد . فكان كالظل
في حركاته وسكناته ، وغدواته وجيئاته . وإنه لكذلك ! .

فهو الظل لإرادة الله تعالى : تومىء إليه من بعيد أن سر ،
فيسير ! . .

أو تشده بخيطها العلوي ، أن قف فيقف ! . . .

أولم يرو عنه تلميذه محمد بن علي العودي بأنه كان - رضي الله
عنه وأرضاه - ينقل الخطب في الليل لعياله ، ويُمضي ما تبقى من وقته
بين تهجد في المسجد ، وتعبد ، وجلوس للتدريس ، وخلوة للتأليف
والتحريير ؟ . . . هذا ، رغم ما كان يعانيه من خوف مضنٍ وتستر أحياناً .

فيا علماء هذا الزمان : اتقوا الله في الناس وفي أنفسكم ، وانظروا
إلى السلف الصالح ، في مواقف لهم ، ومواقع ، أمام أنفسهم ، وأمام
الناس ، وأمام خالقهم ، وإلى أنفسكم : في مواقفها ، ومواقعها . . .
وإنا لله وإنا إليه راجعون ! . . .

● وتبقى ملاحظة أخيرة ، وهي أن الشهيد الثاني في تأليفه
وتدريسه ، كان مثال المربي القدير ، والعالم النفسي الخبير في تعاطيه
مع طلابه على هذا الصعيد ، وذلك قبل أن يسمع شرق وغرب بعلم
التربية الحديث المستند على علم النفس . في « منية المريد » آداب
المعلم ، والمتعلم ، وتعاطي التعليم ، والكتابة ، والكتب . . . وريادة في
التربية الحديثة ، وعلم النفس ، تدعو إلى الإندهاش . وتؤكد بوثنائية
وثيقة أن العرب المسلمين سباقون في هذا المضمار . ورواد هذا الميدان
دون منافس ! . . .

نهايته : هناك إجماع على أن السبب الرئيس المباشر لقتله ، رضوان الله عليه ، يُعزى إلى حكمه بين متخاصمين مثلاً أمامه . فقضى للذي له الحق .

فما كان من الخصم الآخر إلا أن خَفَّ مسرعاً إلى قاضي صيدا . (الشيخ معروف) يشكو تعصب الشيخ زين الدين الطائفي ، وابتداعه . وألقى الشيخ معروف (للواشي) أذنا صاغية وكتب إلى رستم باشا - وزير السلطان - دون تحقق من الأمر أو تثبت ، يؤلبه على الشيخ زين الدين . وتبنى الوزير هذا الأمر . فما انفك يسعى لدى السلطان ضده حتى انتهى الأمر بقتله ، رضي الله عنه ، عن عمر ناهز الرابعة والخمسين .

وكان مصرعه ، وهو في طريقه إلى القسطنطينية من الحج كما تقول إحدى الروايات . وإنا لنراها واهية .

فالأصح عندنا أنه ألقى القبض عليه في مكة فحبس فيها أربعين يوماً ، ثم سيق إلى القسطنطينية مخفوراً ، حيث قتل في الطريق على ساحل استانبول ، كما تقول رواية أخرى .

ويؤيد هذا الرأي عندنا أن الشهيد الثاني ، قدس الله روحه ، تخفى في بلدته عندما تأكدت له الوشاية به إلى مفتي صيدا ، ثم خرج خائفاً يترقب ، متخفياً ، إلى الحج .

فليس لمثل من في هذا الموقف من المراقبة ، والمداهمة ، والمطاردة ، أن يبرز إلى القسطنطينية يسلم نفسه إلى جلاديه .

وحمل رأس الشهيد إلى السلطان ، فغضب السلطان ، وأعلن أنه أمر بحمله إليه حياً ، لا بقتله .

وبقي الجسد الطاهر مطروحاً ثلاثة أيام . وتطوع بعض التركمان لدفنه ، وبنوا عليه قبة ، فعرف مقامه بمقام الميرزا زين الدين .

وانتقم الله من قاتله ، فقتل بأمر من السلطان . . جزاء ما اقترفت
يداه الأثيمتان .

وهكذا انتهت حياة الشهيد زين الدين ، الذي عرف بالشهيد
الثاني ، إذ سبقه إلى الشهادة أستاذه محمد بن مكي ، الذي كان الشهيد
الأول ! . .

وتتالى قوافل الشهداء ، . . وتتابع موكباً اثر موكب ، إلى أن يرث
الله الأرض ومن عليها .

أما الكلمة الأخيرة حول مصرعه ، رضي الله عنه ، فتتلخص بأن
السبب المؤدي لقتله والأسلوب الذي اتبع في ذلك ، كانا مظهرين من
مظاهر ذلك العصر .

إنَّه التعصب الذميم ، والهوى المردى . . .

أعاذ الله الإسلام ، منهما ، والمسلمين ! . .

صفاته :

ونستل من رسالة تلميذه ابن العودي بعض المقاطع التي تفي
بالغرض ، وترسم لنا صورة واضحة المعالم عن الشهيد المقدس : نفساً
وجسماً ، وعقلاً وخلقاً ، ومزايا وسجايا .

قال الطالب الفتى يصف أستاذه الشيخ :

« حاز من خصال الكمال محاسنها ومآثرها ، وتردَّى من أصنافها
بأنواع مفاخرها . .

كان شيخ الأمة وفتاها ، ومبدأ الفضائل ومنتهاها . ملك من العلوم
زماماً ، وجعل العكوف عليها لازماً ، فأحيا رسمها ، وأعلى اسمها . . .
ووزع أوقاته على ما يعود نفعه في اليوم والليلة .

هذا مع غاية اجتهاده في التوجه إلى مولاه ، وقيامه بأوراد العبادة حتى تكل قدماءه ، وهو مع ذلك قائم بالنظر في أحوال معيشتة على أحسن نظام ، وقضاء حوائج المحتاجين بأنم قيام . .

بلغ من كل فن منتهاه ، ووصل منه إلى غاية أقصاه .

أما الأدب فإليه كان منتهاه ، ورقى فيه حتى بلغ سماه ، وأما الفقه فقد كان قطب مداره ، وفلك شموسه وأقماره . . .

وأما المعقول فقد أتى فيه من الإبداع ما أراد ، وسبق فيه الأنداد والأفراد . . .

وأما علوم القرآن العزيز، وتفسيره من البسيط والوجيز ، فقد حصل على فوائدها وحازها ، وعرف حقائقها ومجازها . . .

وأما الهيئة والهندسة ، والحساب والميقات ، فقد كانت له فيها يد لا تقصر عن الآيات .

وأما السلوك والتصوف ، فقد كان له فيه تصرف ، وأي تصرف ! . .

وبالجملة ، فهو عالم الأوان ومصنفه ، ومقرط البيان ومشفه .

ولقد كان مع علورتبته ، وسمو منزلته ، على غاية من التواضع ، ولين الجانب ، وببذل جهده مع كل وارد ، في تحصيل ما يبتغيه من المطالب . . .

ولقد شاهدت منه سنة ورودي إلى خدمته أنه كان ينقل الحطب على حمائر في الليل لعياله ، ويصلي الصبح في المسجد ، ويشغل بالتدريس بقية نهاره . . . وكان يصلي العشاء جماعة ، ويذهب لحفظ الكرم ، ويصلي الصبح في المسجد ، ويجلس للتدريس والبحث ،

كالبحر الزاخر ، ويأتي بمباحث غفيل عنها الأوائل والأواخر .

وكان شيخنا المذكور ، رَوَّحَ الله روحه ، مع ما عرفت ، يتعاطى جميع مهماته بقلبه وبدنه ، حتى ، لو لم تكن إلاَّ مهمات الواردين عليه ، ومصالح الضيوف المترددين إليه ، مضافاً إلى القيام بأحوال الأهل والعيال ، ونظام المعيشة ، واتقان أسبابها ، من غير وكيل ، ولا مساعد ، يقوم بها .

وأما شكله ، فقد كان ربعة من الرجال في القامة ، معتدل الهامة . وفي آخر أمره ، كان إلى السمن أميل ، بوجهٍ صبيحٍ مدور ، وشعر سبط إلى الشقرة ما هو ، مع سواد العينين والحاجبين وكان له خال على أحد خديه ، وآخر على أحد جبينيه ، وبياض اللون ، ولطافة الجسم ، عبل الذراعين والسَّاقين ، كأن أصابع يديه أقلام فضة .

إذا نظر الناظر في وجهه ، وسمع عذوبة لفظه ، لم تسمح نفسه بمفارقته ، وتسلى عن كل شيء بمخاطبته .

تمتلىء العيون من مهابته ، وتبتهج القلوب لجلالته .

وأيم الله ، أنه لفوق ما وصفت ، وقد اشتمل من حميد الخصال على أكثر مما ذكرت^(١) .

آثاره :

كان الشهيد الثاني رضي الله عنه وأرضاه ، موسوعي المعرفة ، فكان دائرة معارف في رجل . .

أما تأليفه ، فقد اختلف في عددها .

(١) عن : كشف الرية (المقدمة) : ١٥ - ١٩

فمن مدع بأنها في حدود الألفي مؤلف ، . . إلى متته بها إلى
حدود الستين ولا ريب بأن الرقم الأول يحمل غلواً كبيراً .

وقديماً كانوا يعدون الرسالة الوجيزة في حدود الصفحة أو
الصفحتين ، مؤلفاً ، أو كتاباً .

أما آثاره التي انتهت إلينا ، فهي ، على سبيل الإجمال :

- ١ - منية المريد (في آداب المفيد والمستفيد) .
- ٢ - المسالك (في شرح شرائع الإسلام) .
- ٣ - الروضة البهية (في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الأول) .
- ٤ - روض الجنان (في شرح إرشاد الأذهان) .
- ٥ - منار القاصدين (في أسرار معالم الدين) .
- ٦ - غنية القاصدين (في معرفة اصطلاحات المحدثين) .
- ٧ - كشف الريبة (عن أحكام الغيبة) .
- ٨ - الشرائع والإرشاد .
- ٩ - غاية المراد (في شرح الإرشاد) .
- ١٠ - مختصر منية المريد .
- ١١ - المختصر النافع .
- ١٢ - فتاوى المختصر .
- ١٣ - تحقيق الإسلام والإيمان .
- ١٤ - تمهيد القواعد الأصولية والعربية .
- ١٥ - مختصر الخلاصة .

- ١٦ - فوائد خلاصة الرجال .
- ١٧ - كتاب الرجال والنسب .
- ١٨ - البداية في الدراية .
- ١٩ - الدراية وشرحها .
- ٢٠ - شرح شرائع المحقق الحلي .
- ٢١ - شرح الألفية : الكبير ، والوسيط ، والصغير .
- ٢٢ - منسك الحج الكبير .
- ٢٣ - منسك الحج الصغير .
- ٢٤ - رسالة في أسرار الصلاة (هذا الكتاب) .
- ٢٥ - رسالة مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد .
- ٢٦ - رسالة في العدالة .
- ٢٧ - رسالة في الإجتهد .
- ٢٨ - رسالة في الولاية (وأن الصلاة لا تقبل إلا بها) .
- ٢٩ - رسالة في الإجماع .
- ٣٠ - رسالة في النية .
- ٣١ - منظومة في النحو ، وشرحها .
- ٣٢ - رسالة في شرح البسملة .
- ٣٣ - رسالة في تحقيق قوله تعالى : والسابقون الأولون . . .
- ٣٤ - رسالة في شرح قوله (ص) : الدنيا مزرعة الآخرة .

- ٣٥ - رسالة في أحكام الحبة .
- ٣٦ - رسالة تشتمل على حكم صلاة الجمعة في حال الغيبة .
- ٣٧ - رسالة في الحث على صلاة الجمعة .
- ٣٨ - رسالة في الحج والعمرة .
- ٣٩ - رسالة في حكم المقيمين في الأسفار .
- ٤٠ - رسالة في طلاق الغائب .
- ٤١ - رسالة في تحريم طلاق الحائض الحاضر زوجها .
- ٤٢ - رسالة في جواز تقليد الميت .
- ٤٣ - رسالة في ميراث الزوجة .
- ٤٤ - رسالة في فنون الخلاف مع اللمعة .
- ٤٥ - رسالة في نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها .
- ٤٦ - رسالة فيما إذا أحدث المجنب في أثناء غسل الجنابة حدثاً أصغر .
- ٤٧ - رسالة إذا تيقن الطهارة والحدث ، وشك في السابق منها .
- ٤٨ - رسالة في عشر مسائل مشكلة (ألفها في استنبول) .
- ٤٩ - المسائل الإستانبولية (في الواجبات العينية) .
- ٥٠ - سؤالات الشيخ أحمد ، وأجوبتها .
- ٥١ - سؤالات الشيخ زين الدين وأجوبتها .
- ٥٢ - جواب المسائل الشامية .
- ٥٣ - جواب المسائل النجفية .

٥٤ - جواب المسائل الخراسانية .

٥٥ - جواب المسائل الهندية . . .

طلابه :

توزع وقت الشهيد - إبان استقراره ، نوعاً ما ، كما مر - بين قضاء حاجاته اليومية - إذ كان يهتم ، رضي الله عنه ، اهتماماً شديداً ، أن يقضيها بنفسه - وصلاته وأوراده ، والتدريس ، إن في المدرسة التي أنشأها في بلدة جبع ، أو المدرسة النورية في بعلبك . وعلاوة على ذلك كله ، فقد خلف وراءه نخبة صالحة من العلماء الأفاضل ، الذين تتلمذوا على يديه ، ونالوا إجازاته . منهم :

- حسين بن عبد الصمد (والد البهائي) .
- علي بن زهرة الجبعي .
- محمد بن الشيخ محمد الحر .
- علي بن زين الدين (حفيد الشهيد الأول) .
- علي بن حسين الصائغ .
- محي الدين بن أحمد بن تاج الدين الميسي .
- محمد بن الحسين الحر المشغري .
- بهاء الدين العودي .

● الكتاب : موضوعه ، مصادره ، الإقتباس فيه ، ونتائج هذا الإقتباس .

لا بدّ لنا من التوضيح بادئ ذي بدء ، بأننا قد اعتمدنا في تحقيق هذه النسخة من كتاب (أسرار الصلاة) للشهيد الثاني نور الله مشواه ، على مصورة المخطوطة ، ضمن (مجموعة الرسائل) منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي .

وقد كتبت المخطوطة بخط واضح وأنيق ، وفي بعض صفحاتها
حواش للأخوند ملا عبد الرسول، وشروحات قصار ، وتصحيحات بعضها
ترجيحات .

أما كاتبها فالسيد محمد الحسيني . كتبها في سنة ١٣٠٩ .

وكتاب (أسرار الصلاة) الذي بين أيدينا ، رسالة بالأصل .

هكذا صنفه المؤلف ، وصنفه دارسوه . أما الهدف منه فتعليمي ،
لا يبتغي غير وجه الله تعالى وذلك ، بعد أن عزت مصادر العلم
أيامذاك . وشحت موارد المعرفة ، وانقطعت الكتب على قلة من العلماء
والمتعلمين ، يضمنون بها ضناً شديداً ، ويحرصون عليها حرصاً كبيراً .

حول هذا الأمر يقول الشهيد الثاني - قدس الله سره - في رسالته ،
متطرقاً إلى المصادر التي استقى منها معلوماته ، وموضوع هذه الرسالة ،
وهدفه منها ، وموقعها من بعض رسائله المشابهة لها :

« وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها (الصلاة) ، وزبدة
من آدابها . .

وأكثرها قد وردت به النصوص عن أهل الخُصوص عليهم أفضل
الصلوات ، وأكمل التحيات . وبمراعاتها يترقى العامل من مدارجها إلى
معارج الأسرار والتجليات .

وهذه الأمور ، وإن كانت متفرقة في تضاعيف النصوص ، وكلام
الكاملين من العلماء العاملين ، لكن ، لا يكاد يجتمع أطرافها إلا عند
قليل من الأماجد ، ولا يطلع على معادنها إلا واحد بعد واحد .
فشاركتهم في ثبوتها بجمع أطرافها ومبانيها وتهذيب ترتيبها ، وتقريب
معانيها .

وصارت ، مع ذلك ، معززة للرسالتين الشريفتين اللتين اشتملت

إحداهما على واجبات الصلاة ، وهي (الألفية) ، والأخرى ، على مندوبياتها ، وهي (النلفية) ، وهذه على أسرارها القلبية ، وسميتها بالتنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية »^(١) .

والعصر - كما نعلم - ، عصر جمع وتصنيف ، لا عصر ابتكار وتأليف .

والكتاب الذي بين أيدينا يندرج ضمن هذا الإطار العام في العلم والتعلم ، والتعليم .

وهكذا اقتصر دور الشهيد ، رضي الله عنه وأرضاه ، على التنسيق بين ما اجتمع بين يديه من مواد .

والمؤلف نفسه ، يعترف بذلك ، على استحياء .

فهو لا يحدد المصادر التي استقى منها المعلومات التي أودعها كتابه ، كما مر ، معتمداً في ذلك على تلميح كالرمز ، باستثناء الإشارة إلى أهل بيت النبوة المعصومين عليهم السلام . وهذا التلميح لا نراه يغني عن التصريح شيئاً ، الأمر الذي سيؤدي ، بالتالي ، إلى نتائج تعثرها بلبله واضطراب ، كما سيتأكد لنا ذلك ، بعد حين .

ولب هذا الكتاب : أسرار الصلاة القلبية ، كما يركز المؤلف على ذلك .

وبالتالي ، فليس موضوعه فقهاً ، يخضع لمقاييس الفقه ، ومعايير أصوله ، ومنطوق أحكامه .

ولكنه ، موضوع قلبي ، من حيث القلب « لطيفة ربانية ، روحية ، يعبر عنها بالنفس ، تارة ، وبالروح ، تارة أخرى . . . » .

(١) مصور المخطوطة : ٣ .

فإذا عرفنا بأن قلب الإنسان بين أصبعين من أصابع الرحمن ،
يقلبه بهما كيفما يشاء . .

وبأنّ الروح «من أمر ربي» لم تتأطر ضمن أي أطر علمية ، أو غير
علمية . . .

إذا عرفنا ذلك كله ، وتأملناه بلحاظ البصيرة ، ونور القلب . أدركنا
كم هو خطير هذا الموضوع ، الذي لا يخضع لمقياس ، وكم هو دقيق
هذا الأمر الذي لا يدرك بالحواس .

وسادة هذا الضرب من ضروب المعرفة - كما نعلم - هم أهل
الحقيقة والعرفان ، والذوق واللفظ ، وقليل ما هم ! . .

لا أهل الشطح المهووسون ! . .

ولا أهل الفقه الجامدون ! . .

ولكنهم الآخذون من هذا الفقه ، والمعطون من ذلك الذوق
اللطيف الرهيف ، معاً . . فتوصلوا بواسطتهما إلى المعرفة الحقيقية التي
تقود بدورها إلى الإيمان المحض ، ويعزز الله ذلك في نفوسهم بالرؤيا
الصالحة ، والإشارات ، والإنخطافات ، والأطياف ، ومضات النور ،
والنقر في الأذن ، والوقر في القلب ، والتسديد ، والتأييد
فيزدادون إيماناً على إيمان ، ونوراً على نور . . .

وقد زادهم الله ، من لدنه ، هدىً على هدى ! . .

وهكذا يمضي العرفاني على بينة من أمره ، ومنهاج . . وثقة مما
هو فيه ، وما هو صائر إليه ، وفق برنامج شاء الله له ، يطبقه في حياته ،
وعلى نفسه ، تطبيقاً دقيقاً ، صارماً ، لا يحيد عنه قيد شعرة فيألي الله
عاقبة الأمور ، ويده مفاتيحها ومغالقها .

ولفائل أن يقول : ما علاقة ذلك كله في ما أنت فيه من شأن ؟ . .

وأجيب : إن لذلك وثيق العلاقة في ما نحن فيه .

وإن أسهنا في ذلك شيئاً يسيراً ، فشرحاً لبعض محطات حياة المؤلف قدس الله سره . التي مرت فصولها منذ حين ، وتسليطاً للنور عليها ، مما يكشف دواعي رحلاته ، وقد تم معظمها تلبية لسوانح إشراقية ، واستجابة لإشارات إلهية ، وإطاعة لأوامر ربانية ، يضيق عنها المقام ، ويعجز عن سبر كنهها الجنان ، ويكُلّ عن الخوض فيها اللسان ، متذكرين ، بذلك ، قول الشاعر العربي القديم ، الذي طالما استشهد به حجة الإسلام الغزالي :

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ، ولا تسأل عن الخبر

وهكذا نصل إلى ما نبتغي أن نصل إليه ، دون مواربة أو

ارتياب . . .

فمترجِّمنا ، طيب الله ثراه ، كان - بالإضافة إلى كل ما اشتهر به في مجالات المعرفة ، وميادين العلم - عرفانياً ، من طراز رفيع ، له في هذا المجال الذوقي باع طويل ، وشأوبعيد ! . . .

وبالتالي ، فللعرفان ، في هذا الكتاب الذي نحن بصدد الكتابة عنه ، شأن جد خطير ، فالكتاب ، بمجمله ، من هذه الناحية ، لذوي القلوب الصافية ، والنفوس الشفافة ، والأذواق الرهيفة ، أو لمن يجاهد في الوصول إلى هذا المستوى من صفاء القلب وشفافية النفس ، ورهافة الذوق ، وتخليصها جميعاً من رينٍ ، وكدر ، وذلك بجلائها حتى تصبح كالمرآة صقلاً ! .

مصادر الكتاب :

إذا ألقينا نظرة عجلية على مضمون الكتاب ، نجد المؤلف يعتمد اعتماداً وثيقاً على :

١ - القرآن الكريم : فالمؤلف ، في هذا المجال ، لا يتخلى عن الإستشهاد بأي الذكر الحكيم في كل مناسبة ، داعماً رأيه ، مؤيداً برهانه ، موثقاً حجته .

وليس له إلا أن يفعل ذلك .

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

٢ - الحديث : سواء أكان الحديث قدسياً ، أم نبوياً ، أم إمامياً . . والأخيران حديثا المعصوم ، لهما عند الإمامية القدر نفسه ، لا يتفاوتان . .

والمؤلف ، في استشهاده بحديث المعصوم ، يعنن الحديث في أغلب الأحيان . وقليلاً ما يذكره ، دون إسناد ، ونادراً ما يذكر مصدر الحديث . .

والغالب ، في هذا كله ، تكثيف الإستشهادات ، من أي وحديث ، وكثيراً ما يأتي ذلك كله متتابعاً ، متلاحقاً ، يأخذ بعضه برقاب بعض ، وكأن المؤلف يبغي من وراء ذلك تأكيد المعنى ، وتقديره في ذهن القاريء ، وتثبيتته في نفسه .

٣ - الأخبار : وهي في طبيعة الحال دون الحديث عدداً . وهي مؤيدة دائماً لما هو في صدره من عرض أو نقاش أو استنتاج ، ورامية أبداً إلى الوعظ والإرشاد ، والترغيب والترهيب ، في أسلوب تعليمي وعظي ، يتحول بموجبه صاحبه كأحد وعاظ المساجد ، أو خطباء الجمععات .

أما هذه الأحاديث والأخبار فمبعثرة في كتب الفقه والحديث ، وقد التقطناها من مظانها الخاصة والعامة حديثاً حديثاً ، وخبراً خبراً . إلا ما ندر ، فأشرنا إليه في موضعه ! .

٤ - مصباح الشريعة :

لم يترك المؤلف مناسبة تمر دون الإستهاد بما قاله سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام . والشهيد الثاني في استشهاده هذا ينقل الفصل بكامله عادة ، عن « مصباح الشريعة » . وقلما يكتفي بما دون الفصل .

ولن نطيل ، مدللين ، فقد أشرنا إلى ذلك في موضعه ، بكل وضوح .

فمصباح الشريعة مرجع للمؤلف أساسي وهام ، تحيطه هالة من قداسة ، وينضج بعقب الإمامة . فلآل محمد فصل الخطاب ! .

٥ - عدة الداعي ، لأحمد بن فهد الحلبي المتوفى ٨٤١ هـ : والكتاب بمجمله أخلاقي . . ونلاحظ فيه بأن الشهيد الثاني قدس الله سره قد التقط منه بعض الأحاديث والأخبار ، كما أنه استل منه بعض المقاطع ، وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه من الكتاب .

٦ - إحياء علوم الدين :

من المعروف بأن أبا حامد الغزالي (توفي سنة ٥٠٥ هـ) أحد القمم الشوامخ ، والعلماء الأعظم ، الذين تناولوا موضوع القلب الإنساني (بمعنى النفس والروح) وولجوا عالمه الرحب العميق ، وعادوا منه بنفيس الدر والجوهر .

بل نسمح لأنفسنا بأن نقول بأن صاحب « الإحياء » أعظم هؤلاء العلماء على الإطلاق ، وسيدهم دون منازع ! . . .

ولقد اعترف له فضلاء الأقدمين بأسبقيته في هذا المضممار ، فأطلقوا عليه ، وحده ، لقب : حجة الإسلام ، وإنه كذلك . فهو ، بين نظرائه ، رأس الذين حاولوا التوفيق ، في آخر مطافهم العلمي ، وجريهم وراء المعرفة ، بين الفقه والتصوف ، وصولاً إلى العرفان . فكان له ما أراد .

أما مؤلفه القيم (إحياء علوم الدين) ، فكان له وقع الحدث الضخم في العالم الإسلامي في حينه ، مما جعل مؤلفه على رأس المجددين في الإسلام .

وإننا لنجزم جزماً مؤكداً ، بأن الشهيد رضي الله عنه ، قد اطلع على هذا السفر النفيس في إحدى دور العلم التي قضى فيها ردهاً من حياته ، باحثاً منقّباً ، أو دارساً مستفيداً ، في دمشق أو القاهرة . أو بأنه تدارسه وبعض هؤلاء الشيوخ من أجلة العلماء الذين تطرق إلى ذكرهم ، في سرده لسيرة حياته ، كما سبق ، ومر معنا ، آنفاً ، كما اطلع على غيره من مؤلفات الغزالي ، دون شك . ولقد تأثر الشهيد رضي الله عنه بالغزالي (كما تأثر بالغزالي أيضاً آخرون من مشاهير علماء الشيعة) .

فقد قضى الغزالي معظم حياته سائحاً ، ينشد المعرفة ، متطلباً إياها ، حيثما شاء الله لها أن تكون ، حتى قذف الله النور في قلبه ، فقرّره ، وتفجر ، من ثم ، صدره ، بعيون العلم تفجيراً ! . . .

وكذلك كان الشهيد الثاني .

فلقد كانت سيرة حياته سلسلة من الرحلات العلمية ، في أصقاع شتى من العالم الإسلامي فهو أحد منهومين لا يشبعان : طالب علم ، وطالب مال ! . . .

باستثناء بسيط ، هو أن «صاحب الإحياء» تدرّش في بعض أيامه ،

وتصوف ، وطلق الدنيا ، وساح في أرض الله ، ثم عاد عن ذلك فيما بعد ! . .

أما زين الدين الشهيد ، فكان مهاجراً إلى الله ، مذ كان يافعاً
أمرد ، يطلبه حثيثاً ، دؤوباً ، لايني ، . . . في حلقات العلم ، وزوايا
المساجد ، ورفوف المكتبات ، حتى توجه الله بتاج السعادة ، وكلله
بإكليل الكرامة ، فاصطفاه إليه ، شهيداً سعيداً ! . .

الإقتباس عن الإحياء :

أكدنا منذ سطور بأن الشهيد الثاني ، كرم الله مشواه ، كان مطلعاً
على كتاب (إحياء علوم الدين) وغيره من مؤلفات الغزالي ، قبل أن
يصنف الكتاب الذي نحن بصدده الآن .

وقد تأثر ، رضي الله عنه ، لا بآراء حجة الإسلام ، وأفكاره ،
فحسب ، بل ، بتعابيرهِ أيضاً ! .

ونزيد ، بل تجاوز ذلك كله إلى الإغتراف من هذا البحر المحيط
دون حساب ، كما سبق وقلنا في بداية تحقيقنا للكتاب . إذ اقتبس عنه
الكثير الكثير ، لدرجة أنه كان عيالاً عليه .

ومأخذنا الوحيد على الشهيد المقدس في هذا الأمر ، هو عدم
إشارته إلى هذا الإقتباس من قريب أو بعيد ، فيخيل للقارئ بأن ما يقرأ
للشاهد ، والصحيح ، أن جزءاً قليلاً ، منه ، للشاهد ، والآخر
للغزالي .

ولقد تنبهنا لهذا الأمر الذي ما نظن أن أحداً فطن له من قبل ، في
حدود علمنا ، وقد نستثني العلامة العلم الفيض الكاشاني ، علماً بأن لنا
عليه قدس الله سره ، الملاحظة نفسها ، وستأتي بعد قليل .

وتتبعنا الشهيد في كتابه (أسرار الصلاة) الذي أوكل إلينا أمر

تحقيقه ، و قمنا بمقارنة ما جاء فيه ، مع ما جاء في بابيه في (إحياء علوم الدين) واستطعنا التوصل إلى إثبات أن حيزاً من هذا الكتاب ، كبيراً ، هو للغزالي مبنئ ومعنى .

كما تأكد لنا بشكل قاطع ، أن الإقتباس الذي نتوقف عنده ملياً ، توزع على أربعة أوجه :

الأول : النقل الحرفي .

الثاني : النقل الحرفي ، مع شيء لا يذكر من بعض زيادة أو نقصان ، إنه نقل بتصرف .

الثالث : أخذ المعنى ، وإعادة صياغته من جديد .

الرابع : الاختصار . كاختصار فصل بكامله ، مع شيء من تصرف قليل .

وللتدليل على ذلك ، والتمثيل ، نطلب الرجوع إلى الكتاب ، فقد أشرنا إلى ذلك كله في مواضعه ، معتمدين * إشارة لذلك ، والحاصرتين [. . .] في الهامش للمقتبس من كلام الغزالي ، مع تعيين موضعه من كتاب إحياء علوم الدين .

النتائج :

كم كنا نحبد ونتمنى ألا يقع علامتنا العظيم في هذا الإشكال ، فقد كان الأحرى به أن يشير إلى الإحياء ، أو صاحبه ، ولو من طرف خفي ، ولو باليسير من الإشارة . وقد تناول من الإحياء الكثير الكثير . وأقل ما كان ينبغي عليه أن يأتي على ذكره في مقدمة الكتاب كما فعل من بعده الفيض الكاشاني في كتابه الحقائق ، . . . كما كان يهتم بالإشارة إلى الإمام الصادق أو جملة من أتباع الإمام . وقد نقل عن (مصباح الشريعة) الكثير أيضاً .

وإننا إذ نطيل الوقوف أمام هذا الأمر ، ونؤكد عليه ، فلإزالة الشبهة التي خلفها الشهيد ، نهائياً ، على صعيد هذا الكتاب ، دون أن نقصد من وراء ذلك ، والله يشهد ، الطعن على أحد أعلام الإمامية ، وأوثقهم ، والذين لم يضمنوا بدمائهم يبذلونها رخيصة في سبيل دعم عقيدتهم ، وما به يؤمنون .

فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وعن الإسلام ، خير ما أعد الله لعباده الصالحين .

ونحن الذين نحيا على مائدة ما خلفوه لنا من معارف ولطائف وعلوم ، ولكننا ، عَلِمَ الله ، إذ نرفع الصوت عالياً في هذا الموقف ، فللحق ، والحق وحده ، لا نعدل به بدلاً ، ولا نرضى عنه عوضاً ، شأننا في ذلك ، شأن بعض قدماء علماء الحديث الذين قالوا بحرقه وأسف ، وهم في موقف كالذي نحن فيه :

« إننا لنرد شهادة قوم ، نرجو شفاعتهم يوم القيامة » .

ونحن من هذا القبيل ، .. وإننا لنعوذ بالله أن نكون من الظالمين ! ..

وإننا لنشعر شعوراً قوياً بأن آثراً جمّة ، وعواقب خطيرة تترتب على تجاهل شخص ما ، كلياً ، أو جزئياً ، سواء كان هذا التجاهل عن حسن نية أو سوء نية - وكلامنا في المطلق من القول - والأخطر من ذلك أن ينسب إنسان إلى نفسه ما ليس له ، أو يوحى بذلك ، أو يترك مجالاً للظن بذلك ، فلا يحصّن ما يكتب بالوضوح الصراح ، معطياً كل ذي حق حقه ، إذ للزمن بعد ذلك فعله في نفوس وفي عقول ، وقد تعاقبت أجيال وأحقاب ، فتترسخ في أذهان الناس ما يُرى للوهلة الأولى بأنه ثوابت ومسلّمات ، بينما ليست ، في واقع الأمر ، من الحقائق في شيء .

ولن نطيل في التعميمات التي ما نبغي منها إلا توطئة لما نريد الوصول إليه ، وتمهيداً .

بل ، سنفقأ عين الشبهة في هذا الأمر ، ونقطع عقدة اللبس والإيهام .

فالحق أحق أن يُتبع ، ولو كان السبيل إليه حقلاً من الألغام ! .

وسنبرهن من خلال ثلاثة كتب بين أيدينا ، تناولت هذا الموضوع ، دون أن نتوقف إلا أمام ما يعيننا مباشرة حول ما قصدنا إليه ، مبينين الشبهة كيف تتحول إلى يقين ؛ والخلف ، كيف يمضي دون تحقق أحياناً ، على آثار السلف ؛ والقول ، كيف يُعزى إلى غير قائله ؛ والفكر ، كيف يُنسب إلى غير ذويه .

١ - الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الموسوي (توفي سنة ١١١٢ هـ) :

في هذا الكتاب^(١) ، ينقل السيد نعمة الله الموسوي شطراً كبيراً من رسالة الشهيد الثاني ، رضي الله عنه ، معلّقاً أحياناً ، ماضياً في شأنه وهو يقتبس أحياناً أخرى ، لا موضحاً مصدر نقله فحسب ، بل مزهواً به ، فخوراً . فالشاهد ، قدس الله سره ، من فحول علماء الإمامية ، وكبرائها العظام ، ولم يدر الموسوي ، رحمه الله ، بأن قسماً من منقولاته ، أساسياً وهاماً ، لا يمتُّ ، تأليفاً ، إلى الشهيد ، بصلة ! . . .

٢ - أسرار الصلاة (ت) : للحجة الشيخ ميرزا جواد ملكي التبريزي (توفي سنة ١٣١٣ هـ) :

يلتقي الكتابان في موضوع واحد ، ونسق في التأليف ، واحد ،

(١) الأنوار النعمانية : ٣٤٢/٢ - ٣٧١ (نور في الصلاة) .

حتى أنّهما اشتركا بالعنوان الواحد ، « أسرار الصلاة » .

يتوكلّ التبريزي ، طيب الله ثراه ، في كتابه على سلفه الشهيد في كثير من المعاني والأفكار ، مقتبساً عنه الكثير بتصرف أحياناً ، دون الإشارة إلى مصدر اقتباسه ، كما :

« في الأحوال التي تكمل بها الصلاة ، ويحكم العقل بلزومها ، ووردت بها الشرائع ، وهي ستة :

حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء^(١) .

وقد أخذها التبريزي عن الشهيد الثاني^(٢) ، الذي أخذها بدوره عن الغزالي^(٣) ، وكذلك فعل دستغيب في ما بعد في كتابه في الصلاة^(٤) .

ويقع التبريزي في محذور آخر في نقله عن « حقائق » الفيض الكاشاني ، وما ينقل إلا عن الغزالي في إحيائه .

ونجد أنفسنا أمام « صاحب المحجة » الذي قفّى على آثار سلفه الشهيد الثاني . ونقل عن الغزالي معظم ما أودعه « كتاب الحقائق » عن الصلاة^(٥) .

ويمضي التبريزي مسترسلاً ، معللاً ، شارحاً أقوال الشهيد ، الذي (قال) ، معلقاً عليه بـ (أقول) حتى ص ١٨٥ ، وما يناقش إلا أقوال

(١) أسرار الصلاة للتبريزي (ت) : ١٢٠ و ١٨٩ و ٢١٠ .

(٢) مصور المخطوطة : ١٢٠ .

(٣) الإحياء : ١ / ١٦١ - ١٦٣ .

(٤) صلاة الخاشعين . ٦٧ - ٦٨ .

(٥) الحقائق : ٢٢٥ - ٢٤٦ .

الشهيد^(١) المنقول بعضها عن الغزالي ، والتي أشرنا إليها في موضعها من هذا الكتاب .

٣ - الآداب المعنوية للصلاة . تأليف آية الله الخميني نور الله مثواه ، تعريب وتعليق السيد أحمد الفهري :

والموضوع لا يزال واحداً ، غير أن الجانب العرفاني في هذا الكتاب ، أرقى منه في غيره من أمثاله من الكتب التي تعرضت لموضوعه ، وأسمى لجهة مراتب سلوك المريد ، وآداب هذا السلوك وأكثر شفافية ولطفاً .

أما الإشكال الذي نحن بصددده ، هنا ، فليس مصدره المؤلف، وهو أستاذ أساتيد هذا الفن ، والقمة الأعلى بينهم ، ولكن السيد الفهري وقع في بعض تعليقاته في المحذور عينه الذي وقع فيه التبريزي السالف الذكر .

إذ نقل ، دون تثبت من صحة نقله عن الفيض الكاشاني في «الحقائق» . فإن مقولة الفيض ، ليست في حقيقتها إلا اقتباساً شبه حرفي عن الغزالي^(٢) .

ونفاجاً - وما زلنا في باب تعليقات الشارح - بقوله :

قال بعض علماء الآخرة^(٣) : . .

ونتنفس الصعداء ! . . .

(١) التبريزي : في الآذان : ١٨٣ - ١٨٤ ، عن الشهيد : مصور المخطوطة : ١٩ .

التبريزي : في التشهد والتسليم : ٢٧٢ ، عن الشهيد : مصور المخطوطة : ٣٠ .

(٢) الآداب المعنوية : ٨٤ - ٨٧ ، عن الإحياء : ١٥٩/١ - ١٦٣ .

(٣) الآداب المعنوية : ١١٥ .

إذ أننا أمام إشارة وضيئة . .

وما المقصود بذلك ، إلا الغزالي في إحيائه^(١) .

ويتكرر التعبير عنه مرة أخرى^(٢) .

وما المعني بذلك إلا الغزالي أيضاً .

وفي مناسبة أخيرة نقرأ مقطعاً طويلاً :

قال الشهيد الثاني : « أو تخشين الناس . . . وتقلبك في الساجدين^(٣) .

وما هو إلا الغزالي الذي يقول^(٤) :

* * *

أرأيتم إلى المؤلف ، أو المصنف ، عندما يتجنب أحدهما التوضيح صريحاً ، ويطوي دونه كشحاً ، كيف ينعكس الأمر في آخر المطاف اضطراباً ، وبلبله ، وشبهة ، ووقوعاً في محاذير ؟

هذا إذا كان المؤلف أو المصنف عادياً ، ومن أوساط الكتاب ، . .

فكيف يكون الأمر ، إذاً ، إذا كان ثقة لا ترقى إلى عدالته ، وفقاهته الظنون ، ولا تشير إلى أمانته ، ونزاهته ، بل ، إلى تقواه ، بنان بمغمز ، ولا إشارة بمطعن ؟ . . .

كشهيدنا المقدس رضي الله تعالى عنه وأرضاه ! . . .

(١) الإحياء : ١٢٥/١ - ١٢٦ .

(٢) الآداب المعنوية : ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣) المصدر السابق . صورة المخطوطة : ٢٢

(٤) الإحياء : ١٦٦/١ و ١٦٨ و ١٦٩ .

وقلبنا الأمر على وجوهه . فمتى كانت الأمانة العلمية لا يأبه لها
أجلاء العلماء ، وتقاتهم الصالحون ؟ وكنا نتحرج ، ولا نظن إلا
خيراً . . فالصمت خير من الرجم بالغيب ، والتأني المكدي خير من
التقحم المردي ! واتهمنا أنفسنا بالقصور عن إدراك الأبعاد في ذلك
والغايات ، وقد انتهينا إلى أن الأمر لا بعدو كونه سوء تقدير من الشهيد
الثاني ، ما لبث أن أفسح في المجال واسعاً أما سوء الفهم ، والإدراك .
فكان مثال ذلك مثال الخط المنحرف انحرافاً لا يؤبه له ، وقد بدأ بثانية
من درجة زاوية ، لا تراها العين المجردة ، لينتهي فيما بعد بانحراف
خطير ! . .

وحاولنا الإطمئنان إلى ذلك ، والقناعة به والرضا ، - على بساطته
وسذاجته - ولكن ، شاء الله تعالى أن يُبدِلنا - على هذا الصعيد - القناعة
بالاقتناع ، والرضا بالثقة ، والإطمئنان القار !

فخلال تصفحنا لأثار الغزالي ، وقعنا في إحدى رسائله على
الجواب . .

ولطالما أمضنا التساؤل ، وأقلقنا الإستفسار ! . .

أما الرسالة ، فهي (منهاج العارفين) ، ضمن مجموعة (القصور
العوالي من رسائل الإمام الغزالي) .

ففي مطالعتنا لهذه الرسالة ، وقعنا على ما أثار منا عَجَباً ! . .
فها هوذا الغزالي يقتبس بدوره ، وينقل ، على هواه ، أيضاً ! .
- وعمّن ؟ - . .

- عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في كتابه الفذ (مصباح
الشريعة) ، دون أدنى إشارة أو تلميح من قريب أو بعيد إلى الإمام أو
كتابه .

إنه ، إذًا ، الجواب ! ..

فلا نخال الشهيد الثاني قدس الله سره إلا أنه قد توصل من خلال اطلاعه على آثار أبي حامد الغزالي إلى ما توصلنا إليه .

ونظن ظناً قوياً ، هو إلى اليقين أقرب منه إلى الظن ، بأن الشهيد الثاني - عطر الله مرقده - قد اطلع بالضبط على رسالة الغزالي (منهاج العارفين) ، فالرجل من طلاب المعرفة وناشدي العرفان ، أننى كانا ..

واسترعى انتباهه - كما استرعى انتباهنا - عدم تخرج الغزالي في نقله ، فلم يُرجع القول إلى مصدره ، ويرده إلى أصله ...

وراعه - كما راعنا - الإغفال التام ، عن سابق قصيدٍ وتصور وتصميم ، لذكر الإمام الصادق عليه السلام ؛ بينما على أقواله - كما سنثبت ذلك لاحقاً - ، تقوم دعائم الرسالة الأنفة الذكر ، وبنائها ، فلم يهتم أبو حامد بها ، كما اهتم في ما عدا ذلك ، بإنبات كل قول لتأثله : (أبو يزيد البسطامي ، يحيى بن معاذ ، أبو الحسين الوراق ، داود الطائي ، الفضيل ، محمد بن علي بن الساكن ...) وجميعهم من أولياء الله تعالى وعباده الصالحين .

وإنني لأتصور الشهيد الثاني رضوان الله عليه ، في هذا المقام ، وقد تميز غيظاً ، فعقد العزم على موقف مماثل ، ورد من جنسه ، وعلى المستوى ذاته ...

فكانت رسالته - فيما بعد - أسرار الصلاة ، وقد اقتبس فيها عن الغزالي ما طاب له ، مغفلاً ذكره ، وذكر من عداه أيضاً ، ممن استشهد بأقوالهم أبو حامد الغزالي .

· إنها واحدة بواحدة ، والبادئ أظلم ! ..

أما وقد توصلنا إلى هذا التفسير ، والتعليل ، واطمأننا إليهما ، . .
 فنحمد الله تعالى على ما هدانا ، فحبانا من برد اليقين ، ونعمة الثبوت ،
 والإشاحة عن ضلالة الهوى ، ومزالق الزيغان ، وقد تأكد لدينا بأننا أمام
 فحلين يتصاولان ، لا ولدين يتلاعبان ! . .

وهاكم الدليل على صحة دعوانا ، والبرهان ، كما يبينه البيان
 التوضيحي التالي ، مع الإهتمام باقتصار الإستشهادات المتمثلة بأقوال
 الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، في الصلاة وشروطها فقط، كما وردت
 في رسالة الشهيد الثاني (أسرار الصلاة) ، بعد عرضها على (مصباح
 الشريعة) رندقيها ، وما يقابلها من أقوال أبي حامد الغزالي في رسالة
 (منهاج العارفين) ، ضمن مجموعة (القصور العوالي من رسائل الإمام
 الغزالي) في الموضوع ذاته ، لا يحدونا في ذلك غير تبيان الحق
 والحقيقة ، وعلى الله قصد السبيل :

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة .	قول الغزالي .	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
في أسرار الطهارة (الطهارة)	.. وتفكر في صفاء الساء، ورقته، وطهوره، وسركته، ولطيف امتراحه بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها . ولتكن صموتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصموة الماء حين أنزله من السماء، وسماء طهوراً وطهر قلبك بالتقوى عند طهارة جوارحك بالماء .	١٣	وإذا تطهرت فمكر في صموة الماء ورقته، وتطهيره، وتطهيره . فإن الله تعالى جعله ماركاً، فقال : ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾ فاستعمله في الأعضاء التي فرض الله عليك تطهيرها ولتكن صموتك مع الله كصموة الماء . فاعسل به وجه قلبك عن النظر إلى غير الله تعالى	٨٦ - ٨٧
في أسرار ستر العورة (اللبس)	ازين اللباس للمؤمنين لباس التقوى . وأعممه الإيمان . قال الله تعالى : ولباس التقوى ذلك خير . وحير لباسك ما لا يشعلك عن الله عز وجل بل ، يقربك من شكره . وإذا لست توبك فادكر ستر الله تعالى عليك ذنوبك برحمته . .. ولا تفتضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه واشتغل بعيب نفسك، واصمح عماً لا يعينك حاله وأمره	١٤ - ١٥	اللباس نعمة من الله على عبده يستر بها الشرة . ولباس التقوى ذلك خير وخير لباسك ما لا يشغل سرك عن الله تعالى . فإذا لبست ثوبك ، فادكر محبة الله الستر على عباده فلا تفضح أحداً من الخلق ، بعيب تعلمه منه . واشتغل بعيب نفسك ، فاستره بدوام الإضطرار إلى الله تعالى في تطهيره .	٨٥

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة.	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
أسرار المكان والمصلّى (دخول المسجد)	<p>فإن سيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل ، وأوفر أسباب العقوبة في العاجل</p> <p>إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت باب ملك عظيم ، لا يطاق سباطه إلا المسطهرون . . . وأحل قلبك من كل شاغل يححك عن ربك ، فإنه لا يقل إلا الأظهر والأخلص . فإن دقت من حلالة مناحاته ، ولذيذ مخاطباته ، وشربت بكأس رحمته وكراماته ، من حس إقباله وإجاباته ، فقد صلحت لخدمته . فادخل فلك الأذن والأمان . وإلا ، فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل واسدّت عليه السبل .</p> <p>فإذا علم الله من قلبك الإلتجاء إليه ، أذن لك ، فتكون أنت بلا أنت ، والله يرحم عبده ، ويكرم ضيفه ، ويعطي سائله ، ويبر المعرض عنه ، فكيف المقبل إليه .</p>	١٦	<p>فإن العبد إذا نسي ذنبه كان ذلك عقوبة له .</p> <p>فإذا بلغت باب المسجد ، فاعلم أنك قصدت بيت ملك عظيم قدره ، لا يقبل إلا الطاهر ، ولا يصعد إليه إلا الخالص ، ففكر في نفسك : من أنت؟ ولمن أنت؟ وأين أنت؟ ومن أي ديوان يخرج اسمك؟ فإذا استصلحت نفسك لخدمته ، فادخل فلك الإذن والأمان . . وإلا ، فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل واسدّت عليه السبل .</p> <p>فإذا علم الله من قلبك الإلتجاء إليه ، أذن لك ، فتكون أنت بلا أنت ، والله يرحم عبده ، ويكرم ضيفه ، ويعطي سائله ، ويبر المعرض عنه ، فكيف المقبل إليه .</p>	٨٧

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة :	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
في أسرار القراءة (القراءة)	فانظر كيف تقرأ كتابك، ومنشور ولايتك، وكيف تحيب أوامره، وتجنب نواهيه، وكيف تتمثل حدوده . . . فرتله ترتلاً. وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروره في إضاعة حدوده.	٢٦ - ٢٧	وانظر كيف تقرأ كلامه وكتابه، فرتل وتدبر، وقف عند وعده ووعيده، وأمثاله ومواعظه، وأمره ونهيه، ومحكمه ومثابه وإني لأخشى أن تكون إقامتك حدوده (١) غفلة من تضيعك حدوده	٨٨
في وظائف الركوع وأسراره (الركوع)	فاركع ركوع خاضع لله بقلبه، متذل وجل تحت سلطانه واستوف ركوعك باستواء ظهرك. وانحط عن همتك في القيام بخدمته، إلا بعونه.	٢٧	واركع ركوع خاشع لله بقلبه، خاضعاً له بجوارحه . واستوف ركوعك، وانحط عن همتك في القيام بأمره فإنك لا تقدر على أداء فرضه إلا بعونه.	٨٩
في وظائف السجود وأسراره (السجود)	فاسجد سجود متواضع لله دليل، علم أنه خلق من تراب نطاه الخلق، وأنه ركب من نطفة سفدرها كل أحد وقد جعل الله معنى السجود الثروب إله بالقلب، والسر، والروح. فمن قرب منه، بعد عن غيره.	٢٨ - ٢٩	واسجد لله سجود عبد متواضع، عليم أنه خلق من تراب يطاه جميع الخلق وأنه ركب من نطفة يستقدها كل أحد وقد جعل الله السجود سبب القرب إليه فقال تعالى : ﴿واسجد واقترب﴾	٨٩

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة:	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة:
	<p>... فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء من دون الله، فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته.</p> <p>... وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقال الله تعالى: ما أطلع على عبد فاعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي، إلا توليت تقويمه وسياسته. ومن اشتغل في صلاته بغيري، فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين.</p>		<p>فمن اقترب منه بعد عن كل شيء سواه.</p> <p>... واستغن بالله عن غيره، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: لا أطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب العمل بطاعتي، إلا توليت تقويمه وسياسته.</p>	
في وظائف التشهد وأسواره (التشهد)	<p>التشهد ثناء على الله تعالى.</p> <p>فكن عبداً له في السر، خاضعاً له في الفعل، كما أنك عبد له بالقول والدعوى.</p> <p>... فإنه خلقك عبداً، وأمرك أن تعبد به بقلبك ولسانك وجوارحك.</p> <p>... قال الله عز وجل:</p> <p>﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ</p>	٣٠	<p>والتشهد ثناء وشكر له.</p> <p>... فأخرج عن دعواك، وكن له عبداً بفعلك، كما أنت عبد له بقولك.</p> <p>فإنه خلقك عبداً. وأمرك أن تكون له عبداً كما خلقك.</p> <p>﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وربك يخلق ما يشاء ويختار ما</p>	٩٠

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة:	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة
	من أمرهم سبحانه الله وتعالى عما يشركون». فاستعمل العبودية في الرضا بحكمه، والعبادة في أداء أوامره. وقد أترك بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته.		كان لهم الخيرة ۞ فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته واستعمل العبادة في الرول تحت أمره. وصل على حبيه عقب التناء عليه فإنه وصل محبته بمحبته، وطاعته بطاعته، ومتابعته بمتابعته	
في وظائف السلام وأسراره (السلام)	والسلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه، ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإلصاقات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم. وصحة معاشرتهم.	٣٠	السلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه الله خلقه ليستعملوا معناه في معاملته ومعاشرته خلقه.	٩١
أدب الدعاء (الدعاء)	إحفظ أدب الدعاء. وانظر من تدعو. وكيف تدعو، ولماذا تدعو. . . قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدعاء، وأنا أنتظر الحجر. واعلم أنه لو لم يكن أمرنا بالدعاء، لكننا إذا أخلصنا	٣٢	واحفظ أدب الدعاء. وانظر من تدعو، وكيف تدعو، ولماذا تدعو وتسال. قال مالك بن دينار: أنتم تستبطون المطر وأنا استبطيء الحجر. ولو لم يأمر الله سبحانه بالدعاء، لوجب علينا أن	٩٢-٩١

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة :	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
	<p>الدعاء تفصل علينا بالإجابة فكيف وقد ضمن لمن أتى شرائط الدعاء .</p> <p>سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إسم الله الأعظم، فقال: كل إسم من أسماء الله أعظم . . . فصرغ قلبك عن كل ما سواه، وادعه بأي إسم تتت، فليس في الحقيقة إسم دون إسم، بل هو الله الواحد القهار .</p> <p>وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لا . فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء، وأخلصت شرك لوجهه، فأبشر بإحدى ثلاث . إما أن يعجل لك ما سألت . وإما أن يدخر لك ما هو أعظم منه، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما لو أرسله عليك لهلك .</p> <p>... قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى: من شغله ذكرى عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . قال الصادق: لقد دعوت الله تعالى مرة واحدة، فاستجاب لي ونسيت الحاجة .</p>		<p>سعدوه . ولو لم يشترط الإجابة، لكننا إذا أخلصنا له الدعاء تفضل بالإجابة، فكيف وقد ضمن لمن أتى شرائط الدعاء .</p> <p>وسئل أبو يزيد البسطامي عن إسم الله الأعظم فقال: فرغ قلبك من غيره، وادعه بأي أسمائه تتت .</p> <p>وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يستجيب الله الدعاء من قلب لا . فإذا أخلصت، فأبشر بإحدى ثلاث: إما أن يعجل لك ما سألت، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما لو صبه عليك لهلك .</p> <p>روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: من شغله ذكرى عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . وقال أبو الحسين الوراق: دعوت الله مرة فاستجاب دعائي فنسيت الحاجة .</p>	

وبعد : فإن كلاً من الغزالي والشهيد الثاني غامط حقاً ، ومغموط
حقه ، كلاهما ظالم ومظلوم. . . .

وقبلهما الإمام الصادق مغموط حقه في ما نحن فيه ، وربما
حقوقه ، معظمها ، على صُعد آخر . .

● الغزالي غمط حق سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام ، في
ما أتى به في بعض كتبه ورسائله التي توكأ فيها على كتاب الإمام الفد :
مصباح الشريعة ، مسرفاً في ما أخذ عنه .

● والشهيد الثاني غمط حق الغزالي في بعض مؤلفاته ، وقد أشرنا
إلى ذلك آنفاً في هذه المقدمة ، وسيلي تفصيل ذلك في ثانيا هذا
الكتاب ، وتضاعيفه .

● ويتتالي فقهاء وكتاب ، فيغمطون الشهيد الثاني حقه ، وقد
أخذوا عنه بلا رخصة ، . . .

وهكذا تختلط الأقوال بعضها ببعض ، وينسب بعضها إلى غير
قائلها ، وتعزى أفكار إلى غير أصحابها .

وهذا كله في عرفنا افتتات على حقوق الآخرين ، وظلم ، وأمانة
علمية لم يرعها أصحابها حق رعايتها ، وقد أجازوا لأنفسهم ما ليس لهم
بحق ، واسترخصوا لها ما لا رخصة لهم فيه ! . . .

فانتهى الأمر بنا إلى وكأننا أمام بيدركبير ، اختلطت فيه الحنطة
بالشعير وبالزؤان . . .

فأين المنقون ؟

وأين المحصحصون ؟ . .

وإذ نرجو شيئاً فأن يكون ما قمنا به من تحقيق هذا الكتاب

المبارك ، بادرة رائدة على هذا الصعيد ، وبداية لأعمالٍ تترى لاحقة ،
وهادفة إلى أن تعطي ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ! . . وأن نكون قد
فتحنا بهذا العمل الهادف ، المتواضع ، أمام ذلك ، الباب ! . . .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ،
وَاعْفُ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الكَافِرِينَ ﴾ .

صدق الله العظيم .

محمد علي قاسم .

بيروت . في : ١٩٨٩/٧/٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مطلق من اختار من عباده الإبرار على حقائق ^{حقايق} الأشرار ومودع قلوب ضفياء من ^{لها} المعارف ما تحا رفيه البصائر والابصار فجاعل القلوب سببا للنجاة وموضعاً للمناجاة والمباراة وذريعة إلى ارتفاع الدرجات وتفاوت مراتب العبادات في قبول طوائع الأنوار من مطالع المسار وفتح بفتح العيوب فقال القلوب عن شاء واختار ورفع حجب السرائر وجلا ابصار البصائر ففهمت الاشارات ورفضت الاستار قد هشت مبادئ اشراق نوره الاحداق والانظار والصلوة على نبيّه جيبه ومعدن سر محمد النبي المختار وعلى اله الامناء الابرار وصحبه الاخيار صلوة دائمة بديوم الليل والنهار ^{ويعبد} فان ركب السعادة ونجى بها روح العباد ومجتها وموجب نفعها بايدك القبول والاحسان وعفت الثواب بها في دار الجنان والتسبب بها الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والانتساب بها الى عالم الملكوت والملائكة الغر وتلقى الفيض من عالم الغيب والشهادة واجبا بالقليل منها العظيم الزيادة انما يتم بالاقبال بالقلب في اضافها وحركاتها وسكناتها على الله تعالى والتفكير في اسرارها وهتلب النفس في خالاتها حسب اختلافها وضامها واطوارها فانها تارة صدق واخلاص وانقطاع واخصاص وتارة تكبر لله تعالى وتعبد ^{قصدا}

وَنَاء

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة .

في أسرار صلوة الجنان وظايفها

من الجميع لم يصحها إلا لأعمال الصالحة وما لا يجوز من أعمال الآخرة التي لا يجزئها له بحسب كيف قد مضت
 جلسته كيف قد تجلست عن قربة سجدة الزاوية من كل الأرض بحسب ما قد حصل له من أيام ولادته و
 شغل دنائه وتقصير أمواله وخلو مسجده وبطشه في قطع أماره بعد طول مله وكثرة حيلة في خلائقه
 بمواظاة الأسباب وعقلته عن الدخول في هذا الزراب والقدر على ما سطر عليه في الكتاب وكونه
 في القوة والشباب واستغفار الرمايين بدين الموت الذي يزعج والملاذ السريح وكيف كان يزداد
 يشبع غير من الأنوار والآثار قد تهمت وحلاه ومفاصله وكيف كان يخلق وقد هداه وكيف
 كان يحكم وقد غيبت أسنانه وكيف كان يبدل في مقامه لا يحتاج إليه عن سنيين وثقو لم يكن بدينه
 بين الموت والآخرة وأقل وهو غافل عما يراى حتى جازى الموت فجاءته في وقت من حينه فيه فصر سمعه
 بكلام الجنان وأما بالحيرة أو الكا والبطشة في نفسه أنه لأن مشرقة عقله وسكون عاقبة كما تستر في بعض
 إلى الاستعداد وليست على كذا والولد فإن المسافة بعيدة والعقبة شديدة والمختر شديد والدراة بعيد
 الموت غير أن فترة هذا الفكر وإنما لم يحصل قصر الأمل والاستعداد بصالح العمل وتجدد جوارح عن الصلوة
 كاستمرارها صلوة الذنوب المهدية نحوها فليست شعير قوتها والرهبة في العلم بها والاهتمام بها فأنها وقلة
 لعبد الله تعالى وأمثال الآخرة ولا يتم بها توفيقها إنما ليست واجبة لأصالة فقد قصبت عنها في بعض الجلال
 ولعل في فترة لوعا هذه كما من لوليت الدنيا على عمل من الأهل لا يحسب كون أبا عبد الله على هذا وجهه فلهذا
 وقامه وأما لطلبه من قربة لطلب الملك يحسن الوعد فضلا عن توكيده بالعهد فلا يتصل نظر الله تعالى ونظر
 عبده فإنه لا يخفى الغفاق والتموج الشك وهكذا بلاخذ ونظرة كل صلوة بحسب ما يمتنع بها ولذا بها
 ولا يفتقر ما يبتاه من الوفا قبل شدة نظره إلى ما يقع الله ثم عليه من العارفا وأبوابه في حقهم وأبواب
 الجود ما يطره من لذة وأصله لا يقوى لأننا نبتة على قدر استعداد ما وقفا الله وأياكم لمحق الأسرار
 وأدراجنا في عمل عبادته الأبرار وحده وإسمنا إلى رضا ورحمة ما ملنا بعقوه وكرمهم ومغفرة واستغنا
 بما علمناه واشتركا في ثواب من غناه فإنه لا من شربوله وهو حيا وبقم الوكيل وهمنا تضع الكلام في
 هذه الرهات حامدين لله تعالى على كل حال والبرق الموتية عند رب الأرباب التي نرى لها من على بن الحدا
 الحامدين لله بغير نوا سكتة بجزء يوم السبت أسبوع شهر في الحجرة الحرام سنة عشرين وخمسين وثمانين
 والحمد لله والثناء والخواطر ظاهرها طاهرها صلى الله على محمد
 ملا الطاهر بن

في أسرار صلوة الجنان

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة .



أسرار الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مطلع من اختار من عباده الأبرار ، على حقايق خفايا الأسرار ، ومودع قلوب أصفياه من لطائف المعارف ما تحار فيه البصائر والأبصار ، وجاعل القلوب سبباً للنّجاة وموضعاً للمناجاة والمبارّ ، وذريعة إلى ارتفاع الدّرجات وتفاوت مراتب العبادات في قبول طوابع الأنوار ، من مطالع المسارّ ، وفتح بمفاتيح الغيوب ، أقفال القلوب عمّن شاء واختار ، ورفع حجب السرائر وجلا أبصار البصائر ، ففهمت الإشارات ورفعت الأسرار ، فدهشت في مباني أشراق نوره الأحداق والأنظار ، والصّلاة على نبيه وحبيبه ومعدن سرّه محمد النبي المختار ، وعلى آله الأئمة الأبرار ، وصحبه الأخيار ، صلاة دائمة بدوام الليل والنهار .

وبعد فإنّ رَوْح السعادة وبهجتها ، وروح العبادة ومهجتها ، وموجب تلقّيها بأيدي القبول والإحسان ، ومضاعفة الثواب بها في دار الجنان ، والتسبب بها إلى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر^(١) والإنساب بها إلى عالم الملكوت والملائكة الغرر ، وتلقّي الفيض من

(١) إشارة إلى الحديث القدسي الذي تواترت به كتب العامة الخاصة :

« أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » : =

عالم الغيب والشهادة^(١) ، وإيجاب القليل منها لعظيم الزيادة ، إنما يتم بالإقبال بالقلب^(٢) في أفعالها ، وحركاتها ، وسكناتها ، على الله تعالى ، والتفكير في أسرارها وتقلب النفس في حالاتها ، حسب اختلاف أوضاعها وأطوارها ، فإنها تارة قصد وإخلاص^(٣) ، وانقطاع واختصاص ، وتارة تكبير لله تعالى وتمجيد ، وثناء وتحميد ، وتارة دعاء وابتهاال ، وأخرى خضوع وتسافل في حضرة ذي الجلال ، وتارة خشوع وتملل على التراب بين يدي رب الأرباب ، وتارة تجديد عهد بكلمة التوحيد وتقرير للإسلام^(٤)

= عدة الداعي : ١٠٩ و ٢٤١ ، الأنوار النعمانية : ٨٢/٢ ، الإحياء : ٣١١/٤ ، رياض الصالحين : ٦٦٧ و ٦٧٠ .

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله عز وجل : عالم الغيب والشهادة :

الغيب . ما لم يكن . والشهادة . ما قد كان : معاني الأخبار : ١٤٦ .

(٢) في الإقبال على الصلاة ، والتوجه له ، مع حضور القلب في تأديتها ، أحاديث جملة ، وجملة أخبار .

مها : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس للعد من صلاته إلا ما عقل منه . الإحياء : ٨٣/١ و ١٥٩ ، مكاشفة القلوب : ٩٢ .

وقوله (ص) . لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر فيها الرجل قلبه مع بدنه . الإحياء : ٨٣/١ و ١٥٠ ، الحقائق : ٢٢١ ، أسرار الصلاة : ١١٧ و ١٨٧ .

وهناك أحاديث كثيرة لأهل بيت النبوة عليهم السلام ، تتناول هذا المعنى ، وسترده لاحقاً .

(٣) من أقوال سهل الإخلاص . أن يكون سكون العبد وحركاته لله خاصة . كشكول الهائي : ٢٣١/٢ .

(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إما الصلاة تمسكن ، وتواضع ، وتضرع ، وتأوه ، وتنادم . وتضع يديك ، ثم تقول . اللهم ، اللهم . فمن لم يفعل فهي خداج . الحقائق : ٢٢١ ، الإحياء : ٥٠/١ و ١٥٩ ، أخرجه الترمذي والنسائي . مفتاح السنة : ٢٦٩ .

وقال (ص) في معرض كلامه عن صلاة الليل . . . لأن الصلاة تكبير وتحميد ، وتسبيح وتمجيد ، وتقديس وتعظيم ، وقراءة ودعاء . إرشاد القلوب : ١٩١ .

وقال زين العابدين عليه السلام في (رسالة الحقوق) : وأما حقوق الصلاة فإن تعلم أنها وفادة إلى الله ، وأنت فيها قائم بين يديه تعالى . .

فإذا علمت ذلك كنت حليقاً أن تقوم فيها مقام العبد الذليل ، الراغب ، الراهب ، الخائف ، =

وتذكير بالعهد القديم المأخوذ على الأناس^(١) وتارة تحية لمقرّبي حضرته بلفظ السلام ، إلى غير ذلك من دقائق الحقايق ، التي تظهر للمحصلي بفكره الصادق ، ومن ثم كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء^(٢) موجبة للمقرب^(٣) والزلفى ، كما نطق به القرآن الحكيم ، ووردت به الأخبار عن النبي^(٤) وآله^(٥) عليهم أفضل الصلاة وأكمل التسليم .

= الراجي ، المسكين ، المتضرع ، المعظم من يقوم بين يديه بالسكينة والوقار ، وحشوع الأطراف ، ولين الحناخ ، وحسن المناجاة .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ۚ قَالُوا : بَلَىٰ ! ۚ سَوْرَةُ الْأَعْرَافِ : الآية ١٧٢ .

إذ فطر الله الخلق على الإيمان به . لسان العرب : ٨٥/٥ ، فأقروا لمبدعهم بالربوبية . أربعون البهائي : الحديث الثاني . وهو أول ما وقع من العهد : عجائب القرآن ٦٦٠ . وهو يوم الميثاق ، جمع الله فيه خلقه لولاية محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ووصيه عليه السلام : الصحيفة الصادقية : ١٠٦ و ١٠٨ . الكافي : ٤١٥/٣ ، التهذيب ٣/٣ وحول هذه الآية قال العسكري عليه السلام : ثبتت المعرفة ، وسوا ذلك الموقف ، وسيدكرونة ، ولولا ذلك لم يدر أحد من حالقه ، ولا من رازقه . كشف الغمة : ٢١٠/٣ (ع . حياة المحسن العسكري . المخطوط : ٧٨) .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة . ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۚ .

(٤) عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : لا تنهاون بصلاتك فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عند موته :

ليس مني من استخف بصلاته ، ليس مني من شرب مسكراً . لا والله ، لا يرد عليّ الحوص الكافي : ٣٦٩/٣ .

وقال (ص) لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٤٨

و : من استخف بصلاته ليس مني : المصدر السابق .

و : ما بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة . أمالي المفيد : ٢٧٤

وروى أبو داود من حديث علي عليه السلام : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

الصلاة ، الصلاة ! . اتقوا الله في ما ملكت أيماكم . الإحياء : ٢١٩/٢ .

(٥) كانت آخر وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يحود بنفسه الشريفة : الله الله في الصلاة ! .

وحينئذٍ فلا بد للمكلف المستيقظ من الإقبال بقلبه عليها ، والتفكير في أسرارها والتأدب بآدابها ، وإلا كانت بمنزل الجسد من غير روح^(١) والشجرة من غير ثمرة ، والعمل من غير غاية .

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها ، وزبدة من آدابها ، وأكثرها قد وردت به النصوص عن أهل الخصوص^(٢) عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيات ، وبمراعاتها يترقى^(٣) العامل من مدارجها إلى معارج الأسرار والتجليات ، وهذه الأمور وإن كانت متفرقة في تضاعيف النصوص ، وكلام الكاملين من العلماء^(٤) العاملين ، لكن لا يكاد يجتمع أطرافها إلا عند قليل من الأماجد ، ولا يطلع على معادنها إلا واحد بعد واحد ، فشاركته في مشوبتها بجمع أطرافها ومبانيها ، وتهذيب ترتيبها وتقريب معانيها ، وصارت مع ذلك معززة للرسالتين^(٥) الشريفتين اللتين

= وعن أبي بصير ، قال :

دخلت على حميدة أعزيتها نأبي عبد الله الصادق عليه السلام . فبكيت ، فبكيت لبكاؤها . ثم قالت : يا أبا محمد ! ... لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً . فتح عينيه ، ثم قال :

- إجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة .

قالت : فلم نترك أحداً إلا جمعناه . قالت : فنظر إليهم ، ثم قال :

- إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة . أمالي الصدوق : ٤٣٤ .

(١) وهذا ما استبينه في (باب التكبير) لدى كل من الفيض الكاشاني ، وأبي حامد الغزالي .

(٢) وفي طليعتهم الإمام الصادق عليه السلام ، في (مصباح الشريعة) .

(٣) عن الإمام زين العابدين عليه السلام : الصلاة مرقاة إلى الله عز وجل : رسالة الحقوق .

(٤) وعلى رأسهم حجة الإسلام ، أبو حامد الغزالي ، وقد اغترف المؤلف رضوان الله عليه من معينه ، بلا حساب وقد أثبتنا ذلك في مواضعه من هذا الكتاب .

(٥) هاتان الرسالتان كلتاهما للشهيد الأول قدس الله سره ، وقد شرحهما الشهيد الثاني .

فشرح الألفية بشرح ثلاثة : مختصر (هوامش وحواش) ومتوسط (يتعلق بمهمات) ومطول

(مجلد كامل مزج فيه المتن بالشرح ، واشتمل على مباحث وتحقيقات) ، وشرح النلفية

بشرح متوسط سماه : الفوائد العملية بشرح الرسالة النلفية : رسالة ابن العودي . عن (كشف

الريية : ٢٩) ، حاشية الأصل : ٢ .

اشتملت إحداهما على واجبات الصلاة وهي الألفية^(١) ، والأخرى على مندوباتها وهي النفلية^(٢) ، وهذه على أسرارها القلبية ، وسميتها بالتنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية ، ورتبتها بترتيب القادمة^(٣) على مقدمة ، وفصول ثلاثة ، وخاتمة .

أما المقدمة فتشتمل على ثلاثة مطالب: الأول في تحقيق معنى القلب الذي ينبغي إحصاءه في أوقات العبادات ويسببه تفاوت مراتب العبادات في الدرجات .

إعلم* [إنَّ القلب يطلق على معنيين :

أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه ، وهذا المعنى من القلب موجود للبهائم بل للميت وليس هو المراد في هذا الباب ونظائره^(٤) .

والمعنى الثاني لطيفة ربّانية روحانية لها بهذا القلب الجسدي تعلّق وتلك اللطيفة هي المعبر عنها بالقلب تارة وبالنفس أخرى وبالروح ثالثة وبالإنسان أيضاً وهي المدرك العالم ، وهي المخاطب والمطالب والمعاتب ،

(١ - ٢) جمع الشهيد من واجباتها (الصلاة) ألفاً ، وصنف فيه الألفية ، ومن مندوباتها ثلاثة آلاف وصنف فيه النفلية . أسرار الصلاة (ت) : ١١٣ .

وذلك انطلاقاً من قول الإمام الصادق عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف حد .

وقول الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف باب .

وسيرد الحديثان لاحقاً .

(٣) أي : الرسالة الألفية .

(*) ما بين الحاصرتين [إعلم : أن القلب يطلق .. كما لا يخفى] مقتبس عن

الإحياء : ٣/٣ و ٥

(٤) مثله في : روضة الطالبين : ١٣٤ - ١٣٥ .

ولها علاقة مع القلب الجسداني وقد تحير عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته وإن تعلّقه به يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان وشرح ذلك يخرج عن غرض الرسالة .

وحيث يطلق القلب في الكتاب والسنة فالمراد منه هذا المعنى الذي يفقه ويعلم ، وقد يكتفى عنه بالقلب في الصدر ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(١) وذلك لما عرفت من العلاقة الواقعة بينها وبين جسم القلب، فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له، ولكنها تتعلّق به بواسطة القلب . فتعلّقها الأول بالقلب وكأنّه محلّها ومملكتها وعاملها ومطيّتها .

ولذلك شبّه بعض العلماء^(٢) القلب بالعرش والصدر بالكرسي . وأراد به أنّه مملكته والمجري الأولى لتدبيره وتصرفه . فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسيّ بالنسبة إلى الله تعالى .

ولا يستقيم هذا التشبيه إلّا من بعض الوجوه كما لا يخفى [.

وهذا المعنى من القلب في الجسد بمنزلة الملك وله فيه جنود^(٣) وأعوان وأضداد^(٤) وأوصاف^(٥) وله قبول للإشراق والظلمة ، كالمرآة الصافية^(٦)

(١) سورة الحج : الآية ٤٦ .

(٢) إنه المتصوّف العارف : سهيل التستري . الإحياء : ٥/٣ و ١٠ .

(٣) له جندان : جند يرى بالأبصار ، وجند لا يرى إلّا بالبصائر وهو في حكم الملك ، والجنود في حكم الخدم والأعوان . روضة الطالبين : ١٣٧ ، الإحياء : ٥/٣ و ٦ . وللقلب جند آخر : وهو العلم والحكمة والتفكير . المصدر السابق .

(٤) هما جند الغضب والشهوة إذا استعصيا وتمردا . وهما معاً ، النفس الأمانة بالسوء : المصدر السابق .

(٥) إن الإنسان قد اصطحب في خلقه وتركيبه أربع شوائب ، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواعٍ من =

التي تقبل انطباع الصور والأشكال المقابلة لها، وتقبل الظلمة والفساد والبعد عن الأعداد لذلك بسبب العوارض الخارجة^(١) المنافية لجوهرها. وربما وصل إشرافه واستنارته إلى حدّ يحصل فيه جليلة الحق^(٢) وتنكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب، وإلى مثل هذا القلب أشار بقوله (صلى الله عليه وآله) : « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه »^(٣).

وبقوله (صلى الله عليه وآله) : « من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ »^(٤).

[ومثال* الآثار المذمومة الواصلة إليه المانعة له من الإستنارة وقبول الإشراف، مثال دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة ولا تزال تتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسودّ ويظلم ويصير بالكلية محجوباً^(٥) عن الله تعالى وهو الطبع^(٦) والرّين^(٧) اللذان أشار الله تعالى إليهما في قوله : ﴿ أن لو نشاء

= الاوصاف ، وهي : الصفات السبعية ، والهيمية ، والشيطانية ، والربانية .
وكل إنسان في شوب (أي : مزيج) من هذه الأصول الأربعة ، وكل ذلك مجموع في القلب .
الإحياء : ١٠/٣ و ١١ .

(٦) للغزالي الفضل في نشر تشبيه صفحة القلب بالمرآة المجلوة ، على نطاق واسع .
(١) وهي خمس - كما يراها الغزالي - . الإحياء : ١٣/٣ - ١٥ .
(٢) القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق : المصدر السابق .
(٣) الحديث : إذا أراد الله بعبد خيراً . الإحياء : ١٢/٣ . أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

(٤) الحديث : من كان له من قلبه واعظ . . . لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما تفرد بروايته الغزالي في الإحياء : ١٢/٣ . وورد في (فصل في الوعظ والزهد) ، مجهولاً . كنز الفوائد : ٣٠٤/١ .

والحق ، أنه من كلم أمير المؤمنين عليه السلام . النهج : ٢٠/٤ .
(*) ما بين الحاصرتين : [ومثال الآثار المذمومة . . . أسود منكوس] مقتبس عن الإحياء : ١٢/٣ .

(٥) من الآية : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ . سورة المطففين : الآية ١٥ .
(٦) الطبع ، ما يطبع على القلب ، ويختتم به . من قوله تعالى :
﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم . . . ﴾ سورة محمد : الآية ١٦ ، وسورة النحل :
الآية ١٠٨ .

=

أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴿١﴾ .
 ربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى ﴿٢﴾ في
 قوله : واسمعوا ﴿٣﴾ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴿٤﴾ .
 وقال تعالى : ﴿٥﴾ كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴿٦﴾ .
 فمهما تراكت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى عن إدراك
 الحق ، وصلاح الدين ، ويتهاون بالآخرة ، ويستعظم أمر الدنيا ، ويصير
 مقصور الهم عليه ، وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل
 من أذن وخرج من أخرى ﴿٧﴾ ، ولم يستقر في القلب ، ولم يحركه إلى التوبة
 والتدارك . وهذا هو معنى اسوداد القلب ﴿٨﴾ بالذنوب كما نطق به القرآن
 والسنة كما في قوله (صلى الله عليه وآله) : « قلب المؤمن أجرد فيه سراج

= (٧) الرئيس : صدأ يعلو الشيء الجميل . المفردات في غريب القرآن : ٢٠٨
 وهو ، ها ، ما أخذناه عن العزالي آنفاً .

(١) سورة الأعراف : الآية ١٠٠ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : التقوى ها هنا . . . وأشار إلى القلب ، أو
 الصدر الإحياء ٤٣/٣٠ أخرجه مسلم . وعندما سئل الصادق عليه السلام عن التقوى ،
 قال : أن لا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك . عدة الداعي : ٣٠٣ .

(٣) الآية . ﴿٩﴾ واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم ﴿١٠﴾ : سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٤) سورة المطففين : الآية ١٤ .

(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

كان أبي عليه السلام يقول : ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة إلا القلب ليواقع الخطيئة ،
 مما ترال به حتى تلعب عليه ، فيصير أعلاه أسفله . الكافي : ٢/٢٦٨ ، أمالي
 الصدوق : ٣٥٦ ، وأول من فجر هذه المعاني ، وأخذها التالون عنه ، أمير المؤمنين عليه
 السلام إذ قال : إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء . فإذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى
 يبيض القلب كله . وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء ، فإذا انتهك المحرمات ، زادت حتى يسود
 القلب كله ، فيطبع على قلبه ، فذلك الختم . وتلا : ﴿١١﴾ كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا
 يكسبون ﴿١٢﴾ . الحقائق . ٥٣ .

(٦) وهو الطبع ، أو الرين ، أو الختم . وقد مر ذلك كله .

يزهر وقلب الكافر أسود منكوس» [١].

وقول الباقر (عليه السلام) : « إن القلوب ثلاثة : قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه يختلجان فأيهما كانت منه غلبة غلب عليه ، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة » [٢].

فانظر إلى قوله (عليه السلام) : « لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة » فإن هذا حكم نور القلب بالمعنى الثاني لأنه باق وإن خرب البدن بخلاف الأول كما حقق في موضع آخر وروى زرارة (٣) عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإن أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً » [٤] وهو قول الله عز وجل : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

(١) الحديث : قلب المؤمن أحرد . . . الإحياء : ١٢/٣ - أخرجه أحمد والطبراني - الأسوار النعمانية : ٣٢٧/٢ .

(٢) الحديث : إن القلوب ثلاثة . . المصدران السابقان (مع بعض اختلاف في اللفظ) ، الكافي : ٤٢٣/٢ . الحقائق : ٥٣ .

(٣) زرارة بن أعين الشيباني . من الذين أحيوا ذكر أهل البيت عليهم السلام ومن حواربي محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهما السلام . قال فيه أبو عبد الله عليه السلام :

رحم الله زرارة بن أعين لولا زرارة لاندست آثار النبوة .

وعنه عليه السلام فيه : ما أجد أحداً أحيأ ذكرنا ، وأحاديث أبي عليه السلام ؛ إلا زرارة ، وأبو بصير المرادي ، ومحمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية . ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هدىً .

هؤلاء حُفَظَ الدين ، وأمناء أبي على حلال الله وحرامه ، وهم السابقون إلينا في الدنيا والآخرة . الإختصاص : ٦٦ ، التحرير الطائوسي : ١١٥ .

له كتب ، أشهرها صحيحته في الصلاة . توفي سنة ١٥٠ هـ بعد الصادق عليه السلام .

(٤) الحديث : ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء . . . الكافي : ٢٧٣/٢ و ٤٢٣ ، =

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

[فأخبر* أن جلاء القلب يحصل بالذكر وإن المتقين هم المتذكرون .
فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر] (٢) .

واعلم أن القلب مثال حصن والشیطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة بواب الحصن ومدخله ومواقع تهمة، فينبغي الإهتمام بمعرفة ذلك (٣) وتفصيله مما يطول الكلام فيه ويخرج عن الغرض والأمر الجامع له الإقبال على الله تعالى. وتحيل أنك واقف بين يديه فإن لم تكن تراه فإنه يراك كما ورد في الخبر (٤) .

= الإختصاص ٢٤٣ ، سر الصلاة : ٨٠ .

ولأبي عبد الله عليه السلام ما هو قريب منه . الكافي : ٢١٤/٢ و ٢٧١

وقريب منه لميمون بن مهران . الإحياء : ١٢/٣ .

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٠١

(*) ما بين الحاصرتين : [فأخبر أن جلاء القلب . . . الفوز] . مقتبس عن الإحياء : ١٢/٣

(٢) الأكثر : وردت بقاء الله تعالى : المصدر السابق .

(٣) ورد هذا التشبيه عند الغزالي كما يلي : أعلم ، أن الدن كالمدينة ، والعقل ، أعني المدرك من الإنسان ، كملك مديرتها وقواه المدركة . . كجنوده وأعدائه ، وأعضاءه كرعيتيه ، وأسس الأمانة بالسوء ، التي هي الشهوة والغضب ، كعدوينازعه في مملكته ، ويسعى في هلاك رعيتيه . فصار يده كرباط وثغر ، ونفسه كميم فيها مرايط . الإحياء : ٧/٣ ومواقع تهمة : نقاط الضعف فيه .

(٤) الحديث : أعد الله (أو . خف الله ، أو ، إخش الله) كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك واعلم أن أول عادة الله المعرفة به . من وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي در :
مكارم الأخلاق . ٤٥٩ ، الكافي : ٦٨/٢ ، أربعون البهائي ١٥٦ ، إرشاد القلوب ١٢٨ ، الأنوار النعمانية ١٠ / ٢٦٠ ، سر الصلاة : ٢٦ و ١٥٧ ، الآداب المعسوية : ٨٠ ، ٢٨١ ، اللمع : ٨٢ و ١٠٠ و ٥٤٥ ، الإحياء : ٣٩٧/٤ ، روضة نقائس ١٤٧٠ . مختصر الترغيب والترهيب : ٢٩ .

وفي إقبال القلب وتوجهه أحاديث كثيرة ، منها : ما روي عن زين العابدين عليه السلام : =

فإذا شعرت بذلك وتحققته وعلمت به انسدت الأبواب دون وساوس اللعين وأقبل القلب على الله تعالى وتفرغ للعبادة .

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) : « إِنَّ العبد إذا اشتغل بالصلاة جاءه الشيطان وقال له : أذكر كذا أذكر كذا حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى » (١) .

ومن هاهنا ظهر لك أَنَّ مجرد التلفظ بالذكر باللسان ليس هو الزاجر للشيطان بل لا بدّ معه من عمارة القلب بالتقوى ، وتطهيره من الصفات المذمومة ، التي هي أعوان إبليس وجنوده ، وإلا فالذكر من أقوى مداخل الشيطان وكذلك غيره من العبادات ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

فخصّص ذلك بالمتقي ، وتأمل أنت في منتهى ذكرك وعبادتك ، وأفضل أعمالك ، وهو الصلاة ، فليس الخبر كالعيان ، فراقب قلبك إذا كنت في الصلاة كيف تتجاذبه (٣) الشياطين في الأسواق والبساتين ، وحساب المعاملين ، وجواب المعاندين وغيرهم ، وكيف تمرّ بك في أودية الدنيا ومهاالكها حتى أنك لا تتذكر ما نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ، ولا تزدهم الشياطين على قلبك إلا إذا صليت فلا جرّم لا يطرد عنك الشيطان بمجرد صورة العبادة وإن نادى بها الواجب عليك ، وخرجت عن عهدة الأمر الإلهي ، بل لا بدّ في دفعه مع ذلك من أصول أخرى ، وإصلاح

= إن العبد لا يقبل من صلاته ، إلا ما أقبل عليها من قلبه . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٥٨ : وغيره ، مما سيرد بعد حين .

(١) الحديث : إن العبد إذا اشتغل بالصلاة . . . رياض الصالحين : ٣٩٩ (رواه البخاري ومسلم) وسيرد الحديث لاحقاً بشكل آخر .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٠١ .

(٣) التطارد بين جندي والملائكة والشياطين في معركة القلب ، دائم ، إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ، ويستمكن ، ويكون اجتياز الثاني اختلاصاً . الإحياء : ٢٨/٣ .

الباطن من الرذائل التي هي أعوانه وجنوده وإلا لم يزد إلا ضرراً، كما أت الدواء قبل الإحتماء لا يزيد المريض إلا مرضاً وألماً . وبعد ذلك يتّصف بالفضائل . وحينئذ يصير قلبه قابلاً للإقبال مشفقاً من التفريط والإهمال . قال الله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) .

فاجعل هذه العلامة بينك وبين استقامة قلبك وإقباله ، أوقفنا الله وإياك على بساط الإستقامة بمحمد وآله .

ولنقتصر من بحث القلب على هذا القدر مناسبة للإختصار .

في اعتبار حضور القلب في العبادة

المطلب الثاني : في الإستشهاد على ما ينبغي من إحضار القلب في حال العبادة سيما الصلاة التي هي عمود الدين (٢) ورأس الأعمال .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٤) .

(١) الآية : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ سورة الرعد : الآية ٢٨ .

العياشي . عن الصادق عليه السلام . بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تطمئن ، وهو ذكر الله وحجابه .

القمي : الذين آمنوا الشيعة وذكر الله . أمير المؤمنين والأئمة (حاشية الأصل : ٥) .

(٢) الحديث الصلاة عماد الدين . مكارم الأخلاق : ٤٦٢ ، عوارف المعارف : ٣٠٤ ، وبمعناه مع تغيير مواقع اللفظ ، التهذيب : ٢٣٧/٢ .

(٣) سورة المؤمنون . الآية ٢

(٤) سورة الماعون : الآية ٥ .

عن محمد بن الفضيل ، قال : سألت عدداً صالحاً (الإمام الصادق عليه السلام) ، عن قول الله عز وجل ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ ، قال : هو التصييع . الكافي ٣٠٨/٣ . وفي رواية . الترك لها ، وفي أخرى : تأخيرها لغير عذر ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٦١ . =

ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لأنهم سهوا عنها وتركوها
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ (١) .
أي يفعلونه في حال وجل قلوبهم والإتصاف بالوجل حالة العمل
مستلزم بحضور القلب على أتم وجه .
وقال النبي (صلى الله عليه وآله) : « الصلاة ميزان من وفى
استوفى » (٢) .

وقال : « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٣) .

وقال (صلى الله عليه وآله) في فضل إتمامها : « إنّ الرجلين من
أمّتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإنما بين صلاتيهما ما بين
السّماء والأرض » (٤) .

= وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربع مئة ، يعي : غافلين . تحف
العقول : ٧٩ .

(١) سورة المؤمنون : الآية ٦٠ .

(٢) الحديث : الصّلاة ميزان . من وفى استوفى . الكافي : ٣/٢٦٧ ، الإحياء : ١/١٧٤ .

وعن سلمان : الصلاة مكّيال فمن وفى استوفى له . لسان العرب : ١٧/٥ ، كشكول
البهائي : ٣/٣٦٩ .

قال الفيض قدس الله سره في شرح هذا الحديث :

الأظهر أن يكون المراد أنها معيار لتقرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى ، ومنزلته لديه ،
واستحقاقه الأجر والثواب منه عز وجل . فمن وفى بشروطها وآدابها ، وحافظ عليها كما
ينبغي ، استوفى بذلك تمام الأجر والثواب ، وكمال التقرب إليه سبحانه ، ومن نقص ، نقص
بذلك بقدر ما نقص .

أو المراد أنها معيار لقبول سائر العبادات . فمن وفى بها كما ينبغي ، قل سائر عباداته
واستوفى أجر الجميع . (حاشية الكافي : ٣/٣٦٨) .

(٣) الحديث : أعبد الله كأنك تراه . . تقدّم .

(٤) الحديث : إنّ الرجلين من أمّتي يقومان في الصلاة . . الإحياء : ١/١٤٨ - أخرجه ابن
المجبر - الآداب المعنوية : ٨١ .

وقال (صلى الله عليه وآله) : « أما يخاف الذنء ، يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار »^(١) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ذنوبه »^(٢) .

وعنه (صلى الله عليه وآله) : « من حبس نفسه في صلاة فريضة فأتم ركوعها وسجودها وخشوعها ثم تجدد الله عز وجل وعظمه وحمله حتى يدخل وقت صلاة فريضة أخرى لم يقطع بينهما، كتب الله له كأجر الحاج المعتمر وكان من أهل عليين »^(٣) .

وعنه (صلى الله عليه وآله) : « إن من الصلاة لما يقبل نصفها وثلاثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإن منها لما تلفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وإثم لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك »^(٤) .

(١) الحديث : أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة ... الإحياء : ١٤٨/١ - أخرجه ابن عدي - وورد بلفظ مختلف : المصدر السابق، الحقائق : ٤٧ ، الآداب المعنوية : ٨١ .

(٢) الحديث . من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما شيء ... الحقائق : ٢٢١ ، الآداب المعنوية : ٨١ ، مكاشفة القلوب : ٣١٤ ، وتمتته في الإحياء : غفر له ما تقدم من ذنبه : ١٥٠/١ - أخرجه ابن شية -

وقريب منه في : تنبيه الغافلين : ١٠٢ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام حديث بمعناه الكافي : ٢٦٦/٣ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٣٦٠ .

(٣) الحديث : من حبس نفسه في صلاة فريضة ... الفقيه : ١٣٦/١٠ ، مكارم الأخلاق : ٤٢٧ .

وقد رويت عنه (ص) أحاديث شبيهة به في : التهذيب : ٢٣٧/٢ ، تحف العقول : ٣٩ ، الكافي : ٣٥٧/٢ ، اللمع : ٢٠٨ ، كنوز السنة : ٢٧٦ .

(٤) الحديث : إن من الصلاة لما يقبل نصفها، وثلاثها وربعها ... الإحياء : ١٦١/١ ، مكاشفة القلوب : ٣١٣-٣١٤ ، سر الصلاة : ٦٠ ، الآداب المعنوية : ٨١ ، وقريب منه في عوارف المعارف : ١٦٧ ، الإحياء : ١٦١/١ . ولأبي جعفر عليه السلام حديث قريب منه بروايتي =

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إذا قام العبد المؤمن في صلاته فنظر الله إليه ، أو قال : أقبل الله عليه ، حتى ينصرف ، واطلته الرحمة من فوق رأسه إلى أفق السماء والملائكة تحفه من حوله إلى أفق السماء ، وكل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول أيها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ، ما التفت ولا زلت من موضعك أبداً » (١) .

وقال الصادق (عليه السلام) : « لا تجتمع الرغبة والرغبة في قلب إلا وجبت له الجنة . فإذا صليت فأقبل بقلبك على الله عز وجل فإنه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عز وجل في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيده مع مودّتهم إياه بالجنة » (٢) .

= محمد بن مسلم ، وأبي بصير ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٥٥ ، الحقائق : ٢٢٣ .
(١) الحديث : إذا قام العبد المؤمن في صلاته ، نظر الله إليه . . . الإختصاص : ٦٢ ، مكارم الأخلاق : ٤٦٢ ، عدة الداعي : ١٥٥ ، الآداب المعنوية : ٨١ ، الإحياء : ١٠ / ١٦٨ (بمعناه) .

ولأبي جعفر عليه السلام حديث قريب منه . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٤٨ .
(٢) الحديث : لا تجتمع الرغبة والرغبة في قلب إلا وجبت له الجنة . . (وروي في نهاية الحديث : . . بالمحبة له ، بعد حب الله إياه) . أمالي المفيد : ١٥ ، أسرار الصلاة (ت) : ١٩٨ ، الحقائق : ٢٢٤ ، الآداب المعنوية : ٨١ . وقد ورد بعضه في الفقيه : ١٣٥ / ١ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٣٦٠ .
وقريب منه :

أ- الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عجائب القرآن . ١٤٣ ، وفي الإحياء : ١٧٠ / ١ .

ب- الحديث المروي عن أبي جعفر عليه السلام : الكافي : ٦٧ / ٢ و ٧١ .

ج- الحديث المروي عن أبي عبد الله عليه السلام : الكافي : ٧١ / ٢ ، أمالي المفيد : ١٩٥ ، عدة الداعي : ١٥٠ ، سر الصلاة : ١٥٧ .

د- كلام بعض السلف ، اللمع : ٩١ .

هـ- قول مطرف بن عبد الله : الحكمة الخالدة : ١٦٣ .

وعن أبي حمزة الثمالي^(١) قال رأيت علي بن الحسين (عليهما السلام) يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته . قال : فسألته عن ذلك . فقال : ويحك أتدري بين يدي من كنت ؟ إنّ العبد لا يقبل منه صلاة إلّا ما أقبل فيها بقلبه ، فقلت : جعلت فداك هلكنّا ، فقال : كلاً إنّ الله يتم ذلك بالنوافل^(٢) .

وعن الفضيل بن يسار^(٣) عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) أنّهما قالا : إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه فيها فإنّ أوهمها كلّها أو غفل عن آدابها لفت فضرّب بها وجه صاحبها^(٤) .

وروى زرارة^(٥) عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « إذا قمت في الصلاة فعليك بالأقبال على صلاتك فإنّما لك منها ما أقبلت عليه بقلبك ولا تعبث فيها بيدك ولا برأسك ولا بليحتك ولا تحدّث نفسك ولا تتشأّب فيها ولا تمطّ الحديث »^(٦) .

(١) أبو حمزة الثمالي : ثابت بن دينار ، الأزدي ، الكوفي ، صاحب الدعاء المشهور ، روى عن الفضيل بن شاذان . قال فيه الإمام الرضا عليه السلام : أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي [وفي رواية : كلقمان] في زمانه وذلك أنه خدم أربعة منا : علياً بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر . كان كوفياً ، وكان أبساؤه : علي والحسين ومحمد ثقة كاملين توفي سنة : ٥٠ هـ . بعضه عن : التحرير الطاووسي . ٦٢ و ١٧٧ .

(٢) الحديث : إن العبد لا يقبل منه صلاة . . . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٥٨ ، مع اختلاف يسير في اللفظ . وقد مر . كشكول البهائي : ١٦٥/٢ .

(٣) الفضيل بن يسار : النهدي ، مولى ، وأصله كوفي نزل في البصرة . ثقة ، جليل القدر روى عن كل من : أبي جعفر ، وأبي عبد الله عليهما السلام . مات في حياة الثاني ، الذي قال فيه بعدما ترحم عليه : هو منا أهل البيت . جامع الرواة : ١١/٢ .

(٤) الحديث : إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه فيها ، فإن أوهمها كلّها . . . (أي : رفعها في حالة الوهم والغفلة) ورد في الآداب المعنوية : ٨١ .

(٥) زرارة . تقدم التعريف به .

(٦) الحديث : إذا قمت في الصلاة ، فعليك بالأقبال على صلاتك فإنّما لك منها ما أقبلت عليه =

وروى الحلبي^(١) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « إذا كنت في صلاتك فمليك بالخشوع والإقبال على صلاتك فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ »^(٢) .

وعنه ، (عليه السلام) قال : « كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا قام في الصلاة تغير لونه ، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً . وكان (عليه السلام) إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حركت الريح منه »^(٣) .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها . إن الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول : حفظتني حفظك الله . وإذا ارتفعت في غير وقتها ، بغير حدودها ، رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول : ضيعتني »

= بقلبك . من حديث طويل لأبي جعفر عليه السلام الوسائل (كتاب الصلاة) ٣٥٨ ، وينسب بعض الحديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الفقيه ١٩٨/٠ .

(١) الحلبي : هو الشيخ الثقة الصدوق ، عبيد الله بن أبي شعبة الحلبي صنف الكتاب المشهور المنسوب إليه وعرضه على مولانا الصادق عليه السلام ، فصحه واستحسنه ، وقال عند قراءته : ليس لهؤلاء في الفقه مثله الكنى والألقاب : ١٨٨/٢ (٢) سورة المؤمنون : الآية ٢ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : الخشوع زينة الصلاة : كثر الفوائد : ٢٩٩/١ . وقد توقف المحقق الكاشاني ، قدس الله سره ، في : المحجة البيضاء ، أمام الخشوع في الصلاة ، فرآه قسمين : الخشوع القلبي ، و خشوع الجوارح أما الخيمي ، أعلى الله شأنه ، فيتعدى ذلك ليرى « إن حقيقة الخشوع عبارة عن حالة قلبية تحصل للقلب عن إدراك الجمال والحلال . وبمقدار ما يدرك القلب منهما تزول عنه الإيابة والأمانية ، فيخضع ، ويسلم لصاحب الجلال والجمال . الآداب المعنوية : ٤٤ - ٤٥ (٣) وقد أجمعت على ذلك كافة المصادر التي تعرضت لدراسته ، دون استثناء شأنه في ذلك شأن جده الرسول ، ووالديه ، وولده المعصومين ، عليهم السلام أجمعين . أمالي الصدوق : ١٣٠ و ١٥٨ ، الفقيه : ٢١٨/١ ، التهذيب . ٢٨٦/٢ ، إرشاد القلوب : ١٠٥ ، الحقائق : ٢٢٢ ، الآداب المعنوية : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .

صِيَعَتْ لَهُ . (١)

وروى النعيمي^(٢) بن القاسم عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال:
 رَمَتْهُ إِلَهَ لِيَأْتِي عَلَى الرَّجُلِ حَمْسُونَ سَنَةً وَمَا قَبْلَ اللَّهِ مِنْهُ صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ فَأَيُّ
 شَيْءٍ أَشَدَّ مِنْ هَذَا؟ وَاللَّهِ إِنِّي لَتَعْرِفُونَ مِنْ جِيرَانِكُمْ وَأَصْحَابِكُمْ مَنْ لَوْ
 كَانَ يَصْبِي لِعُضْكِهِ ، مَا قَبْلَهَا مِنْهُ لاسْتِخْفَافِهِ بِهَا . إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا
 يَقْبَلُ إِلَّا أَحْسَنَ فَكَيْفَ يَقْبَلُ مَا يَسْتِخْفَفُ بِهِ» (٣) .

وعن أبي الحسن الرضا أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان
 يَقُولُ : « طَوْبٌ لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ وَالِدُعَاءَ وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبُهُ بِمَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ
 وَلَمْ يَسْ ذَكَرِ اللَّهَ عَمَّا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ وَلَمْ يَحْزَنْ صَدْرُهُ بِمَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ» (٤) .
 وروى سفيان بن عيينة^(٥) عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول
 الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لِيَلْبِسَكُمْ أَتْكُمُ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٦) قال : « ليس يعني

(١) الحديث إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، فإن قبلت . . الكافي : ٢٦٨/٣ .

وليدرسون صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث شتى بالمعنى نفسه (مع اختلاف يسير باللفظ) .
 'نقبة' ١٣٤/١ ، الوسائل (كتاب الصلاة) . ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٩ ، التهذيب : ٢٣٩/٢ ،
 مسند الإمام الرضا : ٢٥٨/٢ ، عيون أخبار الرضا . ٣٥/١ ، صحيفة الرضا : ٦٠ ، إرشاد
 القلوب . ١٩١ ، كسوز السرة : ٢٦٨ ، الإحياء : ٢٤٨/١ ، مكاشفة القلوب : ٢٥٢ ،
 عوارف المعارف : ٣٢٢ ، مختصر الترغيب والترهيب : ٢٦ ، تنبيه الغافلين . ١٠١ .

(٢) لعنه القيص بن المختار النعماني . روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن عليهم
 السلام ثقة ، عين . وهو أول من سمع النص من أبي عبد الله على أبي الحسن وأخبر به .
 جامع الرواة : ١٤/٢

(٣) الحديث أنه ليأتي على الرجل حمسون سنة . . الكافي : ٢٦٩/٣ ،
 التهذيب : ٢٤٠/٢ .

(٤) الحديث طوبى لمن أخلص لله العبادة . الكافي : ١٦/٢٠ ، سر الصلاة : ٢٦ و ٦١ .

(٥) سفيان بن عيينة : (ابن أبي عمران) . أبو محمد (١٠٧ هـ - ١٩٨ هـ) . أدرك نيافاً وثمانين
 تبعياً . من كبار العلماء في زمانه ، والحكماء .

قيل عنه ليس من أصحابنا ، ولا من عدادنا . جامع الرواة : ٣٦٧/١ .

(٦) الآية : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَلْبِسَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ . سورة الملك :
 الآية ٢

أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصاصة خشية الله^(١) تعالى
والنية^(٢) الصادقة ، ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من
العمل^(٣) والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عز
وجل ، والنية أفصل من العمل . ألا وإن النية هي العمل ثم تلا قوله عز
وجل : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾^(٤) يعني على نيته^(٥) .

وبهذا الإسناد قال سألته عن قول الله عز وجل ﴿ إلا من أتى الله
بقلب سليم ﴾ . قال : السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواء وقال :
وكل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط^(٦) .

وإنما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة .

وعر أبان بن تغلب^(٧) قال : كنت صليت حلف أبي عبد الله

= وقد وردت الرواية في : جامع السعادات ١٧/٢٠ ، وفي الحقائق ٨٦ ، وفي أسرار
الصلاة (ت) . ١٧٤

(١) أبطر الفرق بين الحوف والاحتية كما يراه الطوسي أربعون البهائي ١٥٢ - ١٥٣
(٢) الية النية عند العامة . العزم على الطاعة حيفاً أو طمعاً ﴿ يدعوون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾
وعند أهل المعرفة . العزم على الطاعة هيبه وتعظيماً ، وعند أهل الجذبة والمحبة . العزم
على الطاعة شوقاً وحباً ، سر الصلاة ١٥٧ ، وقال أبو نصر السراج . الية مألوفة ، الله ، ومن
الله . عوارف المعارف : ٣٠٨ ، لمزيد من التفصيل أنظر . رسائل الشريف
المرتضى ٢٣٣/٣ - ٢٣٩ ، الإحياء ٣٦٣/٤ - ٣٦٨ .

(٣) عس أبي جعفر عليه السلام ، من حديث له . الإبقاء على العمل أشد من العمل
الحقائق : ٨٦ ، عدة الداعي : ٢٣٥ (الهامش) .

(٤) الآية . ﴿ قل كل يعمل على شاكلته . فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾ . سورة
الإسراء الآية : ٨٤ .

(٥) قال صلى الله عليه واله وسلم . نية المؤمن خير من عمله . مصباح الشريعة . ٥٣ .
(٦) الحديث : سألته عن قول الله عز وجل ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ، (سورة
التعراء : الآية ٨٩) .

قال : السليم الذي يلقى ربه . . . الكافي ١٦/٢٠ ، سر الصلاة . ٦١ .
(٧) أبان بن تغلب بن رباح ، أبو سعيد الكري ، الجريزي (مولى بني حريز) =

(عليه السلام) بالمزدلفة فلما انصرف التفت إليّ فقال : يا أبان ، هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهن وحافظ على مواقيتهن ، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنة ، ومن لم يقم حدودهن ولم يحافظ على مواقيتهن ، لقي الله ولا عهد له ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له^(١) .

والأخبار في ذلك كثيرة فلنقتصر على هذا القدر .

واعلم أنّه قد استفيد منها أنّ قبول الصلاة موقوف على الإقبال بالقلب عليها والإلتفات عمّا سوى الله فيها وأن قبولها يوجب قبول ما سواها من الأعمال وحينئذٍ فالإهتمام بهذه الصفة أمر مهم والغفلة عنها خسارة عظيمة وانحطاط قويّ وغفلة رديّة ، حيث يدبّ نفسه في الطاعة ويقوم بها آناء الليل وأطراف النهار نم لا يجد بذلك ثمرة ولا يستفيد به

= عظيم المزمة في أصحابنا ، لقي أبا محمد عليّ بن الحسين ، وأبا جعفر ، وأبا عبد الله ، عليهم السلام ، وروى عنهم وكان له عندهم خطوة ، وقدم .

قال له أبو جعفر الباقر عليه السلام : إجلس في مسجد المدينة ، وأمت الناس ، فإنني أحب أن يرى في شيء بي مثلك

كان قارئاً ، فقيهاً ، لمعياً ، وكان مقدماً في كل من من العلم في القرآن ، والفقه والحديث ، والأدب ، والنحو له كتب ، وحاله في الثقة والحلالة شهير جداً التحريص الطاووسي ٤٩٠ لمزيد عنه ، راجع جامع الرواة ٩/١ ، فصاعداً

(١) الحديث يا أبان ! . هذه الصلوات الخمس المفروضات . الكافي ٢٦٧/٣ - ٢٦٨ ، التهذيب ٢٣٩/٢ ، الإختصاص ٥٣

حاء في الخبر : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد وفيه أناس من أصحابه . قال أتدرون ما قال ربكم ؟

قالوا . الله ورسوله أعلم

قال « إن ربكم يقول : هذه الصلوات الخمس المفروضات ، من صلاهن لوقتهن ، وحافظ عليهن ، لقيني يوم القيامة وله عهدي عهد أدخله به الجنة . ومن لم يصلهن لوقتهن ، ولم يحافظ عليهن ، فذلك إليّ ، إن شئت عدته ، وإن شئت غفرت له » الفقيه ١٠/١٣٤ ، الوسائل (كتاب الصلاة ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ثواب الأعمال ٥٤٠ ، مكاشفة القلوب ٢٥١ ، تنبيه العافيين ١٠١

فائدة ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾^(١) خصوصاً إذا ضمّ إلى ذلك ما روى أنّ الصلاة إذا ردت ردّ سائر عمله كما أنّها إذا قبلت قبل سائر عمله^(٢) .

فنسأل الله تعالى أن يمنّ علينا من فضله العميم بدوام الإقبال وقبول الأعمال .

المطلب الثالث : في بيان الدواء النافع في حضور القلب .

إعلم* [إنّ المؤمن لا بدّ أن يكون معظماً لله وخائفاً له وراجياً منه ومستحيّاً من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها عنده بقدر قوّة يقينه . فانفكاه عنها في الصلاة لا سبب له إلّا تفرّق الفكر، وتقسّم الخاطر، وغيبة القلب عن المناجاة والغيبة^(٣) عن الصلاة . ولا يلهي عن الصلاة إلّا الخواطر الواردة الشاغلة . فالدواء في إحضار القلب هو

(١) سورة الكهف . الآيات : ١٠٣ - ١٠٤

(٢) ما روي : إنّ الصلاة إذا ردت ، . . مكرر . وقد مرّ آفاً : أول ما يحاسب به العبد الصلاة . . .

(*) هذا المطلب مقتبس برمته عن الاحياء ١٦٣/١ - ١٦٥ ، مع تصرف قليل ، خصوصاً لجهة حذف بعض الأحاديث والأخبار . والعنوان في كليهما واحد .

أما الأخبار والأحاديث التي أسقطها المصنف ، والتي لا تتعدى في الأصل بصغة عشر سطراً ، فتتعلق بـ .

أ - تخمير القدر الذي في البيت .

ب - نزع (ص) الخميصة ، وإتيانه بانحائية أبي جهنم .

ج - أمره (ص) بزعم سير شراك بعله الحديد ، واستبداله بالقديم

د - سجوده (ص) بعد احتذائه نعلًا جديدًا ، تواضعاً لله عز وجل .

هـ - رميه (ص) الخاتم الذهبي من أصبعه (قبل نزول تحريم تزيين الرجال بالذهب) ، دفعاً لفتنته .

(٣) وردت : والغفلة ، الإحياء ١٠١/١٦٣ .

دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه . وسبب توارده^(١) الخواطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً :

أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإن ذلك قد يخطف الهمّ حتى يتبعه ، ويتصرّف فيه ، ثم ينجرّ منه الفكر إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سبباً للأفكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض الآخر ، ومن قويت رتبته^(٢) وعلت همته ، لم يله ما يجري على حواسه . ولكنّ الضعيف لا بدّ أن يتفرّق به فكره . فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصليّ في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسّه ، أو يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة^(٣) وعلى الفرش المزينة ولذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم سعتة بقدر ما يمكن الصلاة فيه ليكون ذلك أجمع للهمّ .

وينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر وهي جعله قائماً إلى موضع سجوده، وغيره من الأمور المعلومه شرعاً فإنّ تعذر القيام بها مع فتحهما فالغض أولى لأنّ الفائت من وظيفة الصلاة وصفتها تنقسم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر . وليحضر بباله عند نظره إلى موضع سجوده^(٤) أنّه واقف بين يدي ملك

(١) وردت موارد الإحياء : ١٦٣/١ .

(٢) وردت بيته . الإحياء . ١٦٣/١ .

(٣) وردت : المصنوعة الإحياء . ١٦٣/١ .

(٤) من حديث طويل للصادق عليه السلام يرويه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

... واخشع بصرك ، ولا ترفعه إلى السماء وليكن بترك موقع سجودك ، واشغل قلبك

بصلاتك فإنه لا يقل من صلاتك إلا ما أقلت عليه منها بقلبك وليكن قيامك في الصلاة

قيام العبد الدليل بين يدي الملك المحليل . واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه

الفقيه ١٩٨/١٠

عظيم يراه ويطلع على سريره وباطن قلبه وإن كان هو لا يراه ، وإن التوجه إليه لا يكون إلا بوجه القلب ، ووجه الرأس مثال ومضاف بالتبع وإنه يخاف إن ولّاه ظهر قلبه أن يطرده عن باب كرمه ، ويسلبه عن مقام خدمته ، ويبعده عن جناب قدسه ومقدس حضرته ، وكيف يليق بالعبد أن يقف بين يدي سيده ويولّيه ظهره^(١) ، ويجعل فكره في غير ما يطلبه منه ؟

لا ريب في أنّ هذا العبد مستحق للخذلان مستوجب للحرمان في الشاهد والخسيس والقياس البعيد ، فكيف في المقصد الأصلي والملك الحقيقي .

وقد ورد في الحديث « إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم »^(٢) .

فبهذا ونظائره تجتمع الهمة ، ويصفو القلب ، وينحصر بالنظر إلى الأمور الخارجية .

وأما الأسباب الباطنية فإنّها أشدّ ، فإنّ من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فنّ واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب ، وغضّ البصر لا يغنيه . فإنّ ما وقع في القلب كاف للشغل . فهذا طريقه أن يردّ النفس قهر إلى فهم ما يقرأه في الصلاة ويشغلها به

(١) يعني : كما أن تولية العبد ظهره في العالم الشاهد الخسيس ، عن سيده ، المحازي ، أو الملك المجازي في حال وقوفه بين يديه ، موجب للخذلان والحرمان ، فذلك القياس إلى السيد الأصلي والملك الحقيقي أقبح وأشدّ إيجاباً للخذلان والحرمان ، مع أن هذا القياس بعيد ، إذ لا نسبة بين المقامين حتى يتم قياس أحدهما على الآخر . (حاشية الأصل : ١٠) .

(٢) الحديث : إنّ الله لا ينظر إلى صوركم . . مكارم الأخلاق : ٤٦٩ ، جامع السعادات : ١١٢/٣ . (مع بعض زيادة) ، الآداب المعنوية : ١٣٣ ، الإحياء : ٣٦٢/٤ - أخرجه مسلم - عجائب القرآن : ٧٧ . تنبيه الغافلين : ١٧٤

عن غيره ويعينه على ذلك ، أن يستعدّ قبل التحريم ، بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة ، وموقف المناجاة ، وخطر المقام بين يدي الله تعالى ، وهول المطلع ، ويفرغ قلبه قبل التحريم^(١) بالصلاة عمّا يهّمه ، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره ، فهذا طريق تسكين الأفكار . فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكّن فلا ينجيّه إلّا المسهل الذي يقيم^(٢) مادة الدّاء من أعماق العروق ، وهو أن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب ولا شك أنّها تعود إلى مهمّاته ، وإنّها إنّما صارت مهمّاتٍ لشهواته ، فيعاقب نفسه بالنزوع^(٣) عن تلك الشهوات ، وقطع تلك العلائق وكلّ ما يشغله عن صلاته ، فهو ضدّ دينه ، وجند إبليس عدوّه ، فإمساكه أضّرّ عليه من إخراجهِ ، فيتخلّص منه بإخراجه وقد روي أنّ بعضهم^(٤) صلّى في حائط^(٥) له فيه شجرة ، فأعجبه ريش^(٦) طائر في الشجرة يلتمس مخرجاً فاتبعه نظره ساعة ، لم يذكر كم صلّى ، فجعل حائطه صدقة ندماً ورجاءً للعوض عمّا فاتته^(٧) .

وهكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادّة الفكر وكفّارة لما جرى من نقصان الصلاة^(٨) .

(١) وردت : قبل الدحول في حرمة بتكبير الإحرام . الإحياء : ١٦٤/١ .

(٢) يقيم : يستأصل .

(٣) الروع : الترك .

(٤) هو أنو طلحة ، المصدر السابق .

(٥) أي سستان

(٦) محرف عن : أعجبه دبسي طار ، المصدر السابق . والقنطر الدبسي من الطير (يمامية)

لسان العرب : ١١٩/٥ ، منسوب إلى طير دبس . لسان العرب : ١٣٥/٥ .

(٧) ورد هذا الخبر لدى جل من عالّج موضوع توجّه القلب في الصلاة . بدءاً من الغزالي ، وانتهاء بدستغيب نور الله مثواه ، والخميني ، أعلى الله درجته .

(٨) عسّ عند الله بن مسعود أنه فاتته تكبيرة الإحرام يوماً فاعتق رقبة ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان بعضهم إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة ، وآخر آخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان ، فاعتق رقبتين ، وثالث آخر ركعتي الفجر فاعتق رقبة ، كل ذلك مجاهدة للنفس ، ومناقشة لها في الغفلة عما فيه حظها .

فهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ، ولا يغني غيره ، فإن ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر ، فينفع في الشهوات الضعيفة ، والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب . فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين ، بل تجاذبها وتجادبك ، ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة .

ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره فكانت أصوات العصافير تشوش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره ، فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة ، فقليل له^(١) إن أردت الخلاص فاقلع الشجرة

فكذلك شجرة الشهوة إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار ، وانجذاب الذباب إلى الأقدار ، والشغل يطول في دفعها ، فإن الذباب كلما ذب^(٢) أب، ولأجله سمي بالذباب .

= وقال : يا رسول الله ، فاتتني تكبيرة الإحرام فاعتقت رقبة ، هل كنت مدركاً فضلها ؟ فقال : لا .

- قال ابن مسعود : ثم اعتقت أخرى ، فهل كنت مدركاً فضلها ؟
 فقال : لا يا ابن مسعود . لو أنفقت ما في الأرض جميعاً لم تكن مدركاً فضلها . الأنوار النعمانية : ٣٤١/٢ ، وسيشار إلى ذلك ، بعد قليل .
 قال الجنيد : لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى . عوارف المعارف : ٣٠٨ .
 (١) فقليل له : هذا أسير السواني ولا ينقطع ، فإن أردت الخلاص . . . الإحياء : ١٦٥/١ .
 (٢) ذب : دفع وطرده .

فكذا الخواطر . فهذه الشهوات كثيرة وقلمما يخلو العبد عنها .
ويجمعها أصل واحد وهو حبّ الدنيا ، وذلك رأس كل خطيئة^(١) وأساس
كلّ نقصان ومنبع كلّ فساد ، ومن انطوى باطنه على حبّ الدنيا حتّى مال
إلى شيء منها ، لا ليتزوّد منها ويستعين بها على الآخرة ، فلا يطمعن في
أن تصفوله لذّة المناجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله
وبمناجاته ، فإن كانت الدّنيا قرّة عينه إنصرف لا محالة إليها همّه ، وهمّة
الرجل مع قرّة عينه^(٢) ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ، وردّ
القلب إلى الصلاة ، وتقليل الأسباب الشاغلة .

وأما من كانت الدنيا معه وليس هو معها ، وإنما يصرفها حيث أمره
الله تعالى ، ويستعين بها على طاعة الله ويتزوّد منها إلى الآخرة ، وهمتّه
مجتمعة في ما يبقى ، ويجعلها من أسباب الكمال ومقدّماته فلا بأس
عليه . فقد قال (ص) : « نعم العون على تقوى الله الغنى »^(٣) .

إلا أنّ ذلك محلّ الغرور ، وموضع تلبس إبليس عليه لعنة الله ،
فليحذر المستيقظ عند ذلك ، ولا يزال يراجع عقله ، ويمتحن قلبه ،

(١) عن عيسى عليه السلام من حديث قدسي : واعلم أن رأس كل خطيئة وذنب هو حبّ الدنيا .
الكافي ١٠/١٤١ . وقد تكرر هذا الحديث الشريف ، مع تقديم لفظ ، أو تأخيره أحياناً ،
ولكن ، بالمعنى نفسه دائماً على لسان كل من : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
الإحياء : ٤١٣/٣ أمير المؤمنين عليه السلام . تحف العقول : ١٥٣ ، زين العابدين عليه
السلام . الكافي . ٣١٧/٢ ، أبي عبد الله عليه السلام . الكافي : ٣١٥/٢ ، والأدب
المعتوب : ١٠١ .

(٢) وردت هذه الجملة كما يلي :

أ - وهمّة الرجل مع قرّة عينه . فإن كانت قرّة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همّه .
الإحياء ١٠/١٦٥

ب - وهمّة الرجل مع قرّة عينه ، فإن كانت في الدنيا ، فهّمّه فيها ، وإن كانت في الصلاة ،
فهّمّه فيها : أسرار الصلاة (ت) : ١٢٤ .

(٣) وبمعناه : نعم المال الصالح للرجل الصالح . الإحياء : ٢٣٤/٣ .

حذرا من أن يدخل عليه الخطر والكدر ، وهو لا يشعر ، ولا برهان على ذلك أقوى من الوجدان .

فهذا هو الدواء المر ، ولمراته استبشعته أكثر الطباع ، وبقيت العلة مزمنة ، وصار الداء عضالاً ، حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثون فيهما أنفسهم بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك^(١) .

فإذاً لا مطمع فيها لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها^(٢) من الوسواس فنكون ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً^(٣) .

وعلى الجملة ، فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قرح مملوء بالخل ، فبقدر ما يدخل من الماء يخرج من الخل ولا يجتمعان .

فتدبر هذه الجملة وفقك الله وإيانا إلى الرشاد وأوقفنا على مناهج السداد .

فهذا ما يتعلق به الغرض من المقدمة .

(١) وإلى هذا المعنى إشارة -حمله من الأحاديث النبوية الشريفة ، منها :

من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا ، غفر الله له ذنوبه (وقد تقدم) .

(٢) إشارة إلى الحديث : إن من الصلاة لما يقبل نصفها أو ثلثها . . (وقد تقدم) .

(٣) إشارة إلى الآية . ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ . سورة التوبة : الآية ١٠٢ .



الفصل الأول

في المقدمات : وهي واجبة ومندوبة .

فالواجبة : الطهارة وإزالة الجاسة وستر العورة ، والمكان الذي يصلي فيه ، والوقت ، والصلبة^(١) .

والمندوبة : كثيرة، كالمسجد والأذان والإقامة والتوجه بست تكبيرات .

ولكل واحدة من هذه المقدمات وظائف قلبية ، وأسرار خفية ، يطلع عليها بصفاء العقل ، وما نذكره من الوظائف كالمدرج إلى الريادة والمراقبة إلى غيره من دقائق العبادة .

في أسرار الطهارة ومعناها :

أما الطهارة : فليستحضر في قلبه أن تكليفه فيها بعسل الأطراف الظاهرة ، وتنظيفها لاطلاع الناس عليها ، ولكون تلك الأعضاء مباشرة

(١) عد الغرالي : أما الشروط السوابق ، فهي : الأذان ، والطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة ، والإنصاب قائماً ، والنية . الإحياء : ١٦٥/١ .

لأُمُور الديورية . مهمكة في الكدورات الدنية ، فلأن يطهّر مع ذلك قلبه^(١) أنذي هو موضع نظر الحق ، فإنه « لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم »^(٢) ولأنه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح والمستخدم لها في تلك الأمور والمبعدة عن جنباته تعالى وتقدس ، أولى وأحرى . بل هذا تنبيه واضح على ذلك وبيان شاف على ما هنالك ، وليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الإشتغال بعبادة الله تعالى ، والإقبال عليه ، والإلتفات عن الدنيا بالقلب والحواس ، لتلقي السعادة في الآخرة . إنّ الدنيا والآخرة ضربتان كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى^(٣) فلذلك أمر بالتطهير من الدنيا عند الإشتغال والإقبال على الآخرة .

فأمر في الوضوء(*) بغسل الوجه لأنّ التوجّه والإقبال بوجه القلب على الله تعالى به ، وفيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا . فأمر بغسله ليتوجّه به وهو خال من تلك الأدناس ، ويرقى بذلك إلى تطهير ما هو الركن الأعظم^(٤) في القياس .

(١) عن المعصوم ، لا تحور صلاة امريء حتى يطهر حوارحه الخمس . الوحه ، واليدين ، والرحليس ، بالماء ، والقلب ، بالتوبة . الأنوار النعمانية : ٣٣٤/٢ .

(٢) الحديث : إن الله لا يبطر إلى صوركم . مرّافاً .

(٣) الحديث . الدنيا والآخرة صرتان . سيمر لاحقاً

(*) الوضوء في حديث المعراج

ثم قال رضي يا محمد ! . مُدّ يديك ، فيتلقاك ماء يسيل من ساق العرش الأيمن . فتلقيته نائمي . ثم قال : يا محمد ! .. حد هذا الماء فاغسل به وجهك - وعلة غسل الوجه أنك تريد أن تنظر إلى عظمي وأنت طاهر . - ، ثم إغسل ذراعيك الأيمن والأيسر ، - وعلة ذلك أن تريد أن تتلقى بين يديك كلامي . - وامسح على رأسك بفصل ما بيديك من الماء ، ورحليك إلى كعبيك ، وعلة المسح أبي أريد أن أوطئك موطئاً لم يطأه أحد من قبلك ولا يطأه أحد غيرك ١ الآداب المعوية : ١٤٧ ، وقريب منه في الكافي : ٤٨٥/٣

أنظر . صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في : الفقيه : ٢٤/١ - ٢٥ .

وصفة وضوء أمير المؤمنين عليه السلام المصنوع السابق ، أربعون البهائي : الحديث الخامس .

(٥) أي . القلب ، الذي عبر عنه الرئيس الأعظم ، مدسطور .

ثم أمر بغسل اليدين ، لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنية ،
والشهوات الطبيعية ، ثم بمسح الرأس لأن فيه القوة والمفكرة التي
يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعية ، وننعت الحواس
حينئذ إلى الإقبال على الأمور الدنيوية ، دون الإقبال على الآخرة
السنية ، ثم بمسح الرجلين لأن بهما يتوصل إلى مطالبه ، ويتوصل إلى
تحصيل مآربه على نحو ما ذكر في باقي الأعضاء ، وحينئذ يسوغ له
الدخول في العادة ، والإقبال عليها فائزاً بالسعادة^(١) .

وأمر في الغسل بغسل جميع البشرة لأن أدى حالات الإنسان
وأشدها تعلقاً وتمكناً بالملكات الشهوية ، حالة الجماع ، وموجبات
الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ، ولهذا قال صلى الله عليه
 وآله : « إن تحت كل شعرة حنابة »^(٢) .

فحيث كان جميع بدنه بعيداً من المرتبة العالية ، منغمساً في
اللذات الدنية ، كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية ليتأهل لمقابلة
الجهة الشريفة والدخول في العادة المنيفة ، ويبعد عن القوى الحيوانية
واللذات الدنيوية .

ولما كان للقلب من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكمل ، كان

(١) « وعلة الوضوء ، [في الحديث] التي من أحلها صار غسل الوجه والذراعين ، ومسح الرأس
والرجلين فليقامه بين يدي الله عز وجل ، واستقاله إياه بحوارحه الطاهرة ، وملاقاته بها الكرام
الكاتبين . فغسل الوجه للسجود والخضوع ، وغسل اليدين ليقللها ويرعب بهما ، ويرهب ،
ويتبذل ، ومسح الرأس والقدمين لانهما طاهران مكتوفان ، يستقل بهما في كل حالته »
من أحوة الإمام الرضا عليه السلام لمحمد بن سنان عن مسائله في نصلة عيون أحبار
الرضا : ٩٦/١ وهالك تعليل آخر للوضوء كما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لفرد
من اليهود سأله عن ذلك . الآداب المعوية : ١٣٥ .

(٢) الحديث . إن تحت كل شعرة حنابة : لم نتر علىه

الإشتغال بتطهيره من الرذائل ، والتوجّهات المانعة من درك الفضائل ، أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل .

وأمر في التيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذّر غسلها بالماء الطهور ، وضعا^(١) لتلك الأعضاء الرئيسية وهضمًا لها بتلقيها بأثر التربة الخسيسة ، وهكذا يخطر أن القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة وتحليته بالأوصاف الجميلة فليقمه في مقام الهضم والإزراء وليسقه بسيّاط الدّلّ والاغضاء، عسى أن يطلّع عليه مولاه الرّحيم ، سيّده الكريم ، وهو منكسر متواضع . فبهبه نفحة من نفحات نوره اللامع ، فإنّه عند القلب المنكسرة ، كما ورد في الاثر^(٢) فتترقّ من هذه الإشارات ونحوها ، إلى ما يوجب لك الإقبال ، وتلافيه سالف الإهمال .

ومن الأسرار الواردة في الأثر من بظائر ذلك قول الصادق (ع) : « إذا أردت الطّهارة فتقدّم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله تعالى فإنّ الله قد جعل الداء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلا إلى ساط خدمته ، وكما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد ، كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير .

قال الله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾^(٣) . ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾^(٤) ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون ﴾^(٥) .

(١) وضعا : معمول له ، أو لأجله ، وبذلك ، هــ .

(٢) سمر ذلك في الحديث عن رفة القلب

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٧

(٤) سورة الفرقان : الآية ٤٨

(٥) سورة النساء : الآية ٣٠

فكمّا أحيّا كلّ شيء من نعيم الدّنيا ، كذلك بفضلّه ورحمته جعل حياة القلوب بالطّاعات . وتفكّر في صفاء الماء ورقته ، وطهوره وبركته ، ولطيف امتزاجه بكلّ شيء ، وفي^(١) كلّ شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وآتِ بآدابها في فرائضه وسننه ، فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة . فإذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب .

ثمّ عاشِرُ خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي إلى كلّ شيء حقّه ، ولا يتغير عن معناه ، معتبراً لقول رسول الله (ص) : « مثل المؤمن الخالص كمثل الماء » .

ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السّماء وسّماه طهوراً . وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء^(٢) .

وفي علل ابن شاذان^(٣) عن الرضا (ع) إنّما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار وعند مناجاته إيّاه ، مطيعاً له في ما أمره ، نقيّاً من الأدناس والنجاسة ، مع ما فيه من ذهاب الكسل ، وطرد النعاس ، وتذكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار .

وإنّما وجب على الوجه واليدين ، والرأس والرجلين ، لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبار ينكشف عن جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء وذلك إنّّه بوجهه يسجد ويخضع ، وبيده يسأل ، ويرغب ، ويرهب ،

(١) إشارة لطيفة منه عليه السلام إلى الفرق بين الخلط ، والمريخ .

(٢) مصباح الشريعة الباب الستون (في الطهارة) ، ١٢٨ - ١٢٩

(٣) الفصل س شاذان ويكنى أنا محمد الأردّي ثقة حليل ، فقيه ، متكلم ، صف مئة وثمانين كتاباً ترجم عليه أبو محمد عليه السلام مرتين ، وقال فيه : أعطى أهل حراسان سكناً الفصل س شاذان ، وكنوه بين أظهركم جامع الرواة ٥/٢

ويبتلّ ، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده ، ويرجليه يقوم ويقعد .
وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأنّ الجنابة من نفس الإنسان وهي
شيء يخرج من جميع جسده ، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنّما هو
غذاء يدخل من باب ويخرج من باب .

وأما إزالة النجاسة فالكلام فيها نحو الكلام في الطهارة في التذكير
بتطهير القلب من نجاسة الأخلاق ومساوئها ، فإنك إذا أمرت بتطهير
ظاهر الجلد وهو القشر وتطهير الثياب وهي أبعد من ذاتك [*] فلا تغفل
عن تطهير لبك الذي هو ذاتك ، وهو قلبك ، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة
والندم على ما فرط ، وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل .
وطهر بها باطنك فإنّه موقع نظر المعبود [وتذكر بتخليك لقضاء الحاجة
نقصك وحاجتك ، وما تشتمل عليه من الأقدار وما في باطنك وانت تزين
ظاهرك للناس ، والله تعالى مطلع على خبث باطنك ، وخسة حالك ،
واشتغل بإخراج نجاسات الباطن ، والأخلاق الداخلة في الأعماق ،
المفسدة لك على الإطلاق ، لنستريح نفسك عند إخراجها ، ويسكن
قلبك من دنسها ، ويخف لبك من ثقلها ، وتصلح للوقوف على بساط
الخدمة ، والتأهل للمناجاة ولا تستر ما ظهر منك فلا بدّ أن يظهر عليك ما
تظن [أنك مخفيه ^(١)] لأن الطبيعة تظهر ما يكنّ فيها ^(٢) فتفتضح حينئذٍ
بما سترته عن الناس كما يفعل الله بكلّ مدلس .

قال الصادق (ع) : « سمي المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس
من أثقال النجاسات واستفراغ الكشافات والقدر فيها ، والمؤمن يعتبر
عندها أن الخالص من حطام الدّنيا كذلك نصير عاقبته ، فيستريح

(*) ما بين الحاصرتين . [فلا تعمل . . نظر المعبود] ، مقتبس عن الإحساء ١٠ / ١٦٥ .

(١) تظن [أنك مخفيه] ، وهو أنته بكلامهم

(٢) يكنّ يستتر

بالعدول عنها ، وتركها ، ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ، ويستنكف عن جمعها وأخذها ، واستنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ، ويتفكر في نفسه المكرّمة^(١) في حال ، كيف تصير ذليلة في حال ، ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين ، وأن الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها ، وفي إزالة النجاسات من الحرام والشبهة ، فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها ، بأنها مع كونها في حال كيف صارت ذليلة في حال . ويفر من الذنوب ، ويفتح باب التواضع والندم والحياء ، ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزلفى ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر ، والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار ، ويذوق طعم رضاه ، فإن المعقول ذلك وما عداه لا شيء^(٢) .

في أسرار ستر العورة

[(*) وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق ، فإن ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما بالك في عورات باطنك ومقابح سرّك التي لا يطلع عليها إلا ربّك .

فاحضر تلك المقابح ببالك ، وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله ساتر وإنما يسترها ويكفرها^(٣) الندم والحياء والخوف ، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانهما

(١) من الآية : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ .

(٢) مصباح الشريعة : الباب التاسع والخمسون (في التبرُّز) : ١٢٦ - ١٢٧ .

(*) ما بين الحاصرتين : [وأما ستر العورة . من الحياء والخوف] ، مقتبس عن الإحياء : ١٦٦/١ .

(٣) وردت : يغفرها المصدر السابق .

فتدل بها نفسك ، ويستكين تحت الخجلة قلبك ، وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الأبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف]

قال الصادق عليه السلام : «أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى وأنعمه الإيمان فإن الله عز وجل قال : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾»^(١) .

وأما لباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم وهي كرامة أكرم الله بها عباده من ذرية آدم (ع) ما لم يكرم غيرهم وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم .

وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عز وجل بل يقربك من شكره ، وذكره وطاعته ، ولا يحملك فيها على العجب والرياء ، والتزين والمفاخرة والخيلاء ، فإنها من آفات الدين ومورثة القسوة في القلب .

وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله تعالى عليك ذنوبك برحمته . والبس باطنك بالصدق ، كما لبست ظاهره بثوبك . وليكن باطنك في ستر الرهبة ، وظاهره في ستر الطاعة ، واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق أسباب اللباس لستر العورات الظاهرة ، وفتح أبواب التوبة والإنابة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب ، وأخلاق السوء ، ولا تفتضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك ، واصفح عما لا يعينك حاله وأمره ، واحذر أن تفني عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك ، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل وأوفر أسباب العقوبة في الآجل . وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الآفات

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦ .

غائص في بحر رحمة الله عزّ وجلّ ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان ، وما دام ناسياً لذنوبه ، جاهلاً بعيوبه ، راجعاً إلى حوله وقوته ، فلا يفلح إذا أبداً»^(١) .

في أسرار المكان

وأما المكان فاستحضر فيه أنك كائن بين يدي ملك الملوك^(٢) تريد مناجاته والتضرع إليه ، والتماس رضاه ، ونظره إليك بعين الرحمة ، فانظر مكاناً يصلح لذلك كالمساجد الشريفة والمشاهد المطهرة مع الإمكان ، فإنه تعالى جعل تلك المواضع محلاً لإجابته ومضمنة لقبوله ورحمته ، ومعدناً^(٣) لمرضاته ومغفرته ، على مثال حضرة الملوك الذين يجعلونها وسيلة لذلك .

فادخلها ملازماً للسكينة والوقار ، مراقباً للخشوع والإنكسار ، سائلاً أن يجعلك من خاص عباده وأن يلحقك بالماضين منهم ، وراقب الله كأنك على الصراط جائر ، وكن متردداً بين الخوف والرجاء ، وبين القبول والطرْد ، فيخشع حينئذ قلبك ، ويخضع لبك ، وتتأهل لأن تفيض عليك الرحمة ، وتنال يد العاطفة ، وترعاك عين العناية .

قال الصادق عليه السلام : « إذا بلغت المسجد فاعلم أنك قصدت باب ملك عظيم لا يبطأ بساطه إلا المطهرون ، ولا يؤذن لمجالسته إلا الصديقون وهبِ القدوم إلى بساط خدمة الملك ، هيبة الملك ، فإنك على خطر عظيم إن غفلت .

(١) مصباح الشريعة : الباب الثالث عشر (في اللباس) : ٣٠ - ٣١ .

(٢) دأب المصنف على هذا التشبيه ، متأثراً بأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وبسلفه أبي حامد الغزالي ، في إحيائه .

(٣) المعدن : الأصل .

واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك بفضله ورحمته ، قبل منك يسير الطّاعة وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً وإن طالبك باستحقاقه الصّدق والإخلاص عدلاً^(١) بك ، حجبتك وردّة طاعتك ، وإن كثرت ، وهو فعال لما يريد .

واعترف بعجزك وتقصيرك ، وانكسارك وفقرك بين يديه ، فإنك قد توجّهت للعبادة له ، والمؤانسة به ، وأخلّ قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربّك فإنه لا يقبل إلّا الأطهر والأخلص^(٢) ، فإن ذقت من حلاوة مناجاته ولذيد مخاطباته ، وشربت بكأس رحمته وكراماته ، من حسن إقباله وإجاباته ، فقد صلحت لخدمته ، فادخل ، فلك الإذن والأمان ، وإلّا فقف وقوف مضطّر قد انقطع عنه الحيل ، وقصر عنه الأمل ، وقضى عليه الأجل .

فإذا علم الله من قلبك صدق الإلتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة والرحمة ، واللفظ والعطف ، ووفّقك لما يحب ويرضى ، فإنه كريم مجيب يحبّ الكرامة لعباده المضطرين إليه ، قال الله تعالى : ﴿ أَمِّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾^(٣) .

في أسرار الوقت :

وأما الوقت : فاستحضر عند دخوله أنه ميقات جعله الله تعالى لك

(١) وإلى ذلك يشير الإمام الصادق عليه السلام أيضاً بقوله : إني لا أخاف منك إلّا عدلك ، ولا أرحو الفصل والعفو إلّا من عدك . الصحيفة الصادقية ٩١ .

وإشارة المهدي عجل الله فرجه . فإن تعدني فبدنوبي غير ظالم ، وإن تغفر لي وترحمني فإنك جواد كريم . الصحيفة المهدية ١٨٦ .

(٢) وسترّد في هذا المعنى جملة أحاديث وأحبار

(٣) مصباح الشريعة . الباب الواحد والستون (في دخول المسجد) : ١٣٠ - ١٣١ .

لتقوم فيه بخدمته وتناهل للمثول في حضرته ، والفوز بطاعته ، وليظهر على قلبك السرور ، وعلى وجهك البهجة عند دخوله ، لكونه سبباً لقربك ، ووسيلة إلى فوزك ، فاستعد له بالطهارة والنظافة ، ولبس الثياب الصالحة للمناجاة ، كما تتأهب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا ، وتلقاه بالوقار والسكينة ، والخوف والرجاء ، فإن الرحمة عميمة^(١) ، والفضل قديم^(٢) ، والأخذ^(٣) والإستدراج^(٤) متحقق ، والطرء عند التقصير متوجه ، فكن بين ذلك قواماً^(٥) .

والزم الخضوع والخشوع والذل والإنكسار ، فإنه تعالى عند الموصوف بذلك ومثل في نفسك لو أن ملكاً من ملوك الأرض وعدك بأن يكتبك في وقت معين من خواصه القائمين بين يديه ببعض خدمته ويخاطبك وتخاطبه ، على طريق الإنبساط والأنس^(٦) في مخاطباتك ، وتطلب منه ما تحتاج إليه من مهماتك ، ويجعلك عنده من مقربي العباد ، ويخلع عليك خلعة سنية بين الأشهاد ، ويجعل ذلك إلى مدة طويلة ، وغاية بعيدة ، مع أنه لا يؤثر ذلك في حظك عند الله تعالى ، بل يزيده . . .

(١) من قوله عروحل ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾

(٢) من قوله عروحل ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾

(٣) من قوله عروحل ﴿ وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد ﴾

(٤) من قوله عروحل : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين ﴾

(٥) من قوله عروحل ﴿ وكانوا بين ذلك قواماً ﴾ (أي : وسطاً وعدلاً)

(٦) استشار القلب وفرحه لما اكشف له من قرب الله تعالى وجماله وكماله . روضة

الطالبين : ١٤٨ - ١٤٩

وقال الواسطي : لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها : روضة

الطالبين ١٥٢

أما كنت منتظراً ذلك الوقت قبل إبانته^(١) ، وتهتم له قبل أوانه ،
وتفرح بقربه فضلاً عن دخوله، وتزيد بهجتك وسرورك عند وصوله ؟

فلا تجعل عناية الله جلّ جلاله بك ، وإعدادك لمخاطبتك له
ومخاطبته لك ، وكتبه إليك في ديوان المقربين بالصلاة التي هي أفضل
الأعمال، وسجودها أوجب القرب^(٢) إلى حضرته ، والفوز بمحبته ، كما
ورد في كتابه الحكيم : ﴿ فاسجد واقترب ﴾ ، ووعد به رسوله
الكريم^(٣) ، وخلعته الدائمة في الدار الصافية ، دون^(٤) تقريب ملك من
ملوك الدنيا ، مع عجزه عن نفعك ، بدون توفيق الله تعالى له ، وعدم
الوثوق الحقيقي بوفائه ودوامه مدة يسيرة ، على تقدير وقوعه .

ومن هنا كان النبي (ص) ينتظر وقت الصلاة ويشتدّ شوقه ويترقّب
دخوله ويقول لبلال مؤذنه : « أرحنا يا بلال »^(٥) أشار بذلك إلى أنه في
تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التكليفات ، وقيامه بوظائف الصلاة
وإن كان سرّه لا يخلو من ضروب من المناجاة، إلا أن قُرّة عينه في الصلاة
كما قال عليه أفضل الصلاة والتّحيات^(٦) .

(١) الإبان : الوقت والأوان يقال : لكل شيء إبان . أي : وقت ، وحين . والفاكهة في إبانها :
في موسمها

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ سورة العلق : ١٩ - وهي من
آيات العزائم -

(٣) إشارة إلى الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وآله الأطهار ، ومن شتى
الطرق والأسانيد :

« أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجداً » . وسيرد ، في باب السجود ، لاحقاً .

(٤) دون : مفعول به ثانٍ لقوله ، فلا تجعل .

(٥) الحديث : أرحنا يا بلال (إيماء منه صلى الله عليه وآله وسلم ، لرفع الأذان) . مفتاح
الفلاح : ١٤١ . الإحياء : ١٦٥/١ - أخرجه الدارقطني - .

(٦) من الحديث الشريف : وقرة عيني في الصلاة . مفتاح الفلاح : ١٤١ وسيرد لاحقاً .

ثم استشعر بعد هذه البهجة خشية الله تعالى في الوقوف بين يديه
رأنت ملطخ بكدوراتك النفسانية ، وعلائقك الدنيوية ، وعوائقك
البدنية ، فإن استشعار الخوف شعار الكاملين كما أن الغفلة عن ذلك
علامة المطرودين ، كما قد عرفته في تضاعيف الأسرار ، وجملة الآثار .

واستحضر عظمة الله وجلاله ، ونقصان قدرك وكماله .

وقد روى عن بعض أزواج^(١) النبي أنها قالت : « كان النبي يحدثنا
ونحدثه فإذا حضر وقت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ، شغلاً بالله
عن كل شيء »^(٢) وكان عليّ (ع) إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل
فيقال له : « مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : « جاء وقت أمانة عرضها
الله على السموات والأرض فأبين حملها وأشفقن منها »^(٣) .

وكان علي بن الحسين (ع) إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه ، فيقال
له : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : « ما تدرون بين يدي
من أقوم »^(٤) .

-
- (١) هي السيدة عائشة . إرشاد القلوب : ١٠٥ ، الإحياء : ١٥٠/١ و ١٦٣ .
(٢) الخبر : « كان النبي (ص) يحدثنا ونحدثه . . . » وفي رواية : اشتغلاً بعظمة الله عن كل
شيء . عدة الداعي : ١٥٦ ، الحقائق : ٢٢٢ ، الأدب المعنوية : ١٩٨ - ١٩٩ ،
الإحياء : ١٥٠/١ .
(٣) الخبر : كان علي إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل . الحقائق : ٢٢٢ . الأدب
المعنوية : ١٩٩ ، سر الصلاة : ١٣٢ ، الإحياء : ١٥١/١ ، اللمع : ١٨١ ، عدة
الداعي : ١٥١ ، إرشاد القلوب : ١٥٠ .
(٤) الخبر : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا حضر الوضوء اصفرّ لونه . . المصادر
السابقة ، عوارف المعارف : ٣٢٣ .
ونقل أنان بن تغلب : إني رأيت علياً بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه لون آخر .
الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٥٨ و ٣٦٠ . حياة الإمام علي بن الحسين للقرشي .
المخطوط : ١٩٢ .

وكلّ ذلك إشارة إلى استحضار عظمة الله تعالى ، والإلتفات إليه
حال العبادة والإنقطاع عن غيره .

[*(*)] وإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة

(*) ما بين الحاصرتين [وإذا سمعت الأذان . . . القضاء] ، مقتبس عن الإحياء : ١٦٤/١
قال الصادق عليه السلام : إذا كرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كريات
مصباح التريفة . من الباب التاسع والثلاثين (في افتتاح الصلاة) : ٨٧ .
والأذان عند أهل المعرفة ، كما يراه الحميني ، أعلى الله مرتنته . إعلام لقوى الملك
والملكوت في الإنسان الكبير والصغير للتهيؤ والحضور في جناب الحق .
والإقامة . إحصارها وإقامتها في محضر القدس الكبريائي جلّ وعلا . سر الصلاة : ١٤٣ .
الأذان والإقامة في حديث المعراج :
إن حريـل كُـر مرتين ، فسكتت الملائكة ، وفتحت السماء ، واجتمعت الملائكة .
الآداب المعنوية . ٢٥١ و ٢٦٣ .
« تم عرج بي إلى السماء الرائعة فلم تقل الملائكة شيئاً ، وسمعت دويماً كأنه في الصدور
 واجتمعت الملائكة ، وفتحت أبواب السماء . فقال جبرائيل . حي على الصلاة ، حي على
 الصلاة (إلى آخر الإقامة)
 وفي تفسير العياشي ما يقرب من هذا المصمون . المصدر السابق
 وفي رواية :
 ثم أن الله عرّجني قال يا محمد ! . إستقل الحجر الأسود وكبرني بعدد حجي .
 - فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً - وافتتح القراءة عند انقطاع الحجب
 الوسائل (كتاب الصلاة) ٣٥٨ - ٣٥٩ (عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام) ،
 أسرار الصلاة (ت) ٢٢٧ ، الآداب المعنوية ٢٥١ - ٢٥٢
 للمريد . أنظر معاني كلمات الأذان والإقامة لأمير المؤمنين عليه السلام في . معاني
 الأحبار ٣٨ - ٤٢ . وحديثاً له ، طويلاً ، حولهما في : صحيحه الإمام الرضا عليه
 السلام : ٦٥ - ٦٦ .
 أما فضل الأذان فمما لا يكاد يحصى كثرة
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . من صلى بأذان وإقامة ، أمر الله عز وجل الملائكة
 فصعقوا حلـه صمّاً لا يرى طرفاه . يركعون سركوته ، ويسجدون سجوده ، ويؤمنون على
 دعائه . مكارم الأخلاق : ٤٦٦
 وعنه (ص) من أقام ولم يؤذن لم يصل معه إلّا ملكاه اللدان معه . المصدر السابق
 وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال .

وتشمر بباطنك وظاهرک للمسارعة والإجابة فإن المسارعين إلى هذا النداء ، هم الذين ينادون باللفظ يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والإستبشار ومستعداً بالرغبة إلى الإبتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء [واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله ، واختتمت بالله ، واعتبر بذلك أن الله عز وجل « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن »^(١) ووطن قلبك بتعظيمه وتكبيره عند سماع التكبير واستحضر الدنيا وما فيها لكلاً تكون كاذباً في تكبيرك ، وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل ، واحضر النبي وتأدب بين يديه ، واشهد له بالرسالة مخلصاً ، وصل عليه وعلى آله ، وحرك نفسك واسع بقلبك وقلبك عند الدعاء إلى الصلاة ،

= إذا أذنت وأقمت ، صلى خلفك صفاء من الملائكة وإذا أقمت صلى خلفك صف من الملائكة . الكافي : ٣٠٣/٣ .

ولما قيل له : وكم مقدار كل صف ؟

قال : أقله ما بين المشرق والمغرب . وأكثره ما بين السماء والأرض الإحصاء ٥٩٠ الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٨٠ .

وعن كل من أمير المؤمنين وأبي الحسن الرضا عليهما السلام ، مثله . المصدر السابق

(١) هو الأول والآخر والطاهر والباطن

لأمير المؤمنين عليه السلام في شرحها :

هو الأول لم يزل ، والماقي بلا أجل . لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات ، ولا بالحوارج

والأدوات لا يقال له : متى ؟ . ولا يضرب له مثل - حتى

الطاهر : لا يقال مم ؟ . . والباطن : لا يقال : فيم ؟

لم يقرب من الأشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق .

فالحمد لحلقه مضروب ، وإلى غيره منسوب . الهج . ٦٤/٢ .

وفي ذلك يقول أبو عبد الله عليه السلام :

الأول : لا عن أول كان قبله ، ولا عن بدء سبقه .

والآخر : لا عن نهاية ، كما يعقل من صفات المخلوقين . معاني الأحبار ١٢

ومن هذا اليم العباد اغترف الحيد ، فقال في هذا المعنى قريب لا بالتراق ، ويعيد لا

بافتراق ، ولا كيفية لقرنه ومعينه : روضة الطالين . ١٦٤ .

وما يوجب الفلاح ، وما هو خير الأعمال وأفضلها ، وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه ، واختتمه بذكره كما افتتحت به ، واجعل مبدأك منه ، وعودك إليه ، وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوته ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

في أسرار الإستقبال إلى القبلة :

[(*)] وأما الإستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات إلى بيت الله .

أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله ، ليس مطلوباً منك ؟ ... هيهات هيهات^(١) بل لا مطلوب سواه ، وإنما هذه الظواهر محرّكات للبواطن ، ووسائل إليها ، ومعارج يترقى منها إليها ، وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات على جهة واحدة ، حتى لا تبغي على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتاتها إلى جهاتها ، استتبت القلب ، وانقلبت به عن وجهة الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك [، ومن هنا جاء قول النبي (ص) « أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ؟ »^(٢) فإن ذلك نهى عن الإلتفات عن الله ، وملاحظة عظمته في حال الصلاة فإن الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى ، وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه ، ومن كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه ، فيتحوّل وجه قلبه كوجه الحمار في قلة عقله للأمور العلوية وعدم إكرامه بشيء من العلوم والقرب إلى الله تعالى .

(*) ما بين الحاصرتين : [وأما الإستقبال ... وجه بدنك] مقتبس عن الإحياء : ١٦٦/١ .

(١) هيهات : إسم فعل ماضٍ بمعنى : نَعَدَ ، وكذلك : شَتَّان .

(٢) الحديث : أما يخاف الذي يحول وجهه ... مرآناً .

[(*)واعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفرغ عما سوى الله تعالى وقد قال النبي (ص) « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه وقلبه إلى الله تعالى ، إنصرف كيوم ولدته أمه »^(١) .

وقال الصادق (ع) : « إذا استقبلت القبلة فأيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه ، واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالى ، وعاین بسرّك عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه ﴿ يوم تبلو كل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله مولاهم الحق ﴾^(٢) وقف على قدم الخوف والرجاء »^(٣) .

فإذا توجّهت بالتكبيرات ، فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسّيء عبادتك في جنب عظمته وانحطاط همّتك عن القيام بوظائف خدمته ، واستتمام حقايق عبادته .

وتفكّر عند قولك : اللهم أنت الملك الحق المبين ، لا إله إلا أنت ، سبحانه وبحمده في عظيم ملكه ، وعموم قدرته ، واستيلائه على جميع العوالم .

ثم إرجع على نفسك بالذلّ والإنكسار والإعتراف بالذنوب

(*) ما بين الحاصرتين . [واعلم ، كما أنه لا يتوجه الوجه ولدته أمه] مقتبس عن الإحياء . ١٦٦/١

(١) الحديث . إذا قام العبد إلى صلاته . المصدر السابق ، عوارف المعارف وهالك أحاديث بمعناه .

(٢) الآية . ﴿ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ، ورددوا إلى الله مولاهم الحق وصل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ . سورة يونس : الآية ٣٠

(٣) مصباح الشريعة . من (الباب التاسع والثلاثين) ، في افتتاح الصلاة : ٨٧

والإستغفار^(١) عند قولك : عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

وأحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة ، ومثل نفسك بين يديه ، وأنه قريب منك يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، ويسمع ندائه وأن بيده خير الدنيا والآخرة ، لا بيد غيره ، عند قولك : لبيك وسعديك والخير في يديك .

ونزّهه عن الأعمال السيئة ، وأفعال الشر ، وأبدله بها محض الهداية والإرشاد عند قولك : والشر ليس إليك .

وارغب لهدايته عند قولك والمهدي من هديت .

واعترف له بالعبودية وأن قوام وجودك وبدوه ومعاده منه بقولك عبدك وابن عبدك ، منك وبك ولك وإليك .

أي : منك وجوده ، وبك قوامه ، ولك ملكه ، وإليك معاده^(٢) ، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وله المثل

(١) في الإستغفار : روى الباقون عن جده أمير المؤمنين عليهما السلام ، قال : لما في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه وتعالى مرفوع أحدهما فدونكم الآخر فاستجابوا له ، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أما الأمان الباقي ، فالإستغفار . قال الله جل من قائل : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان معذبهم وهم يستغفرون ﴾ كشكول النهائي : ٢٥٧/٢ . وقال الصادق : من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة غفر الله له سبع مئة ذنب ولا خير في عبد يذنب في كل يوم أكثر من سبع مئة ذنب : إرشاد القلوب : ١٨١ .

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام ، في افتتاح الصلاة : اللهم أنت الملك المعلى ، لا إله إلا أنت ، سبحانه ، إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ذنبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ثم تكبر تكبيرتين ، ثم قل :

لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، لا ملجأ منك إلا إليك سبحانه وحنانك ، تباركت وتعاليت ، تباركت رب البيت . الكافي : ٣/٣١٠ (مع شيء من تصرف قليل) ، الكشكول : ٦٧/٢ .

الأعلى ﴿١﴾ .

فأحضر في ذهنك هذه الحقائق وتَرَقَّ منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار والدقائق وتلقّي الفيض من العالم الأعلى ، فإن أبوابه لا تسدّ عن أحد من القوابل ، ولا يخيب لديه أمل آمل .

اللّهُمَّ أهّلنا لقبول طوابع أسراركَ ، وكملّنا بالوصول إلى لوازم أنواركَ ، واجعلنا من الواقفين على كراسي إرادتك العاكفين على بساط كرامتك ، وتممنا من هذا النقصان ، واهدنا إلى طريق الرّضوان ، وجد علينا بلطف الإحسان ، وأعدنا من صفقة الخسران ، ﴿٢﴾ آتانا من لدنك رحمةً وهيء لنا من أمرنا رشداً ﴿٣﴾ .

(١) سورة الروم : الآية ٢٧ .

(٢) الآية : ﴿ ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ﴾ . سورة الكهف . الآية ١٠ .

أسرار
أركان الصلاة وآدابها

الفصل الثاني

في المقارنات

وهي ثمانية :

الأولى : القيام ووظيفته القلبية .

[(*) تذكر أنك فأنم بين يدي الله تعالى وهو مطّاع على سريرتك
عالم بما تخفي وما تعلن وهو أقرب إليك من جبل الوريد فاعبدته كأنك
تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١) .

وانصب قلبك بين يديه كما نصبت شخصك وطأطىء رأسك الذي
هو أرفع أعضائك ، مطرقاً مستكيناً .

وألزم قلبك التواضع والخشوع والتذلل ، والتبري عن التروّس
والتكبر كلما وضعت رأسك .

وقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزّمان ، وإن كنت تعجز

(*) ما بين الحاصرتين [تذكر أنك قائم . السكون والخضوع] مقتبس عن
الإحياء ١٠ / ١٦٦ ، (مع شيء من تصرف)
(١) إشارة إلى حديث مكرر .

عن معرفة كنه جلاله ، فإنك تجد وجداناً ضرورياً أنك تنقهر عند مكالمته الملك ومحاورته ، وتلزم معه السكون والخضوع] .

وربما يتبع ذلك رعدة البدن^(١) وتلعثم اللسان ، ومنشأ ذلك كله الخوف^(٢) الحادث عند تصوّر عظمته ، فكيف يتصور جبار الجبابرة ، وملك الدنيا والآخرة ؟ فعند ذلك يحصل لك الخوف الذي هو المقصد الذاتي من المعارف ، وكذلك يحصل الرجاء^(٣) ، عند تصوّر عظمته ، واستشعار أنّ الكلّ منه ، فإنّ ذلك باعث على رجائه ، وقد تأكد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف والرجاء فكذاك يستلزم ذا الحياء^(٤) منه لأنّ المتصور عظمة الأمير لا يزال مستشعراً تقصيراً ومتوهماً ذنباً وذلك الإستشعار والتوهم يوجب الحياء من الله تعالى ، وهذه أمور مطلوبة من العابد . [* بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومراقب بعين كائلة^(٥) من رجل صالح من أهلك وممن ترغب أن يعرفك بالصّلاح ،

(١) لأمر المؤمنين عليه السلام . إذا اقتعر حلد العبد ، تحات عه الذنوب ، كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها . عوارف المعارف ١٠٨٠ ، مأخوذ عن حديث مثله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . . كسكول الهائي . ٢١٨/٣
وللصادق عليه السلام إذا اقتعر حلدك ، ودعمت عينك ، ووحل قلبك ، فدونك دونك ، فقد قصد قصدك عدة الداعي : ١٦٧

(٢) الحوف حالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ، وبفوذ مشيئته . الإحياء ١٦٢/١ .

(٣) الرجاء : معرفة لطف الله عز وجل ، وكرمه ، وعميم إنعامه ، ولطائف صعه : المصدر السابق .

(أظهر فصل الحوف والرجاء للصادق عليه السلام في مصباح الشريعة : ١٨٠ - ١٨١)

(٤) الحياء : استتعاره (المصلي) التقصير في العبادة ، وعلمه بالمحز عن القيام بمعظم حق الله عز وجل . الإحياء ١٦٢/١ .

(أظهر فصل الحياء للصادق عليه السلام في مصباح الشريعة : ١٩٠ - ١٩١)

(*) ما بين الحاصرتين [بل قدر في دوام قيامك . . وهو أحق أن يحشى] مقتبس عن

الإحياء ١٦٦/١٠

(٥) كائلة : راعية وحافظة

فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك ، وتخضع جوارحك ، وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخسوع

وإذا أحسست من نفسك بالتماسك والثبات عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها : يا نفس تدعين معرفة الله تعالى أفما تستحين من اجترائك عليه ، مع توفيرك عبداً من عباده .

أو تخشين الناس ولا تخشيه وهو أحق أن يخشى ؟ [.

ألا تستحين من خالقك ومولاك إذا قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك ، وليس بيده خيرك ولا نفعك ولا ضررك ، وخشعت لأجله جوارحك ، وحسنت صلاتك^(١) .

ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك فلا تخشعين لعظمته ، أهو أهون عندك من عبد من عباده ؟ فما أشد طغيانك وجهلك ، وما أعظم عداوتك لنفسك ! .

ولذلك لما قيل للنبي كيف الحياء من الله تعالى ؟ فقال النبي تستحي منه كما تستحي من رجل صالح من قومك^(٢) .

(١) قال العراقي : واعلم أن تحليل الصلاة من الآفات ، وإخلاصها لوجه الله عز وجل ، وأدائها بالشروط الناطقة التي ذكرناها من الخشوع ، والتعظيم ، والحياء ، سب لحصول أبوار في القلب فتكون تلك الأنوار معاني علوم المكاتفة . فأولياء الله المكاشمون بملكوته السموات والأرض ، والأسرار الربوبية ، إنما يكاتمون في الصلاة ولا سيما في السجود . ولذلك قال تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾ . وإنما تكون مكاتفات كل مصل على قدر صفائه من كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة ، وبالحلاء والخفاء ، الإحياء : ١٧٠/١

(٢) البحر لما قيل كيف الحياء من الله ؟ . رواية عن أبي هريرة . الإحياء : ١٠١/١٦٦ ، - أخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق ، وأرسله البيهقي في الشعب -

في أسرار القيام^(*)(١)

[وأما^(*) دوام القيام فهو تنبيه على إدامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور ، قال النبي : «إن الله مقبل على العبد ما لم يلتفت»^(١) .

وكما يجب حراسة العين والرأس من الإلتفات إلى غير الصلاة فكذلك يجب حراسة السر عن الإلتفات إلى غير الصلاة، فإن التفت إلى غيرها فذكره باطلاع الله تعالى عليك ، وقبح التهاون بالمناجى مع غفلة المناجى ليعود إلى التيقظ . والزم الخشوع الباطن فإنه ملزوم الخشوع ظاهراً ومهما خشع الباطن خشع الظاهر .

قال النبي (ص) وقد رأى مصلياً يعث بلحيته : « أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه »^(٢) فإن الرعية بحكم الراعي . ولهذا ورد في الدعاء : اللهم أصلح الراعي والرعية . وهو القلب والجوارح^(٣) .

(*) [القيام وهو عند الحاشية إقامة الصل في الحصرة المقدسة للحق ، وتشمير الدليل لإطاعة الأمر والحروح من التدنار ، والقيام بالإنذار . سر الصلاة ١٥١]

(*) ما بين الحاصرتين [وأما دوام القيام . القلب والجوارح] مقتبس عن الإحياء ١٦٧/١٠ - ١٦٨

(١) الحديث . إن الله مقل على العبد ما لم يلتفت كوز السة ٢٧٩ ، الإحياء ١٦٨/١٠ . - أخرجه أبو داود والسنائي والحاكم - وهالك حملة من أحاديث قرية مه

(٢) الخبر ، رأى رسول الله مصلياً يعث بلحيته . . الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٩ ، إرشاد القلوب ١١٥ ، كشكول الهائي ٢٧٨/١٠ - ٢٧٩ ، الاداب المعسوبة ٢٧٨ ، عوارف المعارف ٣٠٢ ، الإحياء ١٥٨/١٠ - أخرجه الترمذي في الوادر -

ولأمر المؤمنين عليه السلام ، حديث مثانه له لفظاً وفي مناسبة مشابهه الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٩ . وإلى هذا الحال يشير العراقي بقوله :

حظ كل واحد في صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله سبحانه ، القلوب ، دون ظاهر الحركات . الإحياء ١٦٣/١٠

(٣) في الدعاء ، اللهم أصلح الراعي والرعية (يعني : القلب والجوارح) . تفرد بروايته .

وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك وجبار الجبابرة ؟ ومن يطمئن بين يدي غير الله تعالى خاشعاً ثم تضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله تعالى وعن اطلاعه على سرّه وضميره .

وتدبر قول نعالى : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (١) .

في وظائف النية وأسرارها

الثاني في النية : ووظيفتها العزم على إجابة الله تعالى في امثال أمره بالصلاة وإتمامها ، والكفّ عن نواقضها ومفسداتها ، وإخلاصها من جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء ثوابه وطلب القربة منه ، وإن عجزت عن مرتبة عبادته لكونه أهلاً للعبادة التي هي عبادة الأحرار . فإذا فاتتك درجة الأحرار والأبرار فلا تفوتك درجة التجار وهو العمل رجاء للعوض ، فإن فاتتك هذه المرتبة ، فاجلس مع العبيد في مجالسهم وشاركهم في مقاصدهم ، فإنهم إنما يعملون ويخدمون في الغالب خوفاً من الضرب والعقوبة وهي غاية الخوف من العقاب (٢) .

الغزالي ، وتفسيره على هذا النحو ، وتبعه في ذلك رهط من العرفائين ، وعلماء الأخلاق . منهم الفيض ، والخميري ، أعلى الله مقامهما . الآداب المعنوية : ٢٧٨ .

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٩

(٢) إشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام :

إن قوماً عبدوا الله رغبةً ، فتلک عبادة التجار .

وإن قوماً عبدوا الله رهبةً ، فتلک عبادة العبيد .

وإن قوماً عبدوا الله شكراً ، فتلک عبادة الأحرار . النهج : ٥٣/٤ .

وينسب هذا القول للإمام الحسين عليه السلام تحف العقول : ١٧٧ .

كما ينسب لولده زين العابدين عليه السلام . حياة علي بن الحسين للقرشي المحطوط . ١٩٠/١ . وللصادق أيضاً . جامع السعادات ١١٦/٣ ، سر الصلاة : ٢٥ .

وتقلد في نيتك وقصدك المنة لله وتقدس بإذنه إياك في المناجاة مع
سوء أدبك ، وكثرة عصيانك .

وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبما
تناجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة ، وترتعد فرائصك
من الهيبة ، ويصفّر وجهك من الخوف ، كما روي في ما تقدم عن بعض
أزواج النبي (ص) قالت : « كان رسول الله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت
الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ، شغلاً بالله عن كل شيء »^(١) .

وقال الصادق (ع) : « الإخلاص بجميع حواصل الأعمال وهو
معنى مفتاحه القبول ، وأدنى حدّ الإخلاص^(٢) بذل العبد طاقته ، ثم
لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربه مكافأة لعمله ، فإنه لو
طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز ، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة
من جميع الآثام ، وفي الآخرة النجاة من النار ، والفوز بالجنة »^(٣) .

وقال الصادق عليه السلام : « صاحب النيّة الصادقة ، صاحب
القلب السليم لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخلص النيّة
لله في الأمور كلّها .

قال الله تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم ﴾^(٤) .

(١) الخبر . كان رسول الله (ص) يحدثنا ونحدثه . مر ، من حديث عائشه .
(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام . وبالإخلاص يكون الخلاص ، فإذا اشتدّ المزع فإلى الله
المزع الكافي ٤٦٨/٢ ، عدة الداعي . ١٧٧ .
(٣) مصباح الشريعة الباب السادس عشر ، (في الإخلاص) ٣٦ .
(٤) سورة الشعراء الآيات ٨٨ - ٨٩ .

ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة^(١) وتختلف على حسب اختلاف الإيمان ، في معنى قوّته وضعفه .

وصاحب النية الخالصة ، نفسه ، وهواه معه مقهوران تحت سلطان

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه : أول الدين معرفته ، وكمال المعرفة التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال التوحيد الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نقي الصفات عنه حاشية الأصل : ٢٣

وله عليه السلام ما بمعناه في : تحف العقول : ٥١ .

وقال عليه السلام : العلم مقرون إلى العمل ، فمن علم عمل ، ومن عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل ، فإذا أجابه وإلاً ارتحل عدة الداعي . ٧٨ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : لا يقبل الله عز وجل عملاً إلا بمعرفة ، ولا معرفة إلا بعمل . فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له . إن الإيمان بعصه من بعض . أمالي الصدوق : ٣٧٨ .

ويرى نصير الدين الطوسي ، قدس الله روحه ، في بعض رسائله : إن مراتب معرفة الله متفاوتة . أعلاها في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله ، وهي الدرجة العليا ، والمرتبة القصوى . مفتاح الفلاح : ١٢٧ .

وحول حمى كلمة الإمام الأنفة الذكر ، حام الغزالي بقوله :

وخاصية النفس التي للآدمي ، ما يتميز بها عن الهائم . فإنه لم يتميز عنها لقوة في الأكل والوقوع والإبصار ، أو غيرها ، بل ، بمعرفة الأشياء على ما هي عليه . وأصل الأشياء ، وموجدتها . ومخترعها ، هو الله عز وجل ، الذي جعلها أشياء . فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً .

وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه .

وعلامة المحبة ألا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحنات ، كما قال تعالى ﴿ قل إن كان أبنؤكم .. ﴾ فمن كان عنده شيء أحب إلى الله فقله مريض . الإحياء ٦٣/٣

ويرى الخميني أعلى الله درجته ، وثبت في معارج السعادة ، ومرافي الولاية ، قدمه ، بأن الخلوص المطلق من أعلى مدارج الأولياء الكُمل . لأن الإخلاص عبارة عن تصفية العمل من مطلق ما يشوب غير الحق . سر الصلاة : ١٥٨ .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : أوحى الله إلى بعض أنبيائه . قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا لغير الآخرة ، يلبسون للناس مسوك الكباش ، وقلوبهم كقلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وأعمالهم أمر من الصر :

- إياي تخادعون ؟ لا تبحن لكم فتنة تذر الحكيم حيران . عدة الداعي : ٧٩

تعظيم الله والحياء منه «^(١) .

في أسرار تكبيرة الإحرام^(*)

الثالث : تكبيرة الإحرام ومعناها : إنّ الله سبحانه أكبر من كلّ شيء أو أكبر من أن يوصف أو من أن يدرك بالحواس ، أو يقاس بالناس^(٢) ، [^(*) فإذا نطق به لسانك ، فينبغي أن لا يكذبه قلبك ، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنك لكاذب ، وإن كان الكلام صدقاً^(٣) ، كما شهد على المنافقين في قولهم إنّّه (ص) رسول الله^(٤) .

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله ،

(١) الحديث : صاحب البية . والحياء منه . مصاحح التريفة من الباب الثالث والعشرين (في النية) ٥٣٠ .

(*) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . لكل شيء أنفة ، وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى ، (وأنفة الشيء : امتدازه) لسان العرب ١٤/٩

(٢) عرّف أمير المؤمنين عليه السلام التكبيرة الأولى ، بما يلي : لا يلمس بالأخماس ، ولا يدرك بالحواس . الفقيه ٢٠٠/١٠

ويرى أبو حامد الغزالي أن حضور القلب هو روح الصلاة ، وإن أقل ما يبقى به رفق الروح الحضور عند التكبير ، فالقصص منه هلاك . وبقدّر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة . الإحياء : ١٦١/١ .

أما الفيض الكاشاني ، قدس الله سره ، فقد لاحظ القبول والإحراء .

فالقبول ، من العادة ، ما يترتب عليه الثواب في الآخرة ، وتقرب إلى الله زلفى .

والإحراء ما يسقط التكليف عن العبد ، وإن لم يشب عليه . الآداب المعوية : ٨٤ .

(*) ما بين الحاصرتين : [فإذا نطق به لسانك . . . بكرم الله وعفوه] مقتبس عن الإحياء ١٦٦/١ .

(٣) قال أبو سعيد الحراز رحمه الله : إذا العبد قال : الله أكبر ، ويكون في قلبه شيء غير الله فلا يكون صادقاً في قوله : الله أكبر اللمع ٢٠٥ .

(٤) من الآية الكريمة : ﴿ إذا جاءك المنافقون ، قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون ﴾ سورة المنافقون : الآية ١

فقد اتخذته إلهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك : الله أكبر ، كلاماً باللسان المعجّر وقد تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة^(١) والإستغفار^(٢) وحسن الظنّ بكرم الله وعفوه^(٣) . قال الصادق (ع) : « إذا كبرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه .

فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال : « يا كاذب أتخدعني ؟ وعزّتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكرى ولأحجبك عن قربي والمسرّة بمناجاتي »^(٤) .

فاعتبر قلبك حين صلاتك ، فإن كنت تجد حلاوتها ، وفي نفسك سرورها وبهجتها ، وقلبك مسرور بمناجاته ، ملتذ بمخاطباته ، فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك له ، وإلا فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة ، أنّه دليل على تكذيب الله لك ، وطردك عن بابهِ .

(١) قال الصادق عليه السلام التوبة جبل الله ، ومدد عنايته وكل فرقة من العباد لهم توبة ، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر ، وتوبة الأولياء من تلويح الخطرات ، وتوبة الأصفياء من التفتيس ، وتوبة الخاص من الإشتغال بغير الله تعالى ، وتوبة العام من الدسوس . مصباح الشريعة ، الباب الرابع والأربعون (في التوبة) . ٩٧

(٢) روى السكوبي عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير الدعاء الإستغفار . عدة الداعي . ٢٦٥ وقال عليه السلام : إن القلوب تصدأ كصدأ الحاس ، فاجلّوها بالإستغفار . (المصدر السابق) .

(٣) ورد في الحديث القدسي : أما عند حسن ظنّ عبيدي بي ؛ فلا يظنّ عبيدي إلا خيراً . عدة الداعي : ١٤٤ .

وعن الصادق عليه السلام : وليس يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله عز وجل ، إلا كان الله عند حسن ظنه فإن الله كريم يستحي أن يخلف ظنّ عبده ورجاءه . عدة الداعي : ١٤٧

(٤) مصباح الشريعة . الباب التاسع والثلاثون (في افتتاح الصلاة) : ٨٧ - ٨٨ .

في أسرار دعاء التوجه ومعناه :

[وأما(*) دعاء التوجه : فأول كلماته قولك : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر ، فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة ، والله سبحانه تقدس عن أن تحدّه الجهات حتى تقبل بوجهه بذلك عليه ، وإنما وجه القلب هو الذي يتوجه به إلى الله فاطر السموات والأرض .

فانظر إلى وجه قلبك أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق وغيرهما ، متبع للشهوات أم مقبل على فاطر السموات ؟ . . .

وإياك أن تكون مفاتحتك للمناجاة بالكذب والإختلاق فيصرف وجه رحمته عنك ، وقبوله في ما بقي على الإطلاق ، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بالانصراف عمّن سواه ، فإن القلب بمنزلة مرآة وجهها صقيل وظهرها كدر^(١) لا يقبل انطباع الصور، فإذا توجهت إلى شيء انطبع فيها ، واستدبرت غيره ، ولا يمكن انطباعه ، ولهذا كانت الدنيا والآخرة ضربتين ، كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى .

فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً عسى أن يسامحك في الغفلة بعد ذلك .

وإذا قلت : ﴿ حَنِيفاً مسلماً ﴾^(٢) فينبغي أن تحضر في بالك أن

(*) ما بين الحاصرتين : [وأما دعاء التوجه - وهو نفسه دعاء الإستفتاح - فأول كلماته . . . ملائماً للحال] مقتبس عن الإحياء : ١٦٦/١ - ١٦٧ ، بصرف قليل .

وحديث هذا الدعاء أخرجه مسلم من حديث أمير المؤمنين عليه السلام . الإحياء : ١٥٤/١ .

(١) تشبيه مكبر ، ومعاد .

(٢) حنيفاً مسلماً : عن أبي عبد الله عليه السلام : أي حالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عادة الأوثان . الكافي : ١٥/٢ .

المسلم هو الذي « سلم المسلمون من يده ولسانه »^(١) .

فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً . فاجتهد أن تعزم عليه في الإقبال وتندم على ما سبق من الأحوال .

وإذا قلت : ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ فاحضر ببالك الشرك الخفي^(٢) وأنّ قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربّه ﴾^(٣) إلخ ، جعل من يقصده بعبادة ربّه ، وجه الله وحمد الناس مشركاً .

فاستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من

(١) الحديث : المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه .

عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

- ألا أنبئكم بالمؤمن ؟ - من أتتمه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم .

- ألا أنبئكم بالمسلم ؟ - من سلم المسلمون من يده ولسانه .

والمهاجر : من هجر السيئات وترك ما حرم الله .

والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يحدله أو يفتنه أو يدفعه دفعة

الكافي . ٢٣٥/٢ ، ورد بعضه في مكارم الأخلاق . ٤٣٨ ، وفي كنوز السنة . ٤٧٣ ، وهي

رياض الصالحين (باختلاف لفظ) ، رواه البحاري ومسلم .

ولأبي الحسن الرضا عليه السلام بعضه . عيون أخبار الرضا ٢٧/١٠

(٢) الشرك الخفي : وهو الرياء ، وقد سمي الشرك الأصغر . الإحياء : ٣٠١/٣ و ٣٠٦ .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر

قالوا . وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟

قال . الرياء . عدة الداعي . ٢٢٨ ، الإحياء ٢٩٤/٣٠ أخرجه أحمد والبيهقي ورواه

الطبراني . وله شوائب أخفى من ديبب النمل : المصدر السابق ، بل ، أخفى من ديبب

النملة الخرساء ، في سواد الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء . الأنوار

النعمانية . ٣٧٤/٢ . وبما هو بمعناه ، اللمع ١١٧٠ ويسيره شرك . حطبة الديباج لأمير

المؤمنين . تحف العقول : ١٠٦ يقول الله عز وجل : إدهسوا إلى الذين كنتم تراؤون في

الدنيا ، هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم ؟ عدة الداعي : ٢٢٨

(٣) الابن : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ﴾ سورة

الكهف : ١١٠ .

المشركين من غير براءة من هذا الشرك ، فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه .

وإذا قلت : ﴿ محياي ومماتي لله ﴾ فاعلم إن هذا حال عبد مفقود لنفسه موحود سيده وإنه إن صدر^(١) عن غضبه ورضاه ، وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت ، لأمر الدنيا ، لم يكن ملائماً للحال [.

في أسرار القراءة(*) ووظائفها

الرابع : القراءة . ووظائفها لا تكاد تنحصر ، ولا يحيط بها قوّة البشر ، وإن الإعتناء بشأنها يخرج عن وضع الرسالة لأنها حكاية كلام الله جلّ جلاله المشتمل على الأساليب العجيبة والأوضاع الغريبة ، والأسرار الدقيقة ، والحكم الأنيفة ، وليس المقصود منها مجرد حركة اللسان ، بل المقصود معانيها وتدبّرها ، ليستفيد منها حكمة وحقائق ، وأسراراً ، وترغيباً وترهيباً ، وأمراً ونهيّاً ، ووعداً ووعيداً ، وذكر أنبيائه ونعمه^(٢) ، إلى غير ذلك من الفوائد [فإذا(*) قلت : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »^(٣) ، فاعلم أنه عدوك ومترصّد لصرف قلبك عن الله تعالى

(١) صدر (عن الماء) عادعه بعد ري وصله ورد .

(*) إن القراءة ينبغي أن تكون عن قلب حاصر ، وتوجه كامل . بحيث كلما أجرى القارئ إسماً من تلك الأسماء العليا ، والنعوت العظمى ، على لسانه ، أو نقشه على صفحة جسانه ، حصل للمطلوب مزيد إكتساب وإنحلاء ، وأحسن هو تزايد قرب واعتلاء . وهكذا شيئاً فشيئاً إلى أن يترقى من مرتبة الرهاق إلى درجة الحضور والعيان . مفتاح الفلاح . ٢٩١ .

(٢) وذلك محمل ما أتى به القرآن الكريم ، وجماع مواضعه

(*) ما بين الحاصرتين [فإذا قلت . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . . ورتل كما كنت ترتل في الدنيا] مقتبس عن الإحياء . ١٦٧/١ - ١٦٨ بتصرف قليل ، لا يعدو بعض زيادة قليلة لا تقدم ، وحذفاً بزرراً لا يؤخر .

(٣) من الآية . ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتكلمون ﴾ سورة النحل : الآيتان ٩٨ - ٩٩ .

حسداً لك على مناجاتك مع الله تعالى ، وسجودك له ، مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ، وأن استعاذتك بالله منه ، وتركك ما يحبه وتبديله بما يحب الله تعالى ، لا بمجرد قولك : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله ، فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت في مكانه ، فإن ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا تبديل المكان . فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محل^(١) الشيطان ومكاره الرحمن ، فلا ينفعه^(٢) مجرد القول ، فليقرن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله تعالى من شر الشيطان ، وحصنه « لا إله إلا الله » إذ قال تعالى في ما أحبر عنه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم « لا إله إلا الله حصني »^(٣) والمتحصن به من لا معبود له سوى الله تعالى .

(١) وردت . محات . الإحياء : ١٦٨/١

(٢) وردت : عنه . المصدر السابق

(٣) الحدت لا إله إلا الله حصني .

أجمع المحدثون على أنه لما وافى الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام بساور ، وأراد أن يرحل منها اجتمع عليه أصحاب الحديث مقسمين عليه أن يحدثهم حديثاً ينفعهم فروى عليه السلام عن أئمة المعصومين ، عن حده صلى الله عليه وآله وسلم ، عن حريزل ، عن الله عز وجل ، قوله ، تعالى .

« لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي »

فارتفعت الأصوات بالوحيد والهلل ولما تحركت القافلة للمسرة ، أطل برأسه الشريف من المحمل . قائلا .

- بشروطها وأنا من شروطها - أي . الإفراز له بأنه إمام مفترض الطاعة -

عمون أخبار الرضا (بعده أسانيد) : ١٤٣/١ - ١٤٥ و ١٤٨ ، يليها تعلق الصدوق ، قدس الله سره ، مسفيض على هذا الخبر أمالي الصدوق . ٢٠٨ ، معاني الأحبار : ٣٧٠ - ٣٧١ (نص مختلف) ، أمالي المفيد : ٢٦ . الأدب المعسوبة : ٣٧٢ . حياة علي بن الحسين الرازي المخطوط . ١١/٢ . حياة الحسن العسكري للفرشي المخطوط . ٨٦ . عجائب العيران : ٤٠ ، ولأهل العرفان في تفسيرها وحده . المصدر السابق ٤٢ - ٤٣ =

فأما من اتخذ إلهه هواه ، فهو في ميدان الشيطان لا في حصن

الله

ومن دقائق مكائده أن يشغلك في الصلاة بذكر الآخرة وتدبر فعل
الخيرات ، ليمنعك عن فهم ما تقول وتقرأ .

فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس ، فإن
حركة اللسان غير المقصودة ، بل المقصود معانيها كما مر .

والناس في القراءة على ثلاثة أقسام : فمنهم من يحرك لسانه بها ولا
يتدبر قلبه لها ، وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله سبحانه
وتهديده بقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ^(١) ودعاء
نبيه صلى الله عليه وآله : « ويل لمن لأكها بين لحييه ثم لا
يتدبرها » ^(٢) .

ومنهم من يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كأنه
يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين .

ومنهم من يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان قلبه
فيترجمه وهذه درجة المقربين .

وفرق جلي بين أن يكون اللسان ترجمان القلب كما في هذه
الدرجة وبين أن يكون معلمه كما في الدرجة الثانية فالمقربون لسانهم
ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب .

الإحياء ١٦٧/١ ، أرحح الحاكم وأبو نعيم عن طرس أهل بيت السوء وحدث مريب مه
الإحياء ٢٦٣/٤

(١) سورة محمد (ص) ٠ الآية ٢٦

(٢) الحديث ويل لمن لأكها بين لحييه . لم يعثر عليه . وفرب مه الحديث الشريف ٠ نأني
على الساس رماد يتحللون الكلام بالسنتهم ، كما تتحلل الفرة الكلا لسانها .
الإحياء ١٢٠/٣٠

في تفصيل ترجمة القرآن وما يتعلق بها

وتفصيل ترجمة المعاني على سبيل الاختصار أنك إذا قلت :
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (*) (١) ، فانوبه التبرك لابتداء القراءة لكلام
الله تعالى وافهم أن معناه أن الأمور كلها بالله ، وأن المراد ههنا
بالإسم هو المسمى وإذا كانت الأمور كلها بالله فلا جرم كان :

(*) بسم الله الرحمن الرحيم .

القراءة في حديث المعراج .

فلما فرغ [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] من التكرير والإفتتاح ، قال الله تعالى
الآن وصلت إليّ ، فسم باسمي فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أسرار
الصلاة (ت) . ٢٢٧ .

(١) في شرحها : عن أبي عبد الله عليه السلام : الباء : بهاء الله ، والسين : سناء الله . والميم :
محد الله ، (وروى بعضهم : ملك الله) ، والله . إله كل شيء والرحمن لجميع
العالم ، والرحم : بالمؤمنين خاصة . وله ، عليه السلام ، فيها تفسير آخر . معاني
الأخبار . ٣ .

وللحميمي أعلى الله ، في مراتب السعادة ، درجته أول ما طهر من مظاهر الإسم الأعظم مقام
الرحمانية والرحمية الذاتيتين . وهما من أسماء الله الحمالية ، الشاملة على كل الأسماء
مصباح الهداية ١٨ .

و « بسم الله » مطهر الإسم الأعظم ، والمشية المطلقة ، فهو مفتاح الكتاب ومحتامه ،
وفاتحته وحتامه . كما أن إسم الله طهور ويطون ، ومفتاح : محتم . سر الصلاة ١٨٥ .

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ، عندما سئل عن شرحها
أسم على نفسى بسمه (أي علامة) عيون أحوار الرضا ٢٣٦/٢ ، معاني الأخبار : ٣ ،
الآداب المعنوية . ٣٨٨ و ٣٩٥

وعن الشيخ العارف محي الدين إسن عربي ، فيها : ظهر العالم بسم الله الرحمن الرحيم ،
وطهر الوجود بسم الله الرحمن الرحيم . مصباح الهداية ٩٤ و ١٣١

وإله بسر الحسنى ، أعلى الله مقامه ، بقوله : يقول أحد العرفاء سر الصلاة ١٩٠
ولسرمد من شرح « الرحمن الرحيم » ، أسطر مفتاح الفلاح . ٢٨٣ - ٢٨٤ ، المقصد
الأسنى . ٦٥ - ٦٩ .

أما (الله) ، فهو الإسم المحيط ، الباق ، الأعظم ، الأروى ، الأبدى ، السرمدي ، وهو جامع
لجميع مراتب الأسماء الإلهية الإختصاص ١٣٨
وهو يعبر آخر : « إسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الإلهية ، المعنوت بعنوت الربوبية
السفرد بالوجود الحقيقي » . المقصد الأسنى ٦٤

﴿الحمد لله﴾^(*)، ومعناه أنَّ الشكر لله إذ النعم من الله ومن يزي من غير الله نعمة ، أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنَّه مسخر من الله ، ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله .

فإذا قلت : ﴿رب العالمين﴾ فاحضر في قلبك أنَّ العالمين كلَّها مربوب مثلك بربوبيته ، مستغرق في نعمته .

فإذا قلت : ﴿الرحمن الرحيم﴾ فاحضر في قلبك أنواع لطفه لتنتفع لك رحمته^(٢) ، فينبعث بها رجاؤك .

ثم استشعر^(٣) من قلبك التعظيم والخوف بقولك : ﴿مالك يوم الدين﴾^(٤) ، أمَّا العظمة ، فلاَّنه لا ملك إلَّا له ، وأمَّا الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو ماله .

ثم جدّد الإخلاص بقولك : ﴿إياك نعبد﴾^(٥) وجدد العجز

(١) الحمد لله رب العالمين .

(*) في حديث المعراج تم أوحى الله أن أحمدني . فلما قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الذي في نفسه : شكراً !

فأوحى الله تعالى إليه . قطعت ذكرني فسم باسمي

فمن أحل ذلك جعل « الرحمن الرحيم » مرتين أسرار الصلاة (ت) ٢٨١ .

أما « الحمد » فكما نقل الهائي عن بعض المحققين .

« إظهار مرايا المحمود على الغير » فما دام للأعيان وجود في بطن السالك ، فهو يظهر كمالات المحسوب عليهم ، ويدكر مرآياه لديهم . وأمَّا إذا آل أمره ، وترقى حاله ، بسبب ملازمة الأذكار ، وملاحظة الآثار ، إلى ارتقاء الأستار ، واصمحلال الأعيان ، لم يبق سوى المعبود بالحق ، والجمال المطلق مفتاح الفلاح . ٢٩٣

(٢) وردت لتصح . الإحياء ١٦٧/١٠ ، والأفصل كما أنتت ، لقوله تعالى في ما يفتح الله للناس من رحمة

(٣) وردت . استتر المصدر السابق

(٤) مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ، وقرأه القاقون ، ملك مفتاح الفلاح ٢٨٥

(٥) إياك نعبد رجوع العبد إلى الحق ، فالقاء الكنى المصنق سر الصلاة ١٧٣ - ١٧٤

والإحتياج والتبري عن حولك وقوّتك ، بقولك : ﴿ وإياك نستعين ﴾ (*) ،
وتحقّق أنّه ما تيسرت طاعتك إلّا بإعانتة وإنّ المنة له إذ وفّقك لطاعته ،
واستخدمك لعبادته ، وجعلك أهلاً لمنجاته . ولو حرمك التوفيق لكنت
من المطرودين مع الشيطان الرجيم اللعين .

ثمّ إذا فرغت عن التفويض^(١) بقولك : ﴿ بسم الله الرحمن
الرحيم ﴾ وعن التّحميد وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعين
سؤالك ولا تطلب إلّا أهمّ حاجاتك وقل : ﴿ إهدنا^(٢) الصّراط

(*) ﴿ وإياك نستعين ﴾ . نقل التّقاة أن محمود بن عمر الخوارزمي ، لما صنف تفسيره
(الكشاف) . حمّله وأتى به إلى العزالي ليمده بالألطف والإيضاح ، فلما حلّس عده ،
ونقل سبب مجيئه إليه ، قال له العزالي :

ـ كيف فسرّت : إياك نستعين ؟

فقال ، قلت : إن تقديم المفعول يفيد الإحصار .

فقال : إذا أنت من علماء القشر .

فرجع الحوارزمي نادماً على ما فعل . الأنوار النعمانية ٣/ ٦٥-٦٦ ، كتكول
البهائي : ٤٠٥/٣ - ٤٠٦ .

وحول ذلك ، قال بعض المحققين ، يمكن أن يكون في تقديم الصمير على الفعل
أيضاً ، إشارة لطيفة إلى ذلك . فكأنه بتقديمه يشير إلى أن المعبود أحقّ بالتقديم في كل
الملاحظات . فيجب أن يكون نظر العبد في جميع تقلباته ، أولاً ، إليه ، ثم به ، إلى غيره ،
من حيث نسبته إليه ، لا من حيث نفسه . أسرار الصلاة (ت) ٢٤٤

وحول الآية جملة ، قال بعض أهل المعرفة .

كما أن سورة العبد قسمت بين العبد والحق ، كما في الرواية التي ستلي بعد قليل

فمن أول السورة إلى : إياك نعبد — للحق .

و : إياك نعبد وإياك نستعين : — مشترك بين العبد والحق .

ومنها إلى آخر السورة : — مختص بالعبد . سر الصلاة ١٧٣ - ١٧٤

(١) وردت : من التّعوذ ، ومن قولك . . . الإحياء : ١٦٨/١ .

(٢) إهدنا : ويراها الشيخ البهائي - قدس الله سره - ، صمّ أربع :

أ - جلب المنافع ، ودفع المضار .

ب - نصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحق والباطل ، والصّلاح والفساد

ج - إرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

المستقيم ﴿^(١)﴾ الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك .

وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النّسب والصدّيقين والشّهداء والصّالحين^(٢) ، دون الذين غضب الله تعالى عليهم ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ من الكفار الزائغين من اليهود والنصارى والصّابئين^(٣) .

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبهه أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر النبيّ (ص) : « قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ، يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله : حمدني وأثنى عليّ » وهو معنى قوله : « سمع الله لمن حمده . . . » الحديث^(٤) .

= د - الهداية إلى طريق السير إلى حظائر القدس ، والسلوك إلى مقامات الأنس ، ناطمّاس آثار التعلقات البدية ، واندراس أكنادر الحلايب الحسمية ، والإستعراق في ملاحظة أسرار الكمال ، ومطالعة أنوار الحمال مفتاح الفلاح ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(١) الصراط المستقيم . في بعض الأحبار ، رواية عن الصادق والعسكري عليهما السلام أنه أمير المؤمنين عليه السلام ، ومعرفته . معاني الأخبار : ٣٢ - ٣٣ ، أسرار الصلاة (ت) : ٢٤٩ ، وله معاني أخر

(٢) صراط الذين أنعمت عليهم

(٣) غير المغضوب عليهم ولا الضالين

(٤) الحديث . عن الصادق ، عن آئاته المعصومين ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ، قال .

لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول .

قال الله عز وجل قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي ، نصفين فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : « سم الله الرحمن الرحيم » ، قال الله حلّ حلّاله . بدأ عبدي بإسمي وحقّ عليّ أن أتمم أموره وأبارك به في أحواله

وإذا قال « الحمد لله رب العالمين » ، قال حلّ حلّاله . حمدي عبدي ، وعلم أن النعم التي له من عبدي ، وإن البلايا التي اندفعت عنه فتطولي . أشهدكم أنني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة ، وأدفع عنه بلايا الآخرة ، كما دفعت عنه بلايا الدنيا

وإذا قال « الرحمن الرحيم » ، قال حلّ حلّاله : شهد بأبي الرحمن الرحيم ، أشهدكم لاؤفون من نعمتي حطه ، ولاخرل من عطائي بصيبه .

فلو لم يكن من صلاتك حظ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته ،
فناهيك به غنيمةً فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله .

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأ من السور فلا تغفل عن أمره ونهيه ،
ووعده ووعيده ، ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مآله وإحسانه . فلكل واحد
حق : فالرجاء حق الوعد ، والخوف حق الوعيد ، والعزم حق الأمر
والنهي ، والإلتعاض حق الموعظة ، والشكر حق تذكّر المنّة ، والإعتبار
حق أخبار الأنبياء .

= فإذا قال : « مالك يوم الدين » ، قال الله تعالى : أشهدكم ، كما اعترف بأنّي الملك يوم
الدين ، لأسهلن حسابيه ، ولأقبلن حسابه ، ولأحاورن عن سيئاته .
فإذا قال : « إياك نعبد » ، قال : صدق عدي ، إياي يعد . أشهدكم لأنبيائه على عبادته تواباً
يعطيه كل من حالفه في عبادته لي
فإذا قال : « وإياك نستعين » ، قال الله تعالى : بي استعان ، وإليّ التحأ ، أشهدكم لأعيسه
على أمره ، ولأغيثه في شدائده ، ولأخذن بيده يوم نوائه .
فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم » . إلى آخر السورة » ، قال الله تعالى : هذا لعبدي
ولعبدي ما سأل ، فقد استجبت لعبدي ، وأعطيته ما أمل ، وأمنته مما منه وجل . أسرار
الصلاة : ٢٥٧ - ٢٥٨ الأنوار العمانية : ٣٥٥/٢ (بعضه) ، الإحياء : ١٦٨/١ ، عوارف
المعارف : ٣٠٢ - أخرجه مسلم .

وبالجملة ، ففاتحة الكتاب « أفضل القرآن » ، كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم : حواهر القرآن : ٣٧ و ٣٨ . وهي « أشرف ما في كنوز العرش » كما يعتها أمير
المؤمنين عليه السلام . أمالي الصدوق : ٥٥ ، مسند الرضا : ٥١٥/١ ، وهي « السبع
المثاني » ، وهي أفضلهن ، إذ تعدل ، حسب ما في بعض الروايات ، ثلثي القرآن .
لمزيد من تفصيل ، أنظر : مسند الرضا (فضلها) : ٣١/٢ - ٣٢ ، أسرار
الصلاة (ت) : ٢١٤ - ٢٢٤ ، الآداب المعنوية (مع تحقيقات عرفانية وحكمية ، وبحوث ،
وتنبيهات عرفانية ، وأدبية ، وإشراقية ، وفقهية ، وإيمانية) : ٣٩٥ - ٤٥٦ ، سر
الصلاة : ١٧١ - ١٧٤ و ١٨٣ - ٢٢٩ ، التفسير الصوفي للقرآن . ١٢٥ - ١٢٧ ، ومطائنها
أكثر من أن تحصي في شروحات القرآن ، وتفسيره

فيما يتعلّق بقراءة القرآن مطلقاً

تفصيل وظيفة قراءة القرآن :

وتفصيل وظيفة قراءة القرآن لا يحتمله هذا المحلّ لكنّا نذكر جملةً منه في آخر الفصل .

وبالجملة ففهم معاني القرآن يختلف بحسب درجات الفهم ، والفهم يختلف بحسب وفور العلم ، وصفاء القلب ، ودرجات ذلك لا تنحصر والصّلاة مفتاح القلوب ، فيها تنكشف أسرار الكلمات .

فهذا حقّ القراءة وهو أيضاً حقّ الأذكار والتّسبيحات ، ثم يراعى الهيئة^(١) في القراءة زيادة على التدبّر^(٢) فرتّل ولا تسرد^(٣) فإنّ ذلك أيسر للتأمل . ويفرّق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب ، والوعد والوعيد والتحميد والتمجيد والتعظيم ، ورُوي أنّه يقال لقارئ القرآن : « اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا »^(٤) .

(١) وهي مظهر من مظاهر احترام القرآن الكريم ، وتادب أمام المولى تعالى .

(٢) التمعن ، والفهم ، والإتعاظ .

(٣) والسرد أو النثر ، قريبان من « الهدرمة » ، وهي قراءة عجلى ، دون ترتّل

وقد أفاض بذلك أبو عبد الله عليه السلام ، بموله :

« قرأ القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن ، فاتخذ به بضاعة ، واستدرّ به الملوك ، واستطال به على الناس ؛ ورجل قرأ القرآن ، فجمع حروفه ، وضّيع حدوده ، وأقامه مقامه الفندج ؛ فلا شئ الله هؤلاء من حملة القرآن ، ورجل قرأ القرآن ، فوضع دواء القرآن على داء قلبه ، . . أعز من الكريت الأحمر » . الكافي : ٦٢٧/٢ .

(٤) الحديث : يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارق « الإحياء : ١٦٨/١ ، من حديث

عبد الله بن عمر . رياض الصالحين : ٣٨٩ ، وقد رواه أبو داود ، وحسّنه الترمذى .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام من وصيته لإبنه محمد بن الحنفية : واعلم أن درجات الجنة على قدر آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارق . . الحقائق : ٢٥٠ .

وعن ابن مسعود ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ حرفاً من القرآن فله حسنة ، والحسنة بعشر

ومن وظائف القراءة من الأثر قول الصادق عليه السلام : « من قرأ القرآن ولم يحصع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزناً ووجلاً في سرّه ، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى وخسر خُسراناً مبيناً .

ففارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ، وموضع خال ، فإذا خشع لله قلبه ، فرّ منه الشيطان الرجيم . قال الله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ فإذا فرغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض ، فيحرمه نور القرآن وفوائده .

وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين : خضوع القلب وفراغ البدن ، استأنس روحه وسرّه بالله ، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين ، وعلم لطفه بهم ، ومقام اختصاصه لهم ، بفنون كراماته ، وبدائع إشاراته ، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب لا يختار على ذلك الحال حالاً ، ولا على ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة ، لأنّ فيه المناجاة مع الرّب بلا واسطة .

فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ، ومنشور ولايتك ، وكيف تجيب أوامره ، وتجتنب نواهيه ، وكيف تتمثل حدوده فـ ﴿ إنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ ^(١) ، فرتّله ترتيلاً ، وقف عند وعده ووعيده ، وتفكّر في أمثاله ومواعظه ، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه أي : ترتيله ، في إضاعة حدوده ^(٢) .

= أمثالها ، لا أقول لكم : آلم : حرف ، ولكن ألف : حرف ، ولام : حرف ، وميم : حرف . رياض الصالحين ٣٨٨ . أنظر الحديث القدسي الطويل في نهاية موضوع الصلاة في هذا الكتاب .

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٢) مصباح الشريعة : الباب الثاني عشر (في قراءة القرآن) ٢٨٠ - ٢٩ .

في وظائف الركوع^(*)(١) وأسراؤه الركوع :

فإذا وصلت إليه [فجَدَّد^(*)(٢) على قلبك ذكر كبرياء الله تعالى وعظمته وخساسة كل ما سواه ، وتلاشيته ، فارفع يديك^(١) له ، وقل : « الله أكبر » ، مستجيراً في رفعك بعفو الله من عقابه ، ومتبعا سنة نبيه ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، واجتهد في ترقيق قلبك ، وتجديد خشوعك ، واستشعر ذلك ، وعزّز مولاك ، واتضّاعك ، وعلو ربك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك ، وتنزهه ، وتشهد له بالعظمة والكبرياء ، وأنه أعظم من كل عظيم بقولك : « سبحان ربي العظيم وبحمده »^(٢) وتكرّر ذلك على لسانك وقلبك لتؤكد به التكرار ، وتقرّره في ذاتك بالتذكّار ، وكلّما أكثرته فيه ، وازدادت خضوعاً ، زدت عند مولاك رفعة .
ثم ترتفع^(٣) من ركوعك راجياً أنه راحم ذلك ويؤكد^(٤) الرجاء في

(*)^١ الركوع في حديث المعراج :

خاطبه العزيز : فانظر إلى عرشي .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فظرت إلى عظمة ذهبت لها نفسي ، وغشي علي .
فألهمت أن أقول . سبحان ربي العظيم وبحمده ، لعظم ما رأيت . فلما قلت ذلك تحلّى الغشي عني ، حتى قلتها سبعاً ، ألهم ذلك ، فبرجعت إلي نفسي كما كانت . الأداب المعنوية . ٢٠٧ .

(*)^٢ ما بين الحاصرتين [فجدد على قلبك . . . الحمد لله رب العالمين] ، مقتبس عن الإحياء ١٠ / ١٦٩ ، بتصرف قليل .

(١) لأن رفع اليدين هو صرب من الإبتهاال والتنتل والتضرع . فأحب الله عز وجل أن يكون العبد في وقت ذكره له متبتلاً ، متضرعاً . ولأن في رفع اليدين إحضار النية ، وإقبال القلب على ما قال وقصد . عيون أخبار الرضا : ١ / ١١٧ .

(٢) لما نزلت ﴿ سبح باسم ربك العظيم ﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم : إجعلوها في ركوعكم . . . وكانوا يقولون في الركوع : اللهم لك ركعت . تفسير الأعلى : ١ .

(٣) أما رفع الرأس من الركوع ، فانصراف من الكثرات الأسماثية وفناء في الصفات . سر الصلاة . ٢٠٩ .

=

قلبك بقولك : «سمع الله لمن حمده» . أي : أجاب الله لمن حمده وشكره .

ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول : الحمد لله رب العالمين [١] إلخ .

وفي ذلك غاية في الخضوع ومزيد التذلل إذا راعيت ذلك بالحقيقة .

وقد قال الصادق عليه السلام : « لا يركع عبد لله تعالى ركوعاً على الحقيقة إلا زينه الله تعالى بنور بهائه وأظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفياه ، والركوع أول والسجود ثان ، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني . وفي الركوع أدب^(٢) وفي السجود قرب^(٣) ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب .

= (٤) وردت : ومؤكداً . الإحياء : ١٦٩/١ .

(١) وردت : ربنا لك الحمد . المصدر السابق .

(٢) وللإنحناء الركوعي آداب . الأداب المعنوية : ٥٢٣ - ٥٢٤ .

نذكر منها :

أ - استيفاء الركوع ، بمد العنق إلى الأمام قليلاً ، والنظر إلى موضع السجود ، مع استواء الظهر .

وتأويل ذلك ، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : آمنت بالله ولو ضربت عقي . الفقيه : ٢٠٤/١ ، مكارم الأخلاق : ٣٢٠ ، الأنوار العمانية : ٣٦٧ ، أسرار الصلاة (ت) : ٢٦٦ .

ب - إقامة الصلب بعد رفع الرأس ؛ فقد روى الصادق عليه السلام ، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ - من حديث طويل - : من لم يقيم صلبه فلا صلاة له . واخشع ببصرك ، ولا ترفعه إلى السماء ، وليكن نظرك إلى موقع سجودك ، وأشغل قلبك بصلاتك ، فإنه لا يقبل من صلاتك ، إلا ما أقبلت عليه منها بقلبك . الفقيه : ١٩٨/١ .

وعنه (ص) . لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود . محتصر الترغيب والترهيب : ٣٧ - رواه أحمد وأبو داود -

ولأمير المؤمنين عليه السلام حديث مثله . الكافي : ٣٢٠/٣ .

فاركع ركوع خاضع لله بقلبه ، متذلّل ، وجل تحت سلطانه ، خافض له بجوارحه خفض خائف ، حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين .

وحكي أنّ ربيع بن خثيم^(١) كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوع واحد فإذا أصبح تزفر وقال : « أوه ، سبق المخلصون وقطع بنا » . واستوف ركوعك باستواء ظهرك ، وانحط عن همّتك في القيام بخدمته إلّا بعونه ، وقرّ بالقلب عن وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده ، فإنّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ، ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمتهم على سرائرهم^(٢) .

السادس : في وظائف السجود(*) وأسرارها

السجود وهو أعظم مراتب الخضوع وأحسن درجات الخشوع^(٣)

= وكذلك ، لأبي عبد الله عليه السلام ، شبيهه . المصدر السابق .

(٣) إشارة إلى قوله عز وجل . ﴿ واسجد واقترب ﴾ والأحاديث الشريفة المتعلقة بذلك سترد بعد قليل في باب السجود .

(١) الربيع بن خثيم : أحد الرهاد الثمانية . اختلف إلى عبد الله بن مسعود عشرين سنة وأخذ عنه ، لم يرد ذكره في (الأعلام) . قسره في حراسان ، مشهور بضريح الخواجة ربيع . التحرير الطاووسي : ١٠٧ . أنظر بعض المأثور عنه في الإحياء . ١٧١/١ ، كشكول البهائي : ١٥/١ و ٢٢٧ و ٢٣١/٢ و ٩٢/٣ و ٤٥٣ ، صلاة الخاشعين ٥٨٠ .

(٢) مصباح الشريعة : الباب الأربعون (في الركوع) ٨٩٠ - ٩٠ .

وفي هذا الحديث الشريف إشارات وشارات وأدب ووظائف . الآداب المعنوية : ٥٢٧ .

(*) السجود : سر كل الصلاة ، وكل سر الصلاة ، وآخر منزل للقر ، ومنهى النهاية للوصول .

ورمز إليه بعض الواصلين ، بأنه اسقاط الحدث وإثبات القدم .

وبالحملة ، السجدة عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب ، هي غمص العين عن الغير ، والهجرة عن جميع الكثرات حتى كثرة الأسماء والصفات ، والفناء في حضرة الذات ، ولها مقامات . الآداب المعنوية . ٢١٣ .

والسجود صورة الفناء في أقصى درجات الإستكانة . أسرار الصلاة (ت) : ٢٧١ .

(٣) عن ابن عباس : إن الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله . عوارف المعارف ١٦٦٠ .

وأعلى مراتب الإستكانة وأحقّ المراتب باستيجاب القرب إلى الله تعالى وتلقي أنوار رحمته ، ومعاطف كرمه ، كما نبّه عليه الكتاب الكريم في أمره لنبيّه صلى الله عليه وآله ، أن يسجد ووعده على ذلك بأن يقرب^(١) .

فإذا أردت السجود فاستحضر عظمة الله تعالى زيادة على ما حضر حالة الركوع ، وكبره رافعاً يدك وأنت قائم [ثم(*)^١ إهـو إلى السجود ومكّن أعزّ أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب^(٢) فإن أمكنك

(١) من الآية : ﴿ واسجد واقترب ﴾ .

ومن الحديث المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار . « أقرب ما يكون العبد من الله أن يكون ساجداً » . مع اختلاف في بعض اللفظ أحياناً .
الكافي : ٢٦٥/٣ ، الفقيه : ١٣٤/١ ، عيون أخبار الرضا : ١٠/١ ، الإحتصاص : ٦٠ ،
أمالى المفيد : ٦٠ ، مسد الرضا : ١٥٧/٢ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٠٦ ،
الإحياء : ١٤٩/١ ، مكاشفة القلوب : ٢٥٢ - أخرجه مسلم - .

(*) السجود في حديث المعراج :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بعد إتمام الركوع الأول وبيان أسرار) ، فقال [الله تعالى] :
- ارفع رأسك ! .

فرفعت رأسي ، فنظرت إلى شيء ذهب منه عقلي . فاستقبلت الأرض بوجهي ، ويدي .
فألهمت أن قلت : « سبحان ربي الأعلى وبحمده » لعلو ما رأيت . قلتها سبعاً . فرجعت إليّ نفسي . كلما قلت واحدة تجلّى عني الغشي ، فقعدت .
فصار السجود فيه : سبحان ربي الأعلى وبحمده ، وصارت القعدة بين السجدين استراحة من الغشي ، وعلو ما رأيت . فألهمني ربي أن أرفع رأسي ، فرفعت ، ونظرت إلى ذلك العلو ، فغشي عليّ ، فخررت لوجهي واستقبلت الأرض بوجهي ويدي . قلت : « سبحان ربي الأعلى وبحمده » ، قلتها سبعاً .

ثم رفعت رأسي فقعدت قبل القيام لأثني المظر في العلو ، فمن أجل ذلك صارت سجدتين وركعة ومن أجل ذلك صار القعود قبل القيام قعدة خفيفة . الآداب المعنوية : ٢١٧ - ٢١٨ .

(*)^١ ما بين الحاصرتين : [ثم إهـو إلى السجود ... وعد إلى السجود ثانياً] مقتبس عن الإحياء : ١٦٩/١ مع بعض تصرف .

(٢) فبالسجدة على التراب تتم دائرة الكمال الإنساني . سر الصلاة : ٢٢٢ . =

أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل والخضوع .

وهذا هو السر في منع الشريعة من السجود على ما يأكله الآدميون ويلبسونه^(١) لأنه من متاع الدنيا وأهلها الذين اغتروا بغرورها وركنوا إلى زخرفها واطمأنوا إليها فاسلمتهم إلى المهالك ، أحوج ما كانوا إليها .

وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خلقت ، وإليه رددت ، ثم تخرج منها مرة أخرى .

فاحضر في بالك نقلاتك منها ، وإليها ، ثم خروجك منها ، بتكرّر السجود كما ذكر الله تعالى لك بقوله : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾^(٢) .

وعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله تعالى وعلوّه وقل : سبحان ربّي الأعلى وبحمده^(٣) وأكدّه بالتكرار فإنّ المرة الواحدة ضعيفة الأثر في القلب .

= وكان الصادق عليه السلام لا يسجد إلّا على تراب من تربة الإمام الحسين عليه السلام تذلاًّ لله تعالى ، واستكانة إليه . إرشاد القلوب . ١١٥ .

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام : السجود لا يجوز إلّا على الأرض ، أو ما أثبتت الأرض إلّا ما أكل أولس . الفقيه . ١٧٧/١ ، مكارم الأخلاق ٣٤١٠ .

وعنه عليه السلام : لا تسجد إلّا على الأرض أو ما أثبتت الأرض إلّا القطب والكتبان . الكافي ٣٣٠/٣ ، التهذيب ٣٠٣/٢ .

(٢) وتأويل هذه الآية ، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه أفضل التحية والسلام :

السجدة الأولى ، وتأويلها : اللهم إنك منها خلقتنا (يعني من الأرض)

وتأويل رفع رأسك : ومنها أخرجتنا .

والسجدة الثانية : وإليها تعيدنا .

ورفع رأسك . ومنها تخرجنا تارة أخرى ! الفقيه : ٢٠٠/١ ، أسرار الصلاة (ت) : ٢٧١ ،

صلاة الحاشعين . ٦١ - ٦٢ .

(٣) لما نزلت ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم ، إجعلوها في =

فإذا رَقَّ قلبك^(١) ، وظهر ذلك، فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فإنَّ رحمته تتسارع إلى الضعف والذلَّ ، لا إلى التكبر والبطر ، فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتك، ومستغفراً من ذنوبك، ثم أكّد التواضع بال تكرار وعُد إلى السجود^(٢) ثانياً [كذلك فبزيادته يزيد القرب منك ويتكراره تنالك السوانح الإلهية ، وتظهر اللوامع الغيبية^(٣) إذا وقع على وجهه .

قال الصادق عليه السلام : « ما خسر والله قط من أتى بحقيقة السجود ، ولو كان في العمر مرة واحدة ، وما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه، غافلاً لاهياً عما أعدَّ الله للساجدين من أنس العاجل، وراحة الآجل، ولا بُعد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيع حرمة، بتعليق قلبه بسواه في حال سجوده .

-
- = سجودكم ، . . . وكانوا يقولون في السجود : « اللهم لك سجدت » ، تفسير الأعلى : ١ .
- (١) روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام :
إذا رَقَّ قلب أحدكم فليدع ، فإن القلب لا يرق حتى يخلص الكافي : ٤٧٧/٢ ، عدة الداعي : ١٢٥ و ١٧٩ .
- وقال وهيب بن الورد رحمه الله : نظرنا في هذه الأحاديث والآداب ، فلم نجد شيئاً أرقّ لهذه القلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من تلاوة القرآن وتدرسه اللمع : ١٢٥
- (٢) وفي السجدة الثانية سر ، فكأنه أتم فناء عن نفسه سالفه عن جميع آثاره ، فاستحق بذلك أقصى درجات العبودية ، ومقام الشهود ، والبقاء الأبدى أسرار الصلاة (ت) : ٢٧١ .
- فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب ، لأنه يسجد ويطوي بسجوده ساط الكون، ما كان وما يكون . ويسجد على طرف رداء العظمة ، فيقرب . روضة الطالبين : ١٥٩
- (٣) فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الرسولية ، إنما يكاشفون في الصلاة ، لا سيما في السجود . الإحياء : ١٧٠/١ .
- هذا على أن يباشر الأرض بكفيه في حال السجود - كما أشار بذلك أمير المؤمنين عليه السلام - لعله يصرف عنه الغل يوم القيامة . الكافي : ٢٦٥/٣ ، الفقيه : ٢٠٥/١ ، علل الشرائع : ٣٣١ ، الإختصاص : ٦٠ ، أمالي المفيد : ٦١ .
- ولأن اليمين - كما يقول أبو عبد الله عليه السلام - مفتاح الصلاة . الفقيه : ٢٨٥/١ .

فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم أنه خلق من تراب تطأه
الخلق ، وأنه ركب من نطفة يستقذرها^(١) كل واحد ، وَكَوْنٌ ولم يكن وقد
جعل الله تعالى معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسر والروح ،
فمن قرب منه بعد من غيره .

ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوى حال السجود إلا بالتواري عن
جميع الأشياء والإحتجاب عن كل ما تراه العيون ؟

كذلك أمر الباطن . فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء من دون
الله ، فهو قريب من ذلك الشيء ، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في
صلاته .

قال الله عز وجل : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾^(٢)
وقال رسول الله : « قال الله تعالى : ما أطلع على قلب عبد فأعلم فيه
حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي ، وابتغاء مرضاتي ، إلا توليت تقويمه
وسياسته ومن اشتغل في صلاته فهو من المستهزئين بنفسه ، ومكتوب
اسمه في ديوان الخاسرين »^(٣) .

(١) المعنى مستل من إحدى كلم أمير المؤمنين عليه السلام : ابن آدم أوله نطفة مدرة ، وآخره
جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . كشكول البهائي : ١٢٥/٢ .

(٢) الآية : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن
أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو
يهدي السبيل ﴾ . سورة الأحزاب : الآية ٤ .

(٣) مصباح الشريعة : الباب الحادي والأربعون (في السجود) ٩١٠ - ٩٢ .
وقد ورد هذا الحديث القدسي في الجواهر السنية : ١٦٧ ، نقلاً عن هذه الرسالة .

السابع في وظائف التشهد(*) وأسرارہ :

التشهد :

إذا جلست للتشهد بعد هذه الأفعال الدقيقة ، والأسرار العميقة ، المشتملة على الأخطار الجسيمة والأحوال العظيمة فاستشعر الخوف التام ، والرَّهبة والحياء والوجل ، أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ولا محصلاً لوظيفته وشرطه ، ولا مكتوباً في ديوان المقبولين ، فاجعل يدك صفراً^(١) من فوائدها إلا أن يتداركك الله برحمته ، ويقبل عملك الناقص بفضله^(٢) .

وارجع إلى مبدأ الأمر وأصل الدين ، واستمسك بكلمة التوحيد^(٣)

(*) التشهد والسليم في حديث المعراج :

قال [الله لرسوله] بعد الركعة الثانية : إرفع رأسك يا محمد ، ثنك ربك . فلما ذهب ليقوم ، قيل : اجلس ، فجلس فأوحى الله إليه . يا محمد ! ... إذا ما أنعمت عليك فسمِّ باسمي ، فالهم بأن قال : سم الله ، وبالله ، والأسماء الحسنى كلها لله تعالى . ثم أوحى الله إليه : يا محمد ! ... صلِّ على نفسك ، وعلى أهل بيتك فقال : صلى الله عليّ ، وعلى أهل بيتي . ثم التفت ، فإذا صفوف من الملائكة والمرسلين . فقبل : يا محمد ! ... سلم عليهم . فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فأوحى الله إليه : إن السلام ، والتحية ، والرحمة ، والبركات ، لك ولديرتك . أسرار الصلاة (ت) : ٢٨١ - ٢٨٢ .

(١) الحديث : إن ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً .

الإحياء : ٣٠٥/١ . أخرجه أبو داود ، والترمذي .

(٢) قال الغزالي بهذا المعنى : ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخف الأُقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن ، فتد صلاتك في وجهك ، وترجو مع ذلك - أن يقبلها بكرمه وفضله . الإحياء : ١٦٩/١ .

(٣) التوحيد : لا إله إلا الله . . . وهي ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير العبادة . الكافي : ٥٠٦/٢ و ٥١٧ ، مكارم الأخلاق : ٣٠٩ ، عدة الداعي : ٢٦١ ، وهي : أفضل الذكر . رياض الصالحين : ٥٠٢ . والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى . . . =

وحصن الله تعالى^(١) الذي من دخله كان آمناً ، إن لم يكن حصل في يدك غيره ، واشهد له بالوحدانية ، وأحضر رسوله المكرّم ونبيّه المعظم ببالك واشهد له بالعبودية ، والرسالة ، وصلّ عليه وعلى آله مجدداً عهد الله تعالى بإعادة كلمتي الشهادة ، متعرضاً بهما لتأسيس مراتب السعادة ، فإنهما أول الوسائل ، وأساس الفواضل ، وجماع أمر الفضائل مرتقباً لإجابته (ص) لك بصلاتك عشراً من صلاته^(٢) إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً .

قال الصادق (ع) : « التشهد ثناء على الله تعالى فكن عبداً له في السرّ خاضعاً له في الفعل ، كما أنك عبدٌ له بالقول والدّعوى . وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك ، فإنّه خلقك عبداً ، وأمرّك أن تعبد^(٣) بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقّق عبوديتك له ببربوبيته لك وتعلم أن نواصي الخلق بيده^(٤) فليس لهم نفس ولا لحظة إلّا بقدرته ومشيته ، وهم عاجزون عن اتیان أقل شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته .

قال الله عز وجل : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ

= من قال لا إله إلّا الله خالصاً مخلصاً ، دخل الجنة كشكول البهائي ١٨١/٣٠
أنظر ثواب من قال : لا إله إلّا الله ، في : ثواب الأعمال : ٢٠ - ٢٩ .

(١) إشارة إلى الحديث القدسي : لا إله إلّا الله حصني وقد تقدّم .

(٢) قال صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً . الإحياء :

٢٧١/١ . مختصر الترغيب والترهيب : ٢٠ ، رياض الصالحين . ٤٩١ ، تنبيه الغافلين .

- رواه مسلم - .

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام : من صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، صلاة واحدة ، صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة . الكافي : ٤٩٢/٢ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون ﴾ سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وما من دابة إلّا وهو آخذ بناصيتها ﴾ (سورة هود : الآية ٥٦) أي : مالك لها ، يصرفها كيفما يشاء ويريد .

الخير من أمرهم سبحانه الله وتعالى عما يشركون ﴿١﴾ فكن لله عبداً شاكراً بالفعل، كما أنك عبد ذاكر بالقول والدَّعوى، وِصل صدق لسانك بصفاء سرِّك فإنَّه خلقتك ، فعزَّ وجلَّ أن تكون إرادة ومشية لأحد إلّا بسابق إرادته ومشيته ، فاستعمل العبودية في الرضاء بحكمه والعبادة في أداء أوامره .

وقد أمرك بالصلاة على نبيِّه (٢) محمّد صلى الله عليه وآله ، فأوصل صلاته بصلاته، وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته، وانظر أن لا يفوتك بركات معرفة حرمة، فتحرم من فائدة صلاته وأمره بالإستغفار لك والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والأداب وتعلم جليل مرتبته عند الله عز وجل ﴿٣﴾ .

الثامن : في وظائف السّلام وأسراره :

التسليم :

إذا فرغت من التّشهد فأحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين والملائكة المقرّبين وقل : « السّلام عليك أيّها النّبي ورحمة الله وبركاته » ، إلى آخر التسليم المستحب . . . ثم أحضر في بالك النّبي (ص) وبقية أنبياء الله والأئمة (ع) والحفظة لك من الملائكة المقرّبين المحصّين لأعمالك ، وقل : « السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ولا يطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور مخاطب في ذهنك فتكون من العابثين والأعبين .

(١) سورة القصص : الآية ٦٨ .

(٢) بقوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .

(٣) مصباح الشريعة ، الباب الثاني والأربعون (في التّشهد) : ٩٣ - ٩٤ .

وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد ، لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ، ورأفته الكاملة في اجتزائه ذلك من أصل الواجب ، وإن كان بعيداً عن درجات القبول ، منحطاً عن أوج القرب والوصول .

· وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسّلام مع من تقدّم من المقصودين وليقصدوا هم الرّد عليك أيضاً ، ثم ليقصدوا مقصدك بسّلام ثان ، فإذا فعلتم ذلك فقد أدّيتُم وظيفة السّلام ، واستحققتُم من الله تعالى مزيد الإكرام .

وأصل السّلام مشترك بين التحيّة الخاصة وبين الإسم المقدّس^(١) من أسماء الله تعالى ، والمعنى هنا على الأوّل ظاهر ، وعلى الثاني يكون مستعاراً في الخلق بإذن الله للتفاؤل بالسّلام والأمان من عذاب الله تعالى لمن قام بحدوده .

قال الصادق (ع) : « معنى السّلام في دبر كلّ صلاة الأمان . أي من أدّى أمر الله وسنة نبيّه (ص) خاضعاً له خاشعاً منه قلبه ، فله الأمان من بلاء الدنيا والبراءة من عذاب الآخرة . والسّلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه^(٢) في المعاملات والأمانات والإلصاقات وتصديق مصابحتهم فيما بينهم ، وصحّة معاشرتهم . وإذا أردت أن تضع السّلام موضعه وتؤدّي معناه ، فاتّق الله ليسلم منك دينك ، وقلبك ، وعقلك ، لا تدنسها بظلمة المعاصي . ولتسلم حفظتك لا تبرمهم^(٣) ولا تملهم ، وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثم صديقك ثم عدوك

(١) من الآية : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون ﴾ . سورة الحشر : الآية ٢٣ ؛ وتحتها معان مدفوعة لا تنكشف إلا للموقنين . الإحياء : ١ / ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٢) الأمن والأمان

(٣) لا تضرهم .

فإن من لم يسلم منه هو أقرب إليه، فالأبعد أولى. ومن لا يضع السلام بمواضعه هذه، فلا سلام ولا تسليم. وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق»^(١).

تمة الفصل :

إذا أتيت بالصلاة على ما وصفت لك ، فاختمها بالخشوع والخضوع ، والخوف من منقلب الرد وخيبة الحرمان . واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهم أنك مودع في صلاتك هذه ، وإنك ربما لا تعيش بمثلها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « صل صلاة مودع »^(٢) ثم استشعر بقلبك الحياء من التقصير في الصلاة ، والخوف من أن تلف فيضرب بها وجهك^(٣) فإذا فعلت ذلك رجوت أن تكون من الخاشعين ﴿ الذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾^(٤) و﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾^(٥) . [واعرض (*) صلاتك على

(١) مصباح الشريعة . من الباب الثالث والأربعون (في التسليم) : ٩٥-٩٦ .

هذا ، وتنتهي الصلاة - كما بدأت - بالتكبيرات الإختامية .

« وسر التكبيرات الإختامية هو السر الإجمالي للتكبيرات الإفتاحية » . سر الصلاة : ٢٣٥

(٢) الحديث : إذا صليت فصل صلاة مودع ، ولا تحدث بحديث تعتذر منه ، واجمع اليأس مما

في أيدي الناس . الإحياء : ٢٣٩/٣ ، أخرج ابن ماجة ، والحاكم ، والبيهقي (بحوه) .

وهذا الحديث من المشاهير في بابه ومعناه . وقد ورد ضمن الأربع مئة من وصايا أمير المؤمنين

عليه السلام . تحف العقول : ٨٤ . ومن حديث أبي عبد الله عليه السلام . مكارم

الأخلاق : ٣٠٠ ، ثواب الأعمال : ٦١ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٣٦٠ ، أمالي

المفيد : ٦١ . عدة الداعي . ٢٢٨

ولأمير المؤمنين عليه السلام في معنى الشطر الثاني من هذا الحديث : إياك وما تعتذر منه ،

فإنه لا يعتذر من خير : المرجع الأخير .

(٣) مر ذلك في الصلاة التي لا يحضر فيها المصلي قلبه ، فهو عاقل عنها ، ولاه ، وساه .

(٤، ٥) عن الفضيل ، قال : سألت أبا جعفر عن قوله عز وجل : ﴿ الذين هم على صلاتهم

يحافظون ﴾ (المؤمنون : ١٩) ، قال : هي الرخصة .

هذا الوصف . فبقدر ما يتيسر منها كذلك ينبغي أن تفرح وترجو ، وعلى ما يفوتك ينبغي أن تتحسّر وتجتهد في مداواة قلبك ، فإن صلاة الغافل مربع إبليس اللعين نسأل الله أن يغمرنا برحمته ، ويتغمّدنا بمغفرته ، ولا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بوظائف طاعته [.

في وظائف المصلّي عقب الصلاة :

ثمّ عقب ذلك كلّ بالإشتغال بالتعقيب^(١) من الذكر والدعاء ، وبالف في الإخلاص والإنقطاع والإبتغال إلى الله تعالى في مغفرة ذنبك ، وقبول عملك وتلقّي طاعتك ، بيد الرحمة ، فإنّ الفضل عميم ، والكرم جسيم ، والرحمة واسعة ، والجود فائض ، والمحل قابل .

وخلاصة وظائف الدّعاء عقب الصلاة وغيرها ما قاله مولانا

= قلت : «الذين هم على صلاتهم دائمون» (المعارج ٢٣) ، قال هي النافلة . الكافي .
٢٦٩ - ٢٧٠ ، التهذيب : ٢/٢٤٠ ، الوسائ كتاب الصلاة : ٢٥٤
(*) ما بين الحاصرتين : [واعرض صلاتك ... طاعته] مقتبس عن الإحياء : ١/١٧٠ ،
بتصرف قليل .

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السّلام ، في التعقيب : التعقيب أبلغ في طلب الرزق من الضرب .

- والضرب (ها) : السفر من بلد إلى بلد لتحصيل الرزق بالتجارة وغيرها - مفتاح
الفلاح : ٤٨٠ . والمعنى مأخوذ عن أمير المؤمنين عليه السلام في (الجلوس في المسجد
بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) . تحف العقول : ٧٢ - ٧٣ .

وخير التعقيب ، وأفضله - كما ورد في أحاديث أئمة الهدى - تسبيح الزهراء عليها السلام ، وقد
قال فيه الصادق عليه السلام . تسبيح فاطمة في كل يوم ، في دبر كل صلاة ، أحب إلى الله
من صلاة ألف ركعة في كل يوم . الكافي : ٢/٥٠٠ ، مكارم الأخلاق : ٣٠١٠ ، أسرار
الصلاة (ت) ٢٨٣ ، صلاة الخاشعين : ٦٤

ولو كان من تعقيبات ما هو أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة عليها السلام . الكافي :
٣/٣٤٣ أنظر قصة هذا التسبيح ، رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ، في : الفقيه :
١/٢١١ ، علل الشرائع : ٢/٣٦٦ ، مفتاح الفلاح : ٢١٥ - ٢١٦ .

الصادق (ع): «إحفظ أدب الدعاء^(١)، وأنظر من تدعو، وكيف تدعو، ولما تدعو، وحقق عظمة الله تعالى وكبرياءه، وعاین بقلبك علمه بما في ضميرك، واطلاعه على سرّك، وما يكنّ فيه من الحقّ والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك، كي لا تدعوا الله تعالى بشيء عسى فيه هلاكك، وأنت تظنّ أن فيه نجاتك.

قال الله تعالى: ﴿ويدعو الإنسان بالشرّ دعاء بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾^(٢) وتفكّر ما ذ تسأل ولماذا تسأل. والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ، وتذويب المهجة في مشاهدة الرّب، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الأمور كلها - ظاهرها وباطنها - إلى الله تعالى^(٣) فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة ﴿فإنه يعلم السرّ وأخفى﴾^(٤) فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك بخلاف ذلك.

قال بعض الصحابة^(٥) لبعضهم: «أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وأنا أنتظر الحجر»^(٦).

(١) أنظر آداب الدعاء . الإحياء : ٣٠٤/١ - ٣٠٩

(٢) سورة الإسراء : الآية ١١ .

(٣) إذ الإسلام من التسليم لله تعالى يفعل ما يشاء ويريد، كما ورد عن الأئمة الأطهار عليهم السّلام من رسالة أبي عبد الله إلى جماعة الشيعة : واعلموا أن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو الإسلام فمن سلّم أسلم، ومن لم يسلم فلا إسلام له . الكافي : ١١/٨ . وهذا القول مستل من قول أمير المؤمنين عليه السلام، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل : معاني الأحبار : ٣

(٤) الآية : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى ﴾ سورة طه : الآية ٧

(٥) هو مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، من رواة الحديث . كان ورعاً يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة، توفي في البصرة سنة ١٣١ هـ / ٧٤٨ م . الأعلام : ٢٦٠/٥ - ٢٦١ . وعليه، فمالك بن دينار من التابعين، أو تابعي التابعين .

(٦) قيل لمالك بن دينار : أدع لنا ربك !

فقال : إنكم تستبطلون المطر، وأنا أستبطي الحجر الإحياء : ٣٠٨/١، رسالة منهاج العارفين مجموعة (القصور العوالي) : ٩١ .

واعلم أنه لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء لكنا إذا أخلصنا الدعاء
تفضل علينا بالإجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء .

وسئل رسول الله (ص) عن إسم الله الأعظم فقال : « كل إسم من
أسماء الله أعظم ففرغ قلبك عن كل من سواه ، وادعه بأي إسم شئت
فليس في الحقيقة لله إسم دون إسم بل هو الله الواحد القهار »^(١) .

وقال النبي (ص) : « إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب
لاهٍ . . . »^(٢) .

فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرايط الدعاء وأخلصت سرّك لوجهه
فابشر بإحدى ثلاث إما أن يعجل لك ما سألت وإما أن يدخر لك ما هو
أعظم منه ، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما لو أرسله عليك لهلك .

قال النبي (ص) : « قال الله تعالى : من شغله ذكرى عن مسألتي
أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » .

قال الصادق (ع) : « لقد دعوت الله تعالى مرة واحدة فاستجاب لي
ونسيت الحاجة^(٣) لأن استجابته بإقباله على عبده عند دعوته ، أعظم وأجل
مما يريد منه العبد ، ولو كانت الجنة ونعيمها الأبد ولكن لا يعقل ذلك إلا
العاملون المحبّون العارفون الفائزون صفوة الله وخواصّه ، إنتهى »^(٤) .
وهو كاف في وظيفة الدعاء .

(١) بسب الغزالي هذا الحديث إلى أبي يزيد البسطامي . المصدر السابق .

(٢) تجاوز المصنف رسوا الله عليه الحملة التالية : (إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه إلا أعطاه .
فليأس من الناس كلهم . ولا يكر رجاؤه إلا من عند الله عز وجل . فإذا علم الله تعالى ذلك
من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه فإذا أتيت . . .) . مصباح الشريعة : ١٣٣ - ١٣٤

(٣) الحر : قال الصادق عليه السلام . لقد دعوت الله تعالى مرة . . . ينسبه الغزالي لأبي الحسين
الوراق . في رسالته (مهاج العارفين) وهذا غير دقيق من صاحب الإحياء

(٤) مصباح الشريعة من الباب الثاني والستين (في الدعاء) ١٣٢٠ - ١٣٤

وإن عقت بشيء من القرآن فينبغي أن تدبّر بعض وظائفه لتقوم بشروطه، وتمثل برسوم حدوده كما ينبغي ذلك لكل قارئ. وما ورد في ثواب^(١) قراءة القرآن والحث عليه، يخرج ذكره عن موضع الرسالة فلندكر مهم وظائفه ملخصاً وهو أمور :

في وظائف القارئ عند القراءة(*)

الأول : حضور القلب وترك حديث النفس .

قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ أي : بجد واجتهاد . واخذه بالجد أن يتجرد عند قراءته بحذف جميع المشغلات والهموم عنه .

الثاني : التدبّر : وهو طور وراء حضور القلب فإن الإنسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبّره والمقصود من التلاوة والتدبّر .

قال سبحانه : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾^(٣) .

(١) أنظر ثواب تلاوة القرآن في الإحياء : ٦١١/٢ - ٦١٣ .

(*) في وظائف القارئ عند القراءة ، تلخيص لما في الإحياء : ٢٨١ - ٢٨٨ .

وقد وردت تحت عنوان : (في أعمال الباطن في التلاوة) . وهي عشرة .

١ - فهم أصل الكلام ٢ - التعظيم ٣ - حضور القلب ٤ - التدبر ٥ - التفهم

٦ - التخلي عن موانع الفهم ٧ - التخصيص ٨ - التأثر ٩ - الترقى ١٠ - التبري .

(٢) الآية : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ . سورة

النساء : الآية ٨٢ .

(٣) الآية : ﴿ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ . سورة المزمل : الآية ٤ .

لأن الترتيل يمكن الإنسان من تدبر الباطن. قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا خير في عبادة لا فقه فيها ، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها »^(١) .

وإذا لم يمكن التدبر إلا بالترديد فليردده . وقال أبو ذر رضي الله عنه : « قام رسول الله ليلة يردد قوله تعالى : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾^(٢) » .

الثالث : التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله ، وأحوال أنبيائه ، والمكذّبين لهم ، وأحوال ملائكته وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار ، والوعد والوعيد ، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها، فإن تحتها أسرار الدقائق ، وكنوز الحقائق .

قال ابن مسعود : « من أراد أن يعلم علم الأولين والآخرين فعليه بالقرآن »^(٣) .

(١) الحديث : لا خير في عبادة لا فقه فيها . . . منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام . الإحياء : ٢٨٢/١ .

(٢) الخضر . قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه ؛ قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يردد قوله تعالى : ﴿ إن تعذبهم . . . ﴾ . الإحياء : ٢٨٢/١ . أخرجه ابن ماجه ، والسنائي بسند صحيح .

وفي الإستشهاد بالرواية ، للمقام ، ما لا يخفى . وهو منه رضي الله عنه عجب غريب . حاشية الأصل . ٣٤ ، وشبه بذلك قيام الدارمي ليلة نأية : ﴿ أم حبيب الدين اجترحوا السيئات . . . ﴾ .

وقيام سعيد بن جبير رضي الله عنه ليلة بترديد الآية : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ . الإحياء : ٢٨٢/١ .

(٣) قال عبد الله بن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين . . الإحياء : ٢٨٣/١ ، اللمع : ١٠٥ (مع اختلاف في اللفظ يسير) .

قال الله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مداداً ﴾^(١) إلخ .

وقال علي (ع) : « لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب »^(٢) .

فمن لم يتفهم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ، ولو في أدنى المراتب ، دخل في قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾^(٤) .

الرابع : التخلي عن موانع الفهم : فإن أكثر الناس منعوا من فهم القرآن لأستار وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجائب أسرارها قال (ص) : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت »^(٥) ومعاني القرآن وأسراره من جملة الملكوت .

والحجب الموانع منها : الإشتغال بتحقيق الحروف ، وإخراجها من مخارجها ، والتشدد بها ، من غير ملاحظة المعنى وقيل أن المتولي لحفظ ذلك شيطان وكُل بالقرءاء ليصرفهم عن معنى كلام الله تعالى ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ويخيّل إليهم أنه لم يخرج من

(١) الآية : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ . سورة الكهف : الآية ١٠٩ .

(٢) الإحياء : ٢٨٣/١ .

وقال عليه السلام : لو شئت أن أوقر بعيراً من قول : الحمد لله ، لفعلت . . . روضة الطالبين : ١٦٣ .

(٣، ٤) مرثا .

(٥) الحديث : لولا أن الشياطين يحومون . . . الإحياء : ٢٣٢/١ و ٢٨٤ و ١٥٩/٣ . معارج القدس : ١٩٦ ، عوارف المعارف : ٣٢٥ - أخرجه أحمد - أسرار الصلاة (ت) : ٢٠٦ .

مخرجه^(١) ، فيكون تأملّه مقصوداً على مخارج الحروف فأنتى تنكشف له المعاني ؟

وأعظم نسحكة للشيطان من كان مطيعاً مثل هذا التلبس .

ومنها : أن يكون مبتلى من الدنيا بهوى مطاع فإن ذلك سبب لظلمة القلب كالصدأ على المرأة فيمنع جلّة الحق أن يتجلى فيه ، وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكثرون . وكلما كانت الشهوات أكثر تراكم على القلب ، كان البعد عن أسرار الله تعالى أعظم .

ولذلك قال (ص) : « الدنيا والآخرة ضرّتان بقدر ما يقترب من إحداهما يبتعد عن الأخرى »^(٢) .

الخامس : أن يخصّص نفسه بكلّ خطاب من القرآن من أمر أو نهى أو وعد أو وعيد يقدر أنه هو المقصود .

(١) قال التريزي ، صاحب (أسرار الصلاة) : ومن جملة اسداله (الشيطان) سدل وسواس القراءة ، فيوكل إليه من أبنائه من يصرف كل همه لإقامة حروجه ، فيدخله بذلك في إضاعة حدوده ، ويأمر بالتكرار والترديد ليتحقق عنده بحكمه استقامة الحروف وخروجها من مخارجها : أسرار الصلاة (ت) : ٢٠٦ - ٢٠٧ . ويرى ابن الجوزي على صعيد مشابه ، بأنه « قد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول :

الحمد ، الحمد ، . . . فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة ، وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد ، وتارة في إخراج ضاد « المغضوب » .

ولقد رأيت من يقول « المغضوب » فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد ، لقوة تشديده .

ولما المراد تحقيق الحرف فحسب . تلبس إبليس : ١٤٠ .

(٢) الحديث : الدنيا والآخرة ضرّتان . . . لم نعر عليه . وقد ورد : قال بعض أصحابنا ما ملخصه : إن الدنيا والآخرة ضرّتان . الحقائق : ٢١٩ .

ولعل المصنف ، قدس الله سره ، يقصد به ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام :

الدنيا والآخرة عدوان متعاديان ، وسبيلان مختلفان . فمن أحب الدنيا والالها ، أبغض الآخرة وعادها . مثلها مثل المشرق والمغرب . والماشي بينهما لا يزداد عن أحدهما قريباً ، إلا ازداد من الآخر بعداً . تحف العقول : ١٥١

وكذلك إن سمع قصص الأولين والأنبياء عليهم السلام علم أن مجرد القصّة غير المقصود الإعتبار، ولا يعتقد أن كلّ خطاب خاص في القرآن المراد به الخصوص، فإنّ القرآن وسائر الخطابات الشرعيّة واردة على طريقة «إياك أعني واسمعي يا جارة»^(١) وهي كلّها نور، وهدى، ورحمة للعالمين.

ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾^(٢) وإذا قدر أنّه المقصود لم يتخذ دراسة القرآن عملاً، بل قراءته كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتدبّره ويعمل بمقتضاه.

وقال حكيم: «هذا القرآن أتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبّرها في الصلاة، ونقف عليها في الخلوات، ونعدها في الطاعات بالسنن المتّبعات»^(٣).

السادس: التأثير: وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كلّ فهم حال^(٤) ووجد^(٥) يتّصف به عندما يوجّه نفسه في كلّ حالة إلى الجهة التي فهمها: من خوف أو حزن أو رجاء أو

(١) المثل: إياك أعني، واسمعي يا جارة. كناية عن صرف القول إلى غير المخاطب به.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣١.

(٣) قال الغزالي: قال بعض الحكماء: هذا القرآن رسائل أتنا من ربنا عز وجل، بعهوده، نتدبرها في الصلوات. ونقف عليها في الخلوات، ونعدها في الطاعات، والسنن المتّبعات. الإحياء: ٢٨٥/١.

(٤) الحال: منزلة العبد في الحين، فيصمّو له في الوقت حاله، ووقته. وقيل غير ذلك. الإملاء: ١٦.

(٥) الوجد: قيل: الوجد سر صفات الباطن. كما أن الطاعة سر صفات الظاهر. عوارف المعارف: ١١٣.

وقيل: مصادقة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده. الإملاء: ١٨.

غيره ، فيستعدّ لذلك، وينفعل، ويحصل له التأثير والخشية . ومهما قويت معرفته فكانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه .

إنّ التقصير غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلّا مقروناً بشروط يقصر العارف على نيلها كقوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾^(١) فإنه قرن المغفرة بهذه الشروط الأربعة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر ﴾ إلى آخر السّورة^(٢) وذكر فيه أربعة شروط .

وحيث أوجز واختصر ذكر شرطاً واحداً جامعاً لكلّ الشرايط فقال تعالى : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾^(٣) إذ كان الإحسان جامعاً لكلّ الشرايط^(٤) .

وتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة . فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله ، وعند الوعد يستبشر فرحاً بالله ، وعند ذكر الله وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله ، وعند ذكر الكفار في حق الله تعالى ، ما يمتنع عليه ، كالصاحبة والولد ، يغضّ صوته وينكسر في باطنه حياءً من قبح أفعالهم ، ويكبر الله ويقدّسه عمّا يقول البظالمون ، وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوق إليها وعند ذكر النار ترتعد فرائضه خوفاً منها^(٥) .
ولمّا قال رسول الله لإبن مسعود : « إقرأ عليّ » .

(١) سورة طه الآية ٨٢

(٢) وتتمتها : ﴿ إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ﴾ . وهي الشروط الأربعة المنوه عنها .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٦

(٤) . . للإحسان يجمع الكل . الإحياء ١٠ / ٢٨٥ .

(٥) من كلام وهيب بن الورد . المصدر السابق .

قال : « فافتتحت سورة النساء ، فلمّا بلغت ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ ^(١) رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي : « حسبك الآن » ^(٢) .

وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكليّة .

والقرآن إنّما يراد لهذه الأحوال واستجلابها إلى القلب والعمل بها .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه » ^(٣) .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ^(٤) .

والآ فالمؤونة في تحريك اللسان خفيفة .

وروي أنّ رجلاً جاء إلى النبي ليعلمه القرآن فعلمه فانتهى إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ^(٥) فقال يكفيني هذا ، وانصرف .

(١) سورة النساء : الآية ٤١ .

(٢) الخبر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاس مسعود . إقرأ عليّ .

فقال : يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ .

فقال : إني أحب أن أسمع من غيري . . . الإحياء : ٢٨٠/١ و ٢٨٦ ، متفق عليه من حديث

ابن مسعود .

(٣) اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، ولانت له جلودكم ، فإذا اختلفتم فيه فليستم تقرأونه .

وفي رواية : فقوموا عنه . الإحياء : ٢٨٦/١ ، متفق عليه

(٤) سورة الأنفال : الآية ٢ .

(٥) سورة الزلزلة : الآيات ٧ - ٨ .

فقال رسول الله : « إنصرف الرجل وهو فقيه ^(١) .

وأما التالي باللسان المعرض عن العمل بالقلب ، فجدير أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ^(٢) الآية .

وإنما حظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظّ العقل تفسير المعاني ، وحظّ القلب الإلتعاض والتأثر بالإنجار والإيتمار ^(٣) .

السابع : الترقى : وهو أن يوجّه قلبه وعقله إلى القبلّة الحقيقيّة فيسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه .

ودرجات القراءة ثلاث ، أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرأ على الله تعالى ، واقفاً بين يديه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرّع والإبتهال .

والثانية : أن يشهد بقلبه كأنه سبحانه يخاطبه بالطافه ، ويناجيه بانعامه ، وإحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لمنن الله ، والإصغاء إليه ، والفهم منه .

الثالثة : أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ، فلا

(١) الخبر : روي أن رجلاً جاء إلى النبي ليعلمه القرآن . . . الإحياء : ٢٨٧/١ ، «سوروى نهاده الحديث بشكل مختلف . أخرجه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم .

وفيل . أن الرجل هو صمصمه جد الفرزدق الشاعر

(٢) الايكان : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى .

قال : رب لم حشرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً .

قال . كذلك أتتك آياتنا فنسبها ، وكذلك اليوم تنسى ﴿ سورة طه : الا.١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) وسمه الفول عند الغزالي . فاللسان يرسل ، والعسل يبرجم ، والقلب سعط . الإحياء :

١٨٧/١ .

ينظر إلى قلبه ولا إلى قراءته ولا إلى التعلق بالأنعام ، من حيث هو منعم عليه ، بل يقصر الهم على المتكلم ، ويقف فكره عليه ، ويستغرق في مشاهدته ، وهذه درجة المقربين^(١) .

وعنها أخبر جعفر بن محمد الصادق (ع) بقوله : « لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون » وقال أيضاً ، وقد سأله عن حال لحقته في الصلاة حتى خرم مغشياً عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك ، فقال : « ما زلت أردّد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي بمعاينة قدرته^(٢) .

الثامن : التبرّي : والمراد به أن يتبرأ من حوله وقوّته^(٣) فلا يلتفت إلى نفسه بعين الرضا والتركية .

فإذا تلا آيات الوعد ومدح الصّالحين ، حذف نفسه عن درجة الاعتبار ، وشهد فيها الموقنين والصدّيقين ، ويتشوّق إلى أن يلحقه الله بهم .

وإذا تلا آيات المقت والذم للمقصرين شهد نفسه هناك وقدّر أنه

(١) وتمة القول عند الغزالي وما قبله درجة أصحاب اليمين ، وما حرج عن هذا فهو درجات الغافلين : المصدر السابق

(٢) الحبر : قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام . والله ، لقد تحلّى الله عروحل لحلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون

وقال ، وقد أصابته حال قرب في الصلاة وغشي : ما زلت أردّد هذه الآية حتى سمعتها من المتكلم . المصدر السابق وردت بلفظ قريب منه في . مفتاح الفلاح : ٢٩٢ ، كشكول البهائي : ٣/١٢٠ و ٤٤٤ ، الحقائق . ٢٢٣ ، الأنوار النعمانية . ٣٥٥/٢ - ٣٥٦ . أسرار الصلاة (ت) : ١١٩

(٣) وهذا ما التفت إليه أمير المؤمنين عليه السلام ، في صلاته ، فكان يقول وهو يقوم بعد إتمام السجود :

بحول الله وقوته أقوم وأقعد ، وأركع وأسجد . مترئفاً ، عليه السلام ، من كل حول له وقوة

المخاطب خوفاً وإشفاقاً وإلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين (ع) وسيد الوصيين (ع) في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله : « وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم في آذانهم »^(١) إلخ .

ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه .

ومن شاهد نفسه بعين الرضا فهو محجوب بنفسه .

فهذه نبذة من وظائف القراءة وأسرارها وفقنا الله لتلقي الأسرار والحقنا بعباده الأبرار .

في وظائف سجدة الشكر

وإذا وصلت إلى هذا المقام فاسجد سجدتي الشكر^(٢) شكراً لله سبحانه على مزيد الأنعام ، وأحضر انعامه لديك ببالك ، وأياديه عندك في جميع أحوالك ، وقل شكراً شكراً إلى تمام ما يمكنك من المزيد ،

(١) من خطبة لأمير المؤمنين ، عليه السلام ، في وصف المتقين ، استجابة لطلب أحد أصحابه ، وكان يدعى همماً ، وكان عابداً . مكارم الأخلاق : ٤٧٦ ، كشكول الهائي . ٤١٩/٣ - ٤٢٠ .

(٢) عن الصادق ، عليه السلام ، : إنما يسجد المصلي سجدة بعد الفريضة ، يتكر الله تعالى ذكره ، على ما من به عليه من أداء فرضه ، وأدنى ما يحزى فيها : « شكراً لله » ثلاث مرات الفقيه : ٢٢٠/١ .

وقال عليه السلام - من حديث طويل - : سجدة الشكر واجبة (بمعنى الإستحباب المؤكد) ، على كل مسلم ، تتم بها صلاتك ، وترضي ربك ، وتعجب الملائكة منك . وإن العد إذا سجد سجدة الشكر ، فتح الرب تبارك وتعالى الحجاب بين العد وبين الملائكة . « التهذيب ٢٠/٢١٠ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٢٢ - ٤٢٣ ، الجواهر السنية : ٣٤٨ ، أسرار الصلاة (ت) ٢٩٦ ، صلاة الخاشعين : ٦٥ .
وأول من سجد لها أمير المؤمنين عليه السلام قبيل ليلة المبيت . الأنوار النعمانية : ٣٧٠/٢ .
أطر سجد الشكر ، في مفتاح السنة . ٢٣٣ .

فأنت مع ذلك مقصّر عما يجب عليك من التحميد وغاية ما يجب
الإعتراف بالتقصير ، والإستغفار من كلّ قليل وكثير .

اللهمّ ارزقنا العمل بما كشفت لنا من أسرار الآيات ، وزدنا فيضاً
وعرفاناً يكونا لنا سلماً إلى نيل تلك الدرجات ، ووفّقنا لدرك الحقّ
بالتوفيق ، وثبت أقدامنا على مقامات الصدق وحقايق التحقيق ، بفضلك
وجودك العميم ، إنّك أنت الوهاب الكريم .

منافيات الصلاة

- الرياء
- العجب

الفصل الثالث

في ما يبطل الصّلاة وينافيها

في المنافيات :

وهي في هذا المقام ما أبطلت الصلاة أو نقصت كمالها من جهات
قلبية . وهي تنقسم إلى منافيات الكمال وإلى منافيات الصّحة .

وضابط الأوّل ما ينافي الإقبال بالقلب على الله تعالى من حديث
النفس ، والإلتفات إلى أمر دنيوي ، بل الفكر في غير متعلق الصلاة وإن
كان أخروياً ، فإنّه من دقائق مكائد الشيطان^(١) فإنّ المطلوب لله تعالى
والموجب للقبول إنّما هو الإقبال على كلّ فعل من أفعالها حال الإشتغال
فيه كما نبه عليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وإنّما لك من
صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك »^(٢) .

ويدخل في هذا القسم ما عدّه الفقهاء من المكروهات ، كمدافعة
الأخبثين^(٣) ، والنعاس ، والتنخم ، والبصاق ، والعبث ، وغيرها ، فإنّها

(١) قال الغزالي : حجاب الحق عن الخلق أربع . النمس ، والهوى ، والسيطان ، والدنيا
روضة الطالبين : ١٠٧

(٢) تقدم .

(٣) الحديث . يكره للرجل الصلاة وهو يدافع الأخبثين . لسان العرب : ٣٥٤/٥ ، أخرجه =

مشاركة في مضادة الإقبال ، ومنافية للخشوع .

= الطبراني من حديث ابن عمر .
كما نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن صلاة الحاقص ، والحاقب ، والحادق . الإحصاء :
١٥٦/١ .

وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام مثله . فالحاقن : الذي به البول . والحادق : الذي به
الغائط ، والحادق : الذي به ضغطة الخف . معاني الأخبار : ٢٣٧ ، عوارف المعارف .
٣١٩ .

* * *

أما وقد أتينا على نهاية موضوع الصلاة ، بكل ما فيها من حقائق ودقائق ، وتنبيهات وإشارات ،
ومعارف ولطائف ، وأخبار وأسرار ، فلنورد هذا الحديث القدسي الحليل ، المروي في تفسير
الإمام عليه السلام ، فهو إشارة للمصلين ، ونحفة للمتمسكين .

قال : « إذا توجه المؤمن في مصلاه ليصلي ، قال الله عز وجل لملائكته :

- يا ملائكتي ، أما ترون إلى عبيدي هذا ، قد انقطع عن جميع الخلائق إلّى ، وأمنل رحمتي
وجودي ورافتي ؟ . . . أشهدكم أنني أخصه برحمتي وكراماتي .

وإذا رفع يده ، وقال : الله أكبر ! . . . أثنى على الله ، قال الله لملائكته :

- يا عبادي ، أما ترونه كيف كبرني ، وعظمني ، ونزهني عن أن يكون لي شريك أو شبهه أو
نظير ، وتبرأ مما يقول أعدائي من الإشراك ؟

أشهدكم أنني سأكبره وأعظمه في دار جلالي ، وأنزله في تنزهات دار حرامتي ، وأبرئه من
آثامه ، ومن ذنوبه ، ومن عذاب جهنم ، ومن نيرانها .

وإذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقرأ فاتحة الكتاب ، وسورة ، قال الله لملائكته :

- أما ترون عبيدي كيف تلذذ بقراءه كلامي ؟ . . . أشهدكم ، ملائكتي ، لأقول له يوم الصامه :

اقرأ في جناتي ، وارق درجاتي . ولا يزال يقرأ ويرقى بعدد كل حرف درجته من ذهب . ودرجته
من فضة ، ودرجة من لؤلؤ ، ودرجة من جوهر ، ودرجة من زبرجد أخضر ، ودرجة من زمرد
أخضر ، ودرجة من نور رب العزة . . .

فإذا ركع ، قال الله تعالى لملائكته :

- يا ملائكتي ، أترون كيف تواضع لحلال عظمتي ؟ . . . أشهدكم لأعظمه في دار تبريائي
وجلالي .

فإذا رفع رأسه من الركوع ، قال الله تعالى لملائكته :

- يا ملائكتي ، أما ترون كيف يقول : ارتفع على أعدائك ، كما أنواضع لأوليائك ، وأنتصّب
لخدمتك . أشهدكم يا ملائكتي لأجعلن جميل العاقبة له ولأصيرنه إلى حناني .

فإذا سجد ، قال الله تعالى لملائكته :

- يا ملائكتي ، أما ترون كيف تواضع بعد ارتفاعه ، وقال : إني ، وإن كنت جليلاً مكيناً في

وأما منافيات الصّحة فضابطها منافاة الإخلاص واستكثار الطاعة ،
ويدخل في الأوّل : الرياء بأقسامه ، وفي الثاني العجب . والكلام في كلّ
منهما مستوفى ، وذكر أقسامهما وأحكامهما يخرج عن وضع الرسالة ، لكنّا
نذكر المهمّ .

واعلم أنّ الوعيد على هاتين الأفتين في الكتاب والسّنة كثير يخرج
عن حدّ الحصر ، قال الله تعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن
صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون ﴾^(١) .

وقال النبي : « إنّ النار وأهلها يعجّون من أهل الرياء » فويل : « يا
رسول الله وكيف تعجّ النار ؟ » قال : « من حرّ النار التي يعذبون

= دنياك ، فأنا ذليل عند الحق إذا ظهر لي . سوف أرفعه ، وسأدفع به الباطل
فإذا رفع رأسه من السجدة الأولى ، قال الله تعالى :
- يا ملائكتي ، أما ترونه كيف قال : إني وإن تواضعت لك ، سوف أحلط الإنتصاب في
طاعتك ، بالذل بين يديك .
فإذا سجد ثانية ، قال الله تعالى لملائكته :
- أما ترون عبيدي هذا كيف أعاد التواضع لي ؟ لأعيدن إليه رحمتي .
فإذا رفع رأسه قائماً ، قال الله تعالى .
- يا ملائكتي ! . لأرفعه بتواضعه ، كما ارتفع إليّ بصلاته .
ثم لا يزال يقول الله تعالى لملائكته هكذا في كلّ ركعة ، حتى إذا قعد في التشهد الأول ،
والتشهد الثاني ، قال الله تعالى :
- يا ملائكتي ، قد قضى خدمتي وعبادتي ، وقعد يثني عليّ ، ويصلي على محمدٍ نبيي ،
لأثنيّ عليه في ملكوت السموات والأرض ، ولأصليّ على روحه في الأرواح .
فإذا صلى على أمير المؤمنين في صلاته ، قال الله :
- يا عبيدي ! . لأصليّ عليك كما صليت عليه . ولأجعلنه شفيعك كما استشفعت به .
فإذا سلّم من صلاته ، سلم الله عليه ، وملائكته . (إنتهى) . أسرار الصلاة (ت) :
٢٧٨ - ٢٧٩ .

(١) الآيات : ﴿ فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون
الماعون ﴾ . سورة الماعون : الآيات ٤ - ٧ .

فيها» (١) .

وعنه صَلَّى الله عليه وآله قال : « المرائي يوم القيامة ينادى بأربعة أسماء: يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر، ضلّ سعيك وبطل أجرک ولا خلاق لك ، التمس الأجر ممن كنت تعمل له يا مخادع » (٢) .

وعنه (ص) : « إِنَّ الله تعالى يقول : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملاً فأشرك فيه غيري فنصيبى له فأنا لا أقبل إلا ما كان خالصاً لي » (٣) .

وعنه (ص) : « إِنَّ الجَنَّةَ تكلَّمَت وقالت إني حرام على كل بخيل ومراءٍ » (٤) .

وعنه (ص) : « إِنَّ أَوَّلَ من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال فيقول الله عزَّ وجلَّ للقارىء: « ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ » .

فيقول : « بلى يا ربَّ » .

فيقول : « ما عملت في ما علمت ؟ » .

(١) الحديث : إن النار وأهلها يعجبون من أهل الرياء . الأنوار العمانية : ٣٧١/٢ .

(٢) الحديث : المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء (وهي رواية : أسامٍ) . الإحياء : ٢٩٤/٣ و ٢٩٦ . أخرجه ابن أبي الدنيا ، أسرار الصلاة : ٢٠ .

(٣) الحديث القدسي : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك . . . حاشية الأصل : ٣٩ . الكافي : ٢٩٥/٢ ، الحقائق : ٨٥ ومع اختلاف باللفظ ، وحزناً أحياناً ، وقريباً مه أحياناً أخرى في .

مكارم الأخلاق : ٤٥٣ ، عدة الداعي . ٢١٧ ، الحواهر السنية : ١٦٤ و ١٦٧ و ١٦٩ و ٣٥١ و ٣٥٢ ، الإتحافات السنية : ٣٤ و ٣٦ و ٣٧ و ٦٨ . عجائب القرآن : ٤٧ ، الإحياء : ٢٩٤/٣ و : ٣٨٥/٤ ، أربعون الغزالي : ١٢٧ ، تنبيه الغافلين : ٣ .
(٤) لم نثر عليه .

فيقول : « يا ربّ قمت به في آناء الليل وأطراف النهار » .

فيقول الله : « كذبت » وتقول الملائكة : « كذبت » ويقول الله تعالى : « إنّما أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك » .

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى : « ألم أوسع عليك حتى لم أدعك محتاجاً إلى أحد ؟ . . » .

فيقول : « بلى يا ربّ » .

فيقول : « فما عملت في ما آتيتك » .

قال : « كنت أصل الرّحم واتصدّق » .

فيقول الله تعالى : « كذبت » وتقول الملائكة : « كذبت » ويقول الله تعالى : « بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك » .

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى : « ما فعلت ؟ » .

فيقول : « أمرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتى قتلت » .

فيقول تعالى : « كذبت » وتقول الملائكة : « كذبت » ويقول الله تعالى : « بل أردت أن يقال فلان شجاع جريء فقد قيل ذلك » .

ثمّ قال رسول الله : « أولئك خلق الله تسعربهم نار جهنّم »^(١) .

وعن الصادق عليه السلام : « إيّاك والرياء فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له »^(٢) .

(١) الحديث . أول من يدعى يوم القيامة رحل جمع القرآن ورحل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال . . . عدة الداعي : ٢٢٨ ، الإحياء . ٢٩٤/٣ و ٣٧٧/٤ (مختصراً) - رواه مسلم - .
 تنبيه العافلين : ٥ ، (مختصراً ومختلفاً لفظاً) .

(٢) بعض هذا الحديث مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام . إخشوا الله خشيةً ليست =

وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ .

قال : « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية النفس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه »^(١) .

ثم قال : « ما من عبد أسرَّ خيراً فذهبت الأيام حتى يظهر الله له خيراً وما من عبد أسرَّ شراً فذهبت الأيام حتى يظهر له شراً » .
والأثر في ذلك يطول .

وقال الله تعالى في ذم العجب : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم ﴾^(٢) .

وذكر ذلك في معرض الإنكار .

وقال تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾^(٣) وهو أيضاً

= تعبير ، واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة . إنه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله .
الكافي ٢/٢٧٢ ، الحقائق ٨٥

(١) النحر عن الصادق عليه السلام في قوله عز وجل . ﴿ من كان يرجو لقاء ربه ﴾ . قال :
الرجل يعمل شيئاً من الثواب ، لا يرجوه وجه الله تعالى الوسائل (كتاب الصلاة) ، مع
بعض تعبير في اللفظ الحقائق ٨٦

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : من صلى صلاة يرائي بها ، فقد أشرك ثم
قرأ الآية عدة الداعي ٢١٦ ، الأنوار العمانية ٣٧٢/٢ ، جامع السعادات ٤٢٢/٢ ،
الإحياء ٢٩٣/٣

(٢) الآية . ﴿ ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم ﴾ . . سورة
التوبة الآية ٢٥

وحبر قولهم يوم حنين : لا يعلب اليوم من قلة ، أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) .
وليس مردويه في تفسيره من حديث أس .

لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثيرتهم ، فقالوا : اليوم نقاتل ! . ففروا الإحياء : ٣٧٤/٣

(٣) الآيات . ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم
=

راجع إلى العجب بالعمل على وجه .

وقال النبي (ص) : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »^(١) .

وقال الصادق عليه السلام : « من داخله العجب هلك »^(٢) .

وعنه (ع) : « للعجب درجات : منها أن يزین للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ، ويحسب أنه يحسن صنيعاً »^(٣) .

وعنه (ع) قال : « أتى عالم عابداً فقال له : « كيف صلاتك » قال : « مثلي يُسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا ؟ » قال : « وكيف بكاؤك ؟ » قال : « أبكي حتى تجري دموعي » فقال له العالم : « فلن ضحكك وأنت خائف ، خير من بكائك وأنت مدلل ، إن المدلل لا يصعد من عمله شيء »^(٤) .

وعن أحدهما (ع) قال : « دخل المسجد رجلان : أحدهما عابد

= يحسبون أنهم يحسنون صنعا * ﴿ : سورة الكهف الآيات ١٠٣ - ١٠٤
(١) الحديث : ثلاث مهلكات . . . من وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأُمير المؤمنين عليه السلام . كشكول البهائي ٢٠ / ٢٧٧ ، علل الشرائع ٤٢٧ ، جامع السعادات ١٠ / ٣٥٤ ، الأوار النعمانية : ٢ / ٣٨٠ ، عدة الداعي ٢٣٥ - ٢٣٦ ، الحقائق ٩٦ ، الإحياء ١٥ / ١ و ٢٧٨ / ٣ - أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي - ، الحكمة الدلّة : ١٠٨ - ١٠٩
(٢) للصادق عليه السلام : من داخله العجب هلك الكافي ٢ / ٣١٣ ، جامع السعادات : ٣٦٠ / ١ .

ويعزى هذا الحديث لأُمير المؤمنين عليه السلام . مسد الرضا ١٠ / ٤٩٧
(٣) سئل أبو الحسن موسى عن العجب الذي يفسد العمل ، قال العجب درجات الكافي ٢ / ٣١٣ ، معاني الأبحار ٢٤٣ - ٢٤٤ ، جامع السعادات ١ / ٣٥٩
(٤) الحر : أتى عالم عابداً ، فقال له كيف صلاتك ؟ الكافي ٢ / ٣١٣ ، جامع السعادات ١ / ٣٦٠ ، الإحياء ٣ / ٣٧١ (قريب منه) ، عدة الداعي ٢٤٢ (بعضه) الحقائق ٩٦ .

والآخر فاسق ، فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعايد فاسق » (١) .
 وذلك أنه يدخل المسجد العبد مدلاً بعبادته فيدل بها فتكون فكرته
 في ذلك ، ويكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله
 عز وجل مما صنع من الذنوب .
 وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « قال الله تعالى لداود :
 « يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين » .

قال : « كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين » قال : « يا داود بشر
 المذنبين ، إني أقبل التوبة ، وأعفو عن الذنب . وانذر الصديقين أن لا
 يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد يعجب بالحسنات إلا هلك » (٢) .
 واعلم أن الرياء على ضربين : رياء محض ورياء مختلط .
 فالمحض : أن يريد بعمله نفع الدنيا ، وهو أعم من أن يتوصل به
 إلى محرم أو مباح ، أو ليحذر من أن ينظر إليه بعين النقص ، ولا يعد من
 الخاصة .

والمختلط : أن يقصد به ذلك مع التقرب إلى الله تعالى وكلاهما
 مفسد للعمل بل الأول ساقط عن درجة البحث والإعتبار .

والثاني هو الإشراك بالله تعالى في العبادة التي قد تقدم أنه يتركها
 لشريكه وهذا هو الشرك الخفي في هذه الأمة (٣) الذي أشار إليه
 النبي (ص) بأنه في أمته فاش .

(١) عن أحدهما [الباقر أو الصادق عليهما السلام] ، قال : دخل المسجد رجلان ، أحدهما عابد
 والآخر فاسق . الكافي . ٣١٤/٢ .

(٢) الحديث القدسي : قال الله تعالى لداود . يا داود بشر المذنبين . المصدر السابق ،
 جامع السعادات ٣٥٩/١ ، الحواهر السنية ٨١-٨٢ ، عدة الداعي : ٢٣٥-٢٣٦ ،
 الحكمة الحادثة ١٤٢٠ .

(٣) ودلّك في ما مرّ من قوله عز وجل في حديث قدسي أنا أغنى الأغنياء عن الشرك .

ثمَّ المقصود هنا ليس هو البحث عن الفعل الذي يقع ابتداء رياء لأنَّ ذلك باطل في نفسه، ولا يعرض لقلوب العارفين، وإنما الكلام هنا فيما يبتدئ الإنسان به من العبادة خالصاً لله تعالى لا يريد به غيره ، ثم يعرض له ما ينافي الإخلاص على وجه الشوب اللطيف الذي ينبغي التنبيه عليه في مثل هذا المقام [وهو(*)] يأتي على وجهه ، بعضها خفي وبعضها جلي .

أحدها : أن يعقد الصلاة مثلاً على الإخلاص المحض والطاعة والإقبال على الله تعالى بها ، وهو خال من نظر الناس إليه ، فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر ، فيقول له الشيطان : « زد صلاتك حسناً حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ، ولا يزدريك ولا يغتابك » .

فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه ويحسن صلاته وهذا هو الرِّياء الطاريء الظاهر ، الذي لا يخفى على المبتدئين من المريدين، ولكنه في الجملة من شوائب القرب ومنافي الإخلاص .

وثانيها : أن يكون قد فهم من هذه الآفة وأخذ منها حذره ، فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ، ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول : أنت متبوع ، ومقتدى بك ، ومنظور إليك ، وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى فيه بك غيرك ، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت ، وعليك الوزر إن أسأت فاحسن عملك ، فعساه أن يقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة، فتكون شريك من اقتدى بك ، وهلمَّ جراً للحديث المشهور : « إنَّ من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل

(*) ما بين الحاصرتين [وهو يأتي على وجهه . أعظم من مداحله على الجهلاء] مقتبس عن الإحياء ٠ ٣٨٢/٤ - ٣٨٤ ، تصرف قليل زيادة وإقصاء

بها إلى يوم القيامة»^(١) .

وهذه المكيدة أعظم من الأولى وأدق ، وقد ينخدع بها من لا ينخدع بالأولى وهو أيضاً عين الرياء^(٢) ومبطل الإخلاص ، فإنه إذا كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه ، فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ؟

ولا يمكن أن يكون غيره أعزّ عليه من نفسه .

فهذا عين التلبس ، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه ، واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره ، فيكون له الثواب عليه .

وأما فعل الأوّل فمحض النفاق والتلبس ، فيطالب يوم القيامة بتلبسه ، ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متّصفاً به ، وإن أثيب المقتدى به .

وثالثها : وهو أدقّ مما قبلها أن يتنبّه العبد لذلك ، وإنه مكيدة من الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير، محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملاء ، ويستحي من نفسه ومن ربّه ، أن يخشع ، لمشاهدة خلقه ، تخشعاً زائداً على عبادته ، فيقبل على نفسه في الخلاء ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيها في الملاء ، ويصلي أيضاً في الملاء كذلك ،

(١) الحديث : من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة . وفي رواية : وأجر من اتبعه . مفتاح السّنة : ٢٤٦ ، الإحياء ٣٠ / ٣١٧ ، رياض الصالحين : ٩٤ (بعضه) - رواه مسلم - تحف العقول : ١٧٥ .
(٢) الحديث . من صلى صلاة يراي بها فقد أشرك . تقدّم .
وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله لا يقل عملاً فيه مثقال ذرة من الرياء . عدّة الداعي : ٢٢٨ .

للعلّة المذكورة ، وهذا أيضاً من الرّياء الغامض لأنّه حسنّ صلاته في الخلوة لتحسن في الملاء ، فلا يكون قد فرّق بينهما فالتفاتة في الحلاء والملاء إلى الخلق ، بل الإخلاص أن يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة .

فكأنّ نفس صاحب هذه الخطرة ليست تسمح بإساءة الصلاة بين الناس ، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ، ويظن بأنّ ذلك يزول بأن يستوي في صلاته في الخلاء والملاء . هيهات ! . . . بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات والبهائم في الخلاء والملاء جميعاً ، وهذا شخص مشغول الهمّ بالخلق في الخلاء والملاء جميعاً وهذا من المكائد الخفية^(١) .

وإلى هذا الإشارة في الحديث النبويّ : « لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر » فتأمل^(٢) .

ورابعها : وهو أدقّ وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : « إخشع لأجلهم » ، فإنّه قد عرف أنّه لا يصغي لذلك فيقول الشيطان : تفكّر في عظمة الله وجلاله ، ومن أنت واقف بين يديه واستحي أن ينظر الله إلى قلبك وانت غافل عنه ، فيحضر

(١) أشار إليه الحديث الشريف انتقوا هذا الشرك ، فإنه أحصى من ديب النمل الإحياء ٣٠٦/٣ ، رواه اس حنّال ، وقريب منه ، وفي معناه حديث آخر . الإحياء ٢٧٤/٣ و ٣٨٣/٤ ، وقد مرّ ذلك آنفاً

(٢) لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر الأسوار العمانية : ٣٧٣/٢ - ٣٧٤ .

وورد في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي در يا أماذر ، لا يفقه الرجل كل الفقه ، حتى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أحقر حافر لها مكارم الأخلاق ٤٦٥ ، علة الداعي . ٢١٨ .

بذلك قلبه ، ويجمع جوارحه ، ويظنّ إن ذلك عين الإخلاص ، وهو عين المكر والخداع ، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جلال الله وعظمته لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختصّ حضورها بحالة حضور غيره ، وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممّا يألّفه في الخلوة كما يألّفه في الملاء ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر ، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً .

فما دام يفرّق في أحواله بين مشاهدة الإنسان ومشاهدة البهيمة فهو بعد خارج عن صفوة الإخلاص ، مدّنس الباطن بالشرك الخفيّ من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم « من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصّماء » كما ورد به الخبر ^(١) .

ولا يسلم من الشيطان إلّا من دقّ نظره ، وسعد بتوفيق الله تعالى وهديته ، وإلّا فالشيطان ملازم للمتشمّرين لعبادة الله تعالى ، لا يغفل عنهم لحظة حتّى يحملهم على المهالك في كل حركة من الحركات ، حتّى في كحل العين ، وقصّ الشارب ، وطيب يوم الجمعة ، ولبس الثياب الفاخرة فإنّ هذه سنن في أوقات مخصوصة لكن للنفس فيها حظاً خفياً لارتباط نظر الخلق بهما .

فيدخل الشيطان عليه من هذه المداخل إن لم يتيقظ . ولهذا قيل : « ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل » ^(٢) وأريد به العالم البصير بدقائق آفات العبادة حتّى يخلص عنها لا مطلق العالم . فإنّ مداخل

(١) الشرك أحمر في قلب ابن آدم من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصّماء

الأور النعمانية . ٣٧٤/٢ ، الإحياء : ٣٨٣/٤ ، وقد مر ما هو قريب منه .

(٢) الحديث . ركعتان يصلّيهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلّيها العابد . . . من وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمر المؤمنين عليه السلام . مكارم الأخلاق : ٤٤١

الشيطان على كثير من العلماء أعظم من مداخله على الجهلاء] .

وخامسها^(١) : أن يكمل العبادة على الإخلاص المحض ، والنية الصالحة ، لكن عرض له بعد الفراغ منها حب إظهارها ليحصل له بعض الأغراض المحققة للرياء ، خديعة من الشيطان له أنه قد كمل العبادة الخالصة وقد كتبها الله تعالى في ديوان المخلصين ، فلا يقدر فيها ما يتجدد وإنما ينضم إلى ما حصله بها من الخير الأجل خير آخر عاجل . فيحدث به ويظهره لذلك ، فهذا أيضاً مفسد للعمل ، وإن سبق ، كما يفسده العجب المتأخر ، ويدخل في زمرة الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ قل هل تنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾^(٢) .

وقد روي أن رجلاً قال للنبي (ص) : « صمت الدهر يا رسول الله » فقال له : « ما صمت ولا أفطرت »^(٣) .

وروي عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول : « قرأت البارحة البقرة » قال : « ذلك حظي » بل لو كنت باقياً على إخلاصك فيه فقد نقصت منه تسعة وستين جزءاً من سبعين جزءاً ، على ما روي عنهم (ع) : « إن فضل عمل السر على عمل الجهر سبعون ضعفاً »^(٤) .

(١) من المصنف رضوان الله عليه .

(٢) الآيات ٠ ﴿ قل هل تنبئكم بالأخسرين ﴾ . . . سورة الكهف : الآيات ١٠٣ - ١٠٤ ، وقد مرتا .

(٣) الخضر . قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . صمت الدهر يا رسول الله . جامع السعادات : ٤٠١/١ ، الإحياء ٣٠٧/٣ وفي الحديث أيضاً . لا صام من صام الأبد . كنوز السنة : ٢٨٩ . و : إياكم وصوم الدهر الأنوار النعمانية ٦٩/٤٠ .

(٤) الحديث إن فضل عمل السر على الجهر سبعون ضعفاً . أخرج البيهقي من حديث أبي الدرداء ما هو بمعناه ، ومن حديث ابن عمر ما هو قريب منه . الإحياء : ٣٠٧/٣ . =

وعن الصادق (ع) : « من عمل حسنة سرّاً كتبت له سرّاً فإذا أقرّ بها محيت وكتبت جهراً ، فإذا أقرّ بها ثانية محيت وكتبت رياء »^(١) .

فيا لها من كلمة ما أشأَمها، ورزية ما أعظمها، حيث نقص بها حظك وضاع كدحك ، وليتك سلمت من تبعثها فإنّ المرائي لا يسلم ، كما قد عرفت من وعيده ، وهذا كله مع عدم تعلق غرض صحيح في الآخرة بإذاعته ، وأما حصه، كما لو أراد بذلك تنشيط السامع ، وترغيبه في فعل الخير ، مع وثوقه بنفسه ، فلا حرج فيه ، إذا لم يمكن تنشيطه بدونه ، وإلاّ كان أولى .

وقد روى محمد بن مسلم^(٢) عن الباقر (ع) قال : « لا بأس أن تحثّ أخاك إذا رجوت أن تنفعه وتحثه ، وإذا سألك : « هل قمت الليلة أو صمت ؟ » فحدثه بذلك إن كنت فعلته ، فقل قد رزق الله ذلك، ولا تقل لا فإنّ ذلك كذب » .

ومن هنا جاء أفضليّة الصدقة جهراً ليتأسّى به ، والإجهار بصلاة

= وعن أمير المؤمنين عليه السلام : صلاة السر تزيد على الحهر بسعين صعباً إرشاد القلوب : ٩٣ .

وروي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قوله : دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة ، تعدل سبعين دعوة علانية .

وفي رواية أخرى دعوة تحفيها ، أفضل من سبعين دعوة تظهرها . عدة الداعي . ١٥٦ .

(١) عن الصادق عليه السلام : من عمل حسنة سرّاً . عدة الداعي . ٢٣٥ .

(٢) هو محمد بن مسلم بن رباح ، الطحّان ، الأعور ، السّمان ، الطائفي ، الكوفي .

من أصحاب الإمامين : الصادق والكاظم ، عليهما السلام ، ومن حواربي الباقر عليه السلام ، وأقربهم منزلة لديه ، ومن أوثق الساس في زمانه ، وأفقههم ، سمع من الإمام الباقر ثلاثين ألف حديث ، ومن الصادق ستة عشر ألف حديث .

له كتاب الأربع مئة مسألة في أبواب الحلال والحرام . وقد شهد له الصادق بالمعرفة بأحكام الله ، وسنة رسوله . قيل فيه : ما كان أحد من الشيعة أفقه من محمد بن مسلم . مات سنة ١٥٠ هـ . بعضه ، عن (الإختصاص : ٢٠٣) .

الليل زيادة على غيرها ليتنبه أهله وجيرانه فيتأسوا به، ولكن ذلك كله موضع الخطر، فيجب الإحتراس والتيقظ بمراعاة القلب، وكما يكون الإظهار مظنة الرياء ومخاطرته، كذلك الإخفاء فإن فيه أيضاً للشيطان مداخل منها:

[(*) أن يأمره بترك العمل خوفاً من أن يكون مرئياً به، وهذا من جملة خدائعه وفي ترك العمل زوال تحصيل لغرضه، لأن غرضه الأقصى ترك العمل.

ولأنما يعدل بك إلى قصد الرياء وغيره، عند عجزه عن تثبيطك عن العمل، وتزهيدك فيه، فإذا تركته فقد حصلت غرضه، ومثالك في ذلك مثال من سلم إليه موله حنطة فيها تراب، فقال له خلصها من التراب، ونقها منه تنقية بالغة^(١)، فترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم يخلص خلاصاً صافياً، فيترك العمل من أصله.

(*) ما بين الحاصرتين: [أن يأمره بترك العمل. وعقوبة لنفسك، فاعمل.]، مقتبس عن الإحياء: ٣/٣٢٣، مع شيء من تصرف قليل. بعضه في: عدة الداعي: ٢٢٢-٢٢٣. حفلت الصفحة ٤٢، من الأصل، بحواش عديدة، تقتصر على المهم منها: إن لم يتمكن المكلف بالمجاهدة من إخلاص العمل، سقط عنه التكليف بالعمل، لعدم تمكنه من الإمتثال، فتعين الترك. والترك واجب، إذ لا غرض فيه للشيطان أصلاً، بل غرضه منحصر في الفعل الريائي، فتتخلص العبادة فيه وعرض الشيطان تفويت المأمورية على العبد، وله في ذلك طريقان: أحدهما: الحمل على الترك، والثاني: الحمل على الفعل الريائي. والثاني أدخل في غرضه.

تم أن مجرد الخوف من الوقوع في الرياء لا يصير داعياً إلى الترك. إذ ذلك الخوف إنما يقتضي الفرار من الرياء الذي يحصل في أحد أمرين: أحدهما الإمتثال وفعل المأمورية على وجه الإخلاص، أو المأمور تمكبه من ذلك، . . . والثاني. الترك رأساً.

(١) ورد المثل نفسه في: أسرار الصلاة (ت)، وعدة الداعي ٢١٩، بالإضافة إلى الإحياء، كما هو بين.

وهذا تمام الغرض لإبليس اللعين وغاية القصد ، فقد حصلت
أمنيته وأرحته من التعب بك في إفساد العمل وإنّما سبيلك ان تجتهد في
تخليص عملك بالأدوية النافعة ، وتحصيل أمر مولاك .

ومنها : أن يأمره بترك العمل أيضاً لا لذلك بل خوفاً على الناس
أن يقولوا أنّه مرءاء فيعصون الله به ، وهذا أيضاً مع ما قبله رياء خفيّ من
مكائد الشيطان لأنّ ترك العمل خوفاً من قولهم إنّ مرءاء عين الرياء ،
ولولا حُبّه لمحمدتهم وخوفه من دمّهم ، فما له ولقولهم قالوا أنّه مرءاء أو
قالوا أنّه مخلص ؟ .

وأيّ فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال أنّه مرءاء ، وبين أن
يحسن العمل خوفاً من أن يقال أنّه غافل مقصر ؟ بل ترك العمل أشدّ من
ذلك ، وفيه مع ذلك إساءة الظنّ بالمسلمين ، وما كان من حقّه أن يظنّ
بهم ذلك .

ثمّ كيف تطمع أن تتخلص من الشيطان بترك العمل وقد أطعته
فيه ؟ فإنّه لا يخليك أيضاً بل يقول لك : « لأن تقول الناس أنّك تركت
العمل ليقلّ أنك مخلص لا تشتهي الشهرة » إلى غير ذلك من اللعب
بك ، وإنّما خلاصك من ذلك كلّهُ أن تلزم قلبك معرفة آفات الرياء وضرره ،
لتلزم كراهته ، وتشمّر مع ذلك على العمل ولا تبالي ، وتلزم قلبك الحياء من
الله تعالى أيضاً إذ دعتك نفسك إلى أن تهتبدل بحمد الله تعالى حمد
المخلوقين ، وهو مطّلع على قلبك . ولو أطلع الخلق على قلبك وأنك تريد
حمدهم لمقتوك . بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك
وعقوبة لنفسك فافعل [.

ومنها : [(*) أن يقول له أترك العمل لئلا يظنّ الناس بك خيراً

(*) ما بين الحاصرتين : [ومنها أن يقول له : أترك العمل . هذا الوصف] مقتبس عن عدة
الداعي : ٢٢٢ - ٢٢٣

وتشهر به وأحبّ العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا^(١) فإذا عرفت بين الناس بالعبادة ، لم يكن لك حظ من هذا الوصف .

وهذه أيضاً من مكائده ، وما عليك إذا أخلصت العمل لله أن تعرف به أو تجهل ، وإنما عليك مراعاة قلبك ، وإصلاح سرّك ، وكيف تخفى على الناس إذا كنت صالحاً ، وهو تعالى يقول : « عليك إخفاؤه وعليّ إظهاره »^(٢) ويقول : « من أصلح سريره أصلح الله علانيته »^(٣) .

وإياك أن يغرك اللعين عند ذلك ، ويقول إذا كنت لا تترك العمل لذلك فاخف العمل فإن الله تعالى سيظهره عليك ، وأما إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرياء .

وهذا التلبس عين الرياء لأن إخفاءك له كي يظهر عليك بين الناس ، هو بعينه العمل لأجل الناس . وما عليك إذا كان مرضياً لله تعالى أن يظهر أو يخفى ، لولا نظرك إلى رضاء الناس ، إذا تقرّر ذلك فإنك أن تحملك دقائق الإخلاص ، وصعوبة الخلاص ، على الكسل والقفود عن الطاعات ، نظراً إلى ما يحدث في نفسك من السرور بالطاعة ، وزيادة

(١) الحديث : أحب العباد إلى الله الأتقياء الأحياء . عدة الداعي ٢٢٠ و ٢٢٢ - ٢٢٣ الحقائق ١٢٤ باختلاف يسير في اللفظ

(٢) في بعض وحيه جل حلاله عملك الصالح عليك ستره ، وعليّ إظهاره عدة الداعي ٢٢٤

(٣) من روائع كلم أمير المؤمنين عليه السلام : من أصلح سريره أصلح الله علانيته ، ومن عمل لديه كفاه الله أمر دنياه ، ومن أحسن في ما يسه وبين الله أصلح الله ما يسه وبين الناس النهج ٩٩/٤

وبمعناه ، قوله عليه السلام
من أصلح ما يسه وبين الله ، أصلح الله ما يسه وبين الناس . ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه : المصدر السابق كتنكول الهائي ٣٤١/٢٠

الإبتهاج باطّلاع الناس عليك بفعل العبادة ، بل اجتهد في قلع مادة الفساد ، ومجاري الشيطان عنك ، واعمل .

وأما سرورك بالطاعة فإنّ منه محموداً ، ومنه مذموماً ، فالمحمود أن يكون من قصدك وداعيتك إخفاء الطاعة والإخلاص لله سبحانه ولست مستكثراً لعملك . وأما سرورك في أن وفّقك الله للعمل وأخرجك من رتبة البطّالين والغافلين ولم تبلغ بالسرور حدّ العجب الآتي ذكره ، وإذا حصل اطّلاع الناس عليه فلم يحصل من قبلك ، وإنما سررت باطلاعهم نظراً إلى أن الله هو الذي أطلعهم عليه ، وأظهر لهم الجميل ، تكرماً عليك وتفضّلاً ، ونحو ذلك .

والمذموم أن تفرح به استكثاراً وركوناً إليه ، ويظهر الناس عليه ، لقيام منزلتك عندهم ، ليمدحوك ويقوموا بقضاء حوائجك ويقابلوك بالإكرام ، ونحو ذلك فإنّه رياء محض ، ومحبط للعمل ، وأصله حبّ الدنيا ونسيان الآخرة ، وقلة التفكّر في ما عند الله ^(١) .

نسأل الله من فضله أن لا يعاملنا بعدله بل يسامحنا بعفوه ويستر زلاتنا بصفحه أنّه جواد كريم .

في العجب وأقسامه :

وأما العجب فهو استعظام العمل ، والإبتهاج به ، والإدلال به ، وأن يرى العامل نفسه خارجة بسببه عن حدّ التقصير ، وهذا من أعظم المهلكات ، بل الناقل للعمل من كفة الحسنات ، إلى كفة السيئات ، ومن رفيع الدّرجات ، إلى أسفل الدركات ، كما تقدّم في الأخبار . ولذلك

(١) عدة الداعي ٢٢٥ .

قال عيسى (ع) : يا معشر الحواريين كم من سراج قد أطفأه الرّيح وكم من عابد أفسده العجب^(١) .

وروى سعد بن أبي خلف^(٢) عن الصادق (ع) قال : « عليك بالجدّ ولا تخرجن نفسك عن حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته ، فإنّ الله لا يعبد حقّ عبادته »^(٣) .

ومنشأ العجب الغفلة عن عيوب الأعمال وآفات العبادات، وعن نعم الله على العاملين من الخلق^(٤) والأقدار والألطف والتسخير وغير ذلك .

أنظر إلى الأقرب إليك في هذا المقام وهو الصلاة التي هي عمود الدين وأوّل ما ينظر فيه من أعمال ابن آدم فإن ردت ردّ ساير عمله^(٥) وتأمّل حدودها^(٦) التي قد حكيناها مستندة إلى النصوص الصّحيحة، فلا

(١) قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ، كم من سراج ... عدة الداعي . ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) سعد بن أبي خلف الزهري ، ويعرف بالرام ، مولى بني رهرة بن كلاب ، كوفي ، ثقة روى عن أبي عبد الله ، وأبي الحسن عليهما السلام . جامع الرواة : ٣٥٢/١ .

(٣) عن الصادق عليه السلام : عليك بالجد . . عدة الداعي . ٢٣٨ .
ويروى هذا الحديث أيضاً عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، الذي قال لبعض ولده .
يا بني ، عليك بالجد ، لا تخرجن نفسك من حدّ التقصير . الكافي . ٧٢/٢ .

(٤) بيان لتفصيل النعم من خالقهم ، وجعل وجودهم وأقدارهم ، ومن الألطف في حقهم ، كأقسام التوفيقات في اكتساب الطاعات ، وتسخير الآلات كالجوارح والأعضاء ، والأسباب الخارجية ، كبعض دواب الأرض .

قال تعالى . ﴿ وسخر لكم الأنعام لتركبوها ﴾ . حاشية الأصل : ٤٥

(٥) إشارة إلى جملة من الأحاديث التي تقدمت

(٦) عن أبي عبد الله عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف حد . التهذيب : ٢٤٠/٢ ، الفقيه . ١٢٥/١

وعن الصادق عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف باب . المصدر السابق

وقال ابن طاووس - كما ورد في : فلاح السائل - :

جاء في الحديث : أن رراماً مولى خالد بن عبد الله - الذي كان من الأشقياء - ، سأل الإمام =

يكاد يسلم لك صلاة واحدة كاملة تثق من نفسك بقبول الله إياها وهلم جراً إلى غيرها من العبادات، فلكل واحد وظائف وحدود لا تبلغها أعمالنا ولا نقوم بها لغفلتنا ، وقد قال عليّ (ع) : اعملوا عباد الله، إنّ المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلّا ونفسه ظنون^(١) عنده، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها، فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين أمامكم، ففوضوا من الدنيا تفويض الراحل واطووها طيّ المنازل .

فكيف يعجب الإنسان بعمله ويعدّه قائماً بحقوق العبوديّة ووظائف الخدمة لولا استيلاء الغفلة؟ نعم لا يقدح نظر المؤمن إلى نفسه وسروره بما يفعله من العبادة مع حمد الله تعالى على توفيقه لها وطلب الاستزادة من فضله فقد قال أمير المؤمنين (ع) : « من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »^(٢) .

وقال عليه السلام : « ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم ، فإنّ عمل خيراً حمد الله واستزاده ، وإنّ عمل شراً استغفر الله تعالى »^(٣) .

-
- = جعفر بن محمد عليهما السلام ، بحضرة أبي جعفر المنصور ، عن الصلاة وحدودها ، فقال عليه السلام . للصلاة أربعة آلاف حد . لست نهي بواحد منها فقال : أخرني بما لا يحل تركه ، ولا تقل الصلاة إلّا به ؟ فقال عليه السلام : لا تحل الصلاة إلّا لذي طهر سابع ، وتمام بالغ ، غير نازع ولا رائع . . عن : (أسرار الصلاة . ٢٧) .
- (١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعملوا عباد الله إنّ المؤمن لا يصبح ويمسي إلّا ونفسه ظنون عنده (أي : متهمّة لديه بالحياء والتقصير) . . . عدة الداعي ٢٣٩ .
- (٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن : المصدر السابق . وهذا الحديث مأخوذ بشكل شبه حرفي عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرّته حسناته ، وساءته سيئاته ، فذلك المؤمن حقاً . الإحياء : ٧٠/٣ أحرجه أحمد والطبراني ، ومثله في : تحف العقول : ١٢٦ .
- (٣) وقال [علي] عليه السلام : ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم . . عدة الداعي . =

فهذا ما اقتضى الحال ذكره من المنافيات ملخصاً ليوافق الغرض
فإن ذكره هنا بالعرض والله الموفق .

الخاتمة

وأما الخاتمة : ففيها بحثان :

[البحث الأول :

في جبر الخلل الواقع في الصلاة ، بمعنى بيان الدواء المدافع لهذه
المنافيات .

إعلم أن الخلل إن كان من قبيل منافي الإقبال بالقلب على الصلاة
بسبب الأفكار الخارجة عنها فدواؤه تذكرة ما هو فيه ، ومن يناجيه ،
واستشعار الأخطار اللازمة من الغفلة ، وعدم قبول العمل مع شدة
الحاجة إليه من يومه هذا إلى الأبد . فإن التوفيق الواقع من الجنب
الإلهي للمطيع ، فائض في الدارين ، والحاجة إليه حاصلة في
الحالين ، سيما يوم الجزاء الذي يضيق عن وصفه الحال ، ولا يحيط
بتقريره العقل ولا الخيال ، ولا يطيق حمل أهواله الجبال ، وليس فيه
معين مع رحمة الله تعالى وكرمه إلا القيام بالأعمال الصالحة ، والطاعات
المقبولة الرابعة ، فإنها وسيلة الأنوار في تلك الظلمة ، والنجاة من تلك
الشدة ، والجواز على عقبة الساهرة^(١) .

ولا تكتسب الأعمال الصالحة والطاعات المقبولة إلا في هذه الدار
الزائلة وفي هذه المدة القصيرة التي أكثرها قد مضى على الغفلة ويكاد

= ٢٣٩ ، إرشاد القلوب : ١٨٢ .

وقد ورد بلفظه منسوخاً إلى موسى بن جعفر عليه السلام المصدر السابق الإختصاص

. ٢٤٣

(١) الساهرة . أرض القيامة . وعن الأزهري . المكان المستوي . حاشية الأصل : ٤٦ .

واللفظ من الآية الكريمة ﴿ . . فإذا هم بالساهرة ﴾ .

يلحق باقيها بماضيها ، وإن لم يستيقظ الغافل ، ويستدرك ما فرط ،
وليس في تلك الدار إلا الجنة والنار ، والجنة أعدت للمتقين كما أن النار
أعدت للفاستقين .

وبالجملة فالخطر عظيم ، والأمر جسيم والغفلة شاملة ، ونحن مع ذلك
لا نشعر وقد قال النبي (ص) : « تمضي على الرجل ستون سنة أو
سبعون سنة ما قبل الله منه صلاة واحدة »^(١) .

وقال الصادق (ع) لحَمَّاد بن عيسى^(٢) - الذي كان يحفظ في فقه
الصلاة كتاب حريز^(٣) ودعا له الصادق (ع) بأن يحجَّ خمسين حجةً وأن
يكثر الله تعالى ماله وولده فأجيب له في جميع ذلك - ، حين صلى عنده
ركعتين : « ما أقبح الرجل منكم تمضي عليه ستون سنة أو سبعون سنة لا
يحسن أن يتم صلاة واحدة بحدودها »^(٤) .

(١) الحديث : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمضي على الرجل ستون سنة . . تقدم .
(٢) حماد بن عيسى : (أبو محمد) الهنلي - سبة إلى قبيلة جهية - ، كوفي الأصل ، بصري
المسكن ، من أصحاب الصادق ، ومعاصري الإمام الحواد عليهما السلام ، أفاد منهما علماً
حمماً وخيراً كثيراً وقد دعا له الكاظم عليه السلام بأن يرزقه الله داراً وروحة وولداً والحق كل
سنة ، فاستجاب الله له الدعاء . له كتب في الصلاة والزكاة والمواد . وقد روى عنه جمع
كثير . فهو من الثقة .

مات في الحنفية في وادي قاة عرقاً ، وهو في طريقه إلى المدينة للحج سنة ٢٠٨/٢٠٩ هـ
عن عمر نيف على سبعين عاماً ، وقيل : على تسعين الإختصاص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، أربعون
الهائي : ٧٣ .

(٣) حريز بن عبد الله السجستاني : أبو محمد الأسدي ، كوفي الأصل ، سافر إلى سحستان ،
فعرّف بها .

كان تاجر سمن وزيت ، شهر السيف في وجه الشراة (الخوارج) وعلى أيديهم قتل .
من ثقة أصحاب الصادق عليه السلام

له كتب في الصلاة والصوم والزكاة والمواد . وقد روى عنه خلق كثير . المصدران السابقان .
(٤) الحديث . قال الصادق . . ما أقبح بالرجل منكم تمضي عليه ستون سنة أو سبعون سنة .
الفقيه ١٩٦/١ ، التهذيب ٨١/٢٠ ، أمالي الصدوق : ٣٧١ ، أربعون الهائي : الحديث
السابع الوسائل (كتاب الصلاة) : ٦٥٧ .

وقال (ص) : « كم من قارئ للقرآن والقرآن يلغنه ؟ وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » (١) .

إلى غير ذلك من الآثار الدالة على صعوبة الأمر ودقة الخطر .

فإحضار هذا وشبهه وما تقدّم في المقدمة من الأثر ممّا يعين على حضور القلب مضافاً إلى ما سلف من الدواء المعين على ذلك في المطلب الثالث .

وإن كان المنافي من قبيل المفسدات فالعلاج النافع في ما ينافي الإخلاص هو [(*) التفكير في مضرة الرياء وما يفوت بسببه من صلاح القلب وما يُحرم عنه في الحال من التوفيق ، وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى ، وما يعرض له من العقاب العظيم ، والمقت الشّديد ، والخزي الظاهر ، حيث ينادى على رؤوس الأشهاد والعباد : يا فاجرياً غادرياً وراءاً أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله تعالى عرض الدنيا ؟ راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله تعالى ، وتحبّبت إلى العباد بالتبغّض إلى الله تعالى ، وتزيّنت لهم بالشين (٢) عند الله تعالى ، وتقرّبت إليهم بالبعد من

(١) الحديث . كم من قارئ للقرآن . الإحياء : ٢٣٥/١ (بعضه) ، أخرجه السائي وابن مساجه ، وأصله قول عيسى عليه السلام : وكم نال للكتاب منسلح عنه . الحكمة الخالدة : ١٧٠ .

(*) ما بين الحاصرتين : [التفكير في مضرة الرياء . . موتاً ولا حياة ولا نشوراً] مقتبس عن الإحياء : ٣١١/٣ - ٣١٢ . ورد بعضه في . عدة الداعي : ٢٣١ .

(٢) الشين القبيح المعاب . ضد الزين . قال شاعر بي تميم ، الأفرع بن حابس :

إن مدحي زين ، وإن ذمي شين .

فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم كذبت ! . ذاك الله الذي لا إله إلا هو الإحياء ٣١٢/٣ ، أخرجه أحمد .

ومن وصايا المعصوم لشيخته . كونوا زيناً لنا ، ولا تكونوا شيناً علينا .

الله ، وتحمّدت إليهم بالتذمّم عند الله ، وطلبت رضاهم بالتعرّض لسخط الله ، أما كان أحد أهون عليك من الله تعالى^(١) ؟ . . .

فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد بالتزيّن لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة ، وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال ، مع أن العمل الواحد ربّما كان يترجّح به ميزان حسناته لو خلص ، فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفة السيئات فترجّح به ، بعد أن كان مرجوحاً ويهوي العبد إلى النار .

فلو لم يكن في الرياء إلّا إحباط عبادة واحدة، لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره، وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة ، فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيّين والصديقين وقد حطّ عنهم بسبب الرياء ، وردّ إلى صفّ النعال من مراتب الأولياء ، إن لم يستوجب النار والخزي والطرد من الملك الجبار، هذا مع ما يعرض له في الدنيا من تشتّت الهمّ بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإنّ رضاء الناس غاية لا تدرك، فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق ، ورضاء بعضهم في سخط بعض، ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه، وأسخطهم أيضاً عليه، كما ورد في الأخبار^(٢) ودلّت عليه التجربة .

ثمّ أيّ غرض له في مدحهم وإيثار ذمّ الله تعالى لأجل حمدهم ولا

(١) الحديث . يا فاجر ، يا غادر . . . تقدّم .

(٢) قال الصادق عليه السلام : حدثني أبي عن أبيه ، قال : إن رجلاً من أهل الكوفة كتب إلى أبيي ، الحسين بن علي عليه السلام : « يا سيدي ، أخبرني بخير الدنيا والآخرة ! . . » . فكتب صلوات الله عليه : سم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ! . فإن من طلب رضا الله سخط الناس كفاه الله أمور الدنيا . ومن طلب رضا الناس بسخط الله . وكله الله إلى الناس ، والسلام . الإختصاص : ٥٢٥ .

وهذا القول مستلّ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، في حديثه عن النجاة : . . . أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس عدة الداعي : ٢٢٨

يزيد مدحهم رزقاً ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته ، وهو يوم القيامة .

وأما الطمع لما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المستخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله تعالى ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة والمقت والإهانة ، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة ، ومن اعتمد على الله تعالى وجعل همه معه ، كفاه الله تعالى همه في الدنيا والآخرة^(١) .

فكيف يترك ما عند الله لرجاء كاذب ووهم فاسد ؟ وقد يصيب وقد يخطيء ، وإذا أصاب فلا نفي لذته بآلم منته ومدلته .

وأما ذمهم فلم يحذر منه ، ولا يزيد ذمهم شيئاً ما لم يوافقهم الله تعالى عليه ، ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ، ولا يبغضه إلى الله تعالى إن كان محموراً عند الله تعالى ، ولا يزيده مقتاً إن كان ممقوتاً عند الله ، فالعباد كلهم عجرة ﴿ لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾^(٢) بل العقل والنقل والتجربة قد أذنت بخلاف ذلك كله وأن المخلص أعماله لله يحبه الله إلى المخلوقين الصالحين والفساقين بل إلى كثير من الكافرين . فتراهم يعظمونه ، ويوقرونه ، ويلتمسون بركته ، مع ضعفه وفقره ، وقلة ذات يده ، وقلة عمله .

والمرائي يظهر الله تعالى الخلق على باطنه ، وخبث نفسه ، وفساد نيته ، فيمقتونه ، ولا يفوز بمطلبه ويضيع تعب ، ويبطل سعيه .

كما روي أن رجلاً من بني إسرائيل قال : « والله لأعبدن الله عبادة

(١) التعبيران : .. ودلت عليه التجربة . ، و : من اعتمد على الله تعالى . . الدنيا والآخرة ، من الشهيد رضوان الله عليه .

(٢) سورة الفرقان . الآية ٣ .

أذكر بها « فكان أول داخل للمسجد وآخر خارج منه لا يراه أحد حين الصلاة إلا قائماً يصلي ، وصائماً لا يفطر ، ويجلس إلى حلق الذكر ، فمكث بذلك مدة طويلة .

وكان لا يمرّ بقوم إلا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع^(١) .

فأقبل على نفسه وقال : « أراني في غير شيء لأجعلن عملي كله لله » فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك ، إلا أنه تغيّرت نيّته إلى الخير .

فكان ذلك الرجل يمرّ بعد ذلك بالناس فيقولون رحم الله فلاناً ، الآن أقبل على الخير .

وقد نبّه الله تعالى على ذلك في كتابه فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِثْقًا ﴾^(٢) .

ثمّ هب أنهم أحبّوك وأكرموك وخفي خبثك عليهم ، مع أن الله تعالى مطلع على فساد نيّتك ، وخبث سريرتك . [فأأي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار ؟ .

وأأي شرّ لك في ذمّ الناس وأنت عند الله ممدوح ومن أهل الجنّة وفي زمرة المقرّبين ؟ .

ومن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبّد ، والمنازل الرفيعة عند الله تعالى ، استحققر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة ، مع ما فيه من

(١) وردت . وحمل لا يمرّ بملاً من الناس ، إلا قالوا : متصع مرء . . عدة الداعي . ٢٣٠

(٢) سورة مريم الآية ٩٦ .

(*) ما بين الحاصرتين [فأأي خير لك من وحشته .] مقتبس عن الإحياء : ٣١٢/٣ وقد ورد بعضه في عدة الداعي ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

الكدورات والمنغصات، واجتمع همّه ، وانصرف إلى الله تعالى قلبه ، وتخلص من مذمة الرياء ، ومقاساة قلوب الخلق ، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره ، ويستأنس بها من وحشته] .

وإن لم يكتف بذلك كلّهُ فليتأمل ثلاثة أشياء :

أحدها : أنّه لو قيل لك أنّ هنا رجلاً معه جوهر نفيس يساوي مائة ألف دينار ، وهو محتاج إلى ثمنه بل إلى بيعه عاجلاً ، وإلى أضعاف ثمنه ، فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه - مع حاجته إلى الأضعاف أيضاً - فأبى أن يبيعه بذلك ، وباعه بفلس واحد ، أليس ذلك يكون خسراناً عظيماً وغبناً فظيماً ، ودليلاً بَيِّناً على خسة الهمة ، وقصور الفهم والعلم ، وضعف الرأي ورقة العقل ، بل السفه المحض ؟

وهذا بعينه أبلغ من حال المرائي في عمله، بل في عبادة واحدة، فإنّ ما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحه وحطام الدنيا بالإضافة إلى رضا رب العالمين وشكره ، وثواب الآخرة ونعيم الجنة الدائم ، المخلص من شوب الكدورات ، أقلّ من فلس في جنب ألف ألف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها ، وأكثر .

وهذا هو الخسران المبين أن تفوّت على نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة ، بهذه الأمور الدنية الحقيرة .

ثمّ إن كان لا بدّ لك من هذه الهمة الخسيسة فاقصد أنت الآخرة يُتبعك الدنيا ، بل أطلب الرب وحده يعطك الدارين ، إذ هر مالكهما جميعاً وذلك قوله تعالى : ﴿ فمن كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ (١) .

(١) سورة النساء : الآية ١٣٤ .

وقال النبي (ص) : « إِنَّ الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا »^(١) .

فإذا أنت أخلصت النية، وجردت الهمة للآخرة، حصلت لك الدنيا والآخرة جميعاً ، وإن أردت الدنيا ذهب عنك الآخرة في الوقت ، وربما لا تنال كما تريد ، وإن نلتها فلا تبقى لك بل تزول عنك قريباً ، فقد خسرت الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

وينظر هذا الشخص بالنسبة إلى هذا المثل من يصرف جزءاً من عمره ونفساً من أنفاسه الذي يمكنه به تحصيل كنز من كنوز الجنان، في ما يحصل به دائق أو حبة أو درهم أو دينار من متاع الدنيا، وترك ذلك الكنز الدائم لغير ضرورة ، ما هذا إلا عين الغفلة والخسران ، وخسة الهمة والخذلان .

وثانيها : أن المخلوق الذي تعمل لأجله وتطلب رضاه لو علم أنك تعمل لأجله لأبغضك . وسخط عليك ، واستهان بك ، واستخف بك ، مضافاً إلى مقت الله تعالى ، وإهاناته وخذلانه ، وما تعمله لله تعالى خالصاً يوجب رضا الفريقين، فكيف يعمل العاقل لأجل من لو علم بأنه يطلب رضاه سخط عليه ، وأهانته ؟ .

فانظر إن كنت أنت تعقله .

وثالثها : إن من حصل له سعي يكتسب به رضا أعظم ملك في الدنيا فطلب به رضا كناس خسيس بين الناس وسخط لذلك الملك، بل

(١) الحديث « إن الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة . . » ورد : إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة . إرشاد القلوب ١٨٨ . والحديث مأخوذ من قول عيسى عليه السلام :
تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعسل الكافي . ٣١٩/٢ . كنز العوائد ٣٠٥/١ .

مع عدم مسخه ، أليس ذلك دليلاً على السّفه ورداءة الرأي وسوء النّظر ، ويقال له : ما حاجتك إلى رضا هذا الكناس مع تمكّنك من رضا هذا الملك ؟ .

كذلك أيّ حاجة إلى رضا عبد مخلوق ضعيف حقير مهين ، مع التّمكّن من تحصيل رضا ربّ العالمين الكافي عن الكلّ ؟ .

نسأل الله حسن التوفيق . وهذا هو الدواء العملي .

في الدواء العملي للخلل :

[(*) وأما الدّواء العملي فهو أن يعوّد نفسه على إخفاء العبادات ، وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش ، حتّى يقنع قلبه بعلم الله تعالى وإطلاعه على عبادته ، ولا تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله ، وهو أمر يشقّ (١) في ابتداء المجاهدة ، لكن إذا صبر عليه مدّة بالتكلّف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله تعالى ، وما يمسّد به عباده من حسن التوفيق ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢) ، فمن العبد المجاهدة ومن الله تعالى الهداية (٣) .

(*) ما بين الحاصرتين [وأما الدواء العملي .. ليهديهم سلبنا] ، مقتبس عن الإحياء .

٣١٢/٣ وقد ورد بعضه في عدة الداعي ٢٣٤٠

(١) بصعب .

(٢) الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ ﴾ سورة الرعد : الآية ١١

(٣) وبنابيع العزالي . . . ومن العبد قرع الباب ، ومن الله فتح الباب . الإحياء : ٣١٢/٣

وهذا القول مأخوذ من حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

أنك ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك الحمار ، ومن يكثر من قرع باب الملك يفتح

له . مكارم الأخلاق . ٤٦١ ، عدة الداعي : ١٥٥

وللغزالي في المعنى نفسه : من العبد الإستعانة ، ومن الله الإعانة على التوبة ، ومن العبد

الجهد ، ومن الله التوفيق ، ومن العبد الأدب ، ومن الله الكرامة . روضة الطالبين (مجموعة

الرسائل الفرائد) ١٠٤٠

قال الله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾^(١) [وإن كان المنافي من قبيل المتأخر عن العبادة، وهو الرياء المتأخر والعجب، فقد عرفت دواء الأول .

في دواء العجب

أما العُجب فلينظر في الأسباب والآلات التي قوي بها على العبادة التي أورثته العجب ، من القدرة ، والعلم ، والأعضاء ، والرزق الذي أكله حتى قوي به ، فإنه يجده كله من الله تعالى ، ولولاه لم يقدر على شيء منها .

ثم ينظر إلى نعمته عليه في إرسال الرّسل إليه ، وخلق العقل حتى اهتدى به إلى طريق الحق .

ثم ينظر في قيمة العمل الذي عمله فلا يجده مقابلًا لنعمة من هذه النعم ، وإنما صار لعمله قيمة لما وقع من الله تعالى موقع الرضاء والقبول^(٢) أفلا ترى الأجير يعمل طول النهار بدرهمين ، والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك أصحاب الصناعات والحرف ، كلّ واحد منهم يعمل في الليل والنهار ، فيكون قيمة كلّ ذلك دراهم معدودة ، فإن صرفت الفعل إلى الله تعالى ، فصمت لله تعالى يوماً ، قال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾^(٣) وفي الخبر : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »^(٤)

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٩

(٢) معنى المقطع الأول من دواء العجب ، مستل من المقطع الثاني من بيان علاج العجب في الإحياء : ٣ / ٣٧١ .

(٣) سورة الزمر . الآية ١٠ .

(٤) تقدم في أول الكتاب .

فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم ، صارت له هذه القيمة بتأخير غداء إلى عشاء ، ولو قمت ليلة الله تعالى فقد قال تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١) .

فهذا الذي قيمته درهم صارت له كل هذه القيمة والقدر ، بل لو جعلت الله ساعة تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل نفساً فقلت فيه : « لا إله إلا الله » قال الله تعالى : ﴿ ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ (٢) .

فحقّ إذن للعاقل أن يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو، وأن لا يرى إلا منة الله تعالى عليه في ما شرف به من قدر عمله ، وأعظم من جزائه ، وأن يجوز في فعله أن يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع الرضا ، فيذهب عنه موقع القيمة التي حصلت له ، ويعود إلى ما كان في الأصل من الثمن الحقيق .

فقس قدر عملك في نفسه إلى ما عليك من نعمه، فهل تجده وافياً بعشر عشرة؟ وهل توفيقك للقيام بوظائف العبودية ، وتأهيلك للخدمة الإلهية إلا نعمة ، بل أعظم نعمة يلزمك شكرها ، كما أشير إليه في خبر داوود (ع) حين أوحى الله إليه : « أن اشكرني حق شكري » فقال : « يا رب كيف أشكرك حقّ شكرك والشكر من نعمتك تستحق عليه شكراً ؟ » .

فقال : « يا داوود إذا عرفت أنّ ذلك مني فقد شكرتني » (٣) .

(١) سورة السجدة : الآية ١٧ .

(٢) سورة غافر : الآية ٤٠

(٣) خبر داوود حين أوحى الله تعالى إليه أن اشكرني حق شكري . . الجواهر السية . =

وروي أَنَّ بعض السَّوْعَاطِ^(١) قال لبعض الخلفاء^(٢) أَتَرَكَ لَوْ مَنَعْتَ شَرْبَةَ مِنَ الْمَاءِ عِنْدَ عَطَشِكَ بِمَ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ؟

قال : بنصف ملكي .

قال : أَتَرَاهَا لَوْ حَبَسْتَ عَنْكَ عِنْدَ خُرُوجِهَا بِمَ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ؟

قال : بالنصف الآخر .

قال : فَلَا يَغْرُنْكَ مَلِكٌ قِيَمَتُهُ شَرْبَةُ مَاءٍ^(٣) .

فَفَكَّرَ أَنْتَ كَمْ تَتَنَاوَلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ شَرْبَةَ مَاءٍ هَنِئَةً وَأَكَلَةَ هَنِئَةٍ تَسْبِيغُهَا هَنِئًا فِي عَافِيَةٍ ، وَكَمْ تَنْظُرُ بَعَيْنَكَ هَنِئًا ، وَتَسْمَعُ طَيِّبًا ، وَتَشْمُ زَكِيًّا ، وَتَمْشِي إِلَى مَا تَحِبُّ ، وَتَبْطِشُ بِيَدِكَ ، فِيمَا تَحِبُّ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَوَاسِّكَ ، وَأَعْضَائِكَ ، وَقَوَاكِ الْبَاطِنَةِ ، الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَى دَقَائِقِهَا وَتَصْرِيفِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، مِنْ مَجَارِي طَعَامِكَ ، وَتَصَارِيفِ هَضْمِكَ ، وَتَفْرِيقِ فَضْلَاتِكَ ، وَتَغْذِيكَ ، تَجِدُهُ مِمَّا لَوْ صَرَفْتَ زَمَانِكَ فِي الْفِكْرِ فِيهِ خَاصَّةً ، لَقَضَيْتَ مِنْهُ الْعَجَبَ ، وَلَوْ فَقَدْتَ شَيْئًا يَسِيرًا مِنْهُ وَطَلَبَ مِنْكَ طَبِيبٌ عَلَى أَنْ يَرِدَهُ أَلَيْكَ ، وَيُصْلِحَهُ لَكَ [مُقَابِلَ]^(٤) خِدْمَتِكَ لَهُ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ لَسَرَرْتَ بِذَلِكَ وَعِدَدَتَهُ مَنَعًا عَلَيْكَ ، وَكَمْ تَقَابِلُ هَذِهِ النِّعَمَ الْمُتَعَدِّدَةَ بِسَنِينَ مِنَ الْخِدْمَةِ .

وَالْحَالُ إِنَّكَ لَا تَخْدُمُ مَوْلَاكَ الْمَنْعَمَ إِلَّا أَوْقَاتًا قَلِيلَةً ، وَلَوْ تَأَمَّلْتَهَا ،

= ٨٨ - ٨٩ ، عِدَّةُ الدَّاعِي . ٢٣٩ - ٢٤٠ . وَقَرِيبُ مِنْهُ ، وَبِمَعْنَاهُ خَيْرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَوَاهِرُ السِّيَّةُ : ٤١ .

(١) هُوَ الْبَهْلُولُ .

(٢) هُوَ هُرُودُ الرَّشِيدِ

(٣) وَرَدَ الْحَرْفِيُّ : عِدَّةُ الدَّاعِي : ٢٤٠

(٤) أَصْفَاهَا لِاسْتِقَامَةِ الْمَعْنَى .

وعرفت عيوبها وآفاتهما لم تثق بشيء منها ، ولا استحيت من فعلها ، وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تحصوها ﴾ (١) .

فالنعم عليك لا تحصى وعملك - على تقدير سلامته وقبوله - قليل يحصى .

ثم إذا قابلته بقيت خالياً من عمل يوجب لك المكافاة ففصارك الإعراف بالتقصير وتركك المراقبة لله تعالى وتذكر المنّة والإعراف بالنعمة والإزراء بنفسك والمقت لها لعلك تفوز برحمة الله تعالى . فقد قال رسول الله (ص) : « من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فرع يوم القيامة » (٢) .

وروي أن عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً بهاره ، قائماً ليله ، فطلب إلى الله تعالى حاجة فلم تقض ، فأقبل على نفسه وقال : « من قبلك أتيت ، لو كان عندك خير قضيت حاجتك » فانزل الله إليه ملكاً فقال : « يا ابن آدم ساعتك التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت » (٣) .

ثم تأمل بعد ذلك ثلاثة أمور :

أحدها : أن ملكاً من ملوك الدنيا إذا أجرى على أحد من اتباعه طعاماً وكسوة أو دراهم أو دنانير، فإنه يستخدمه لأجلها بضروب الخدم آناء

(١) الآية . ﴿ وَأَنَّا كَم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تحصوها ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ سورة إبراهيم . الآية ٣٤

(٢) الحديث . من مقت نفسه . . عدة الداعي : ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٣) الخبر : إن عابداً عبد الله سبعين عاماً . . الكافي : ٧٢/٢ ، عدة الداعي : ١٧٧ و ٢٤٢ ، البيان والتبيين : ٢٤٤/٣ ، تبيين الغافلين : ١٧٥ (مع بعض اختلاف في اللفظ) .

الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل والصغار ، وبعضهم يقوم لذلك على رأسه ويسهر الليل بأجمعه لأجله ، وبعضهم يقف في خدمته يوماً بعد يوم ، حتى ينقضي عمره ، وبعضهم يسعى في حوائجه ومهمات ، وبعضهم يركب الأهوال ولجج البحار لأجله ، وربما يبدو له عدو فيبذل لأجله روحه التي لا خلف عنها ، ولا ينفعه في الآخرة بعد ذلك ، فتراهم يحتملون كل هذه الخدمة لأجل تلك المنفعة الخسيسة الفانية ، ومع ذلك يعترفون للملك بالنعمة ، ويقرّون له بالفضل عليهم والمنّة ، مع أنّ تلك المنفعة في الحقيقة من الله تعالى . ولو أراد ملكهم أن ينبت لهم حبة واحدة أو يخلق لهم خبثاً^(١) واحداً لم يقدر على ذلك ، وهم يعترفون بذلك كلّ .

فكيف تستكثر عملك الحقيق ، المشوب بالآفات والنقائص ، لرّبك الذي خلقك ولم تك شيئاً مذكوراً ، ثم ربّاك وأنعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة ، في نفسك ، ودينك ، ودياك ، ما لا يبلغ كنهه^(٢) فهمك ولا وهمك ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ﴾^(٣) ، وقد وعدت على هذا العمل القليل مع ما فيه من المعاييب والآفات بالثواب العظيم الدائم ، وضروب الكرامات فما استعظام ذلك من شأن العاقل .

وثانيها : أن تتفكر في أنّ الملك الذي من شأنه أن تخدمه الملوك والأمراء إذا أذن في إدخال الهدايا إليه ، ووعد عليها بالعطاء العظيم ، وأمر أن لا يستحي أحد بهديته ولو كان باقة بقل ، فدخلت عليه الكبراء والأمراء والرؤساء والأغنياء بأنواع الهدايا من الجواهر الثمينة واللاّلىء

(١) الحبط . (محرّكة بالمتحة) . ورق الشجر يقض بالعصا .

(٢) سره .

(٣) سورة إبراهيم . الآية ٣٤ . (مرت مد قليل) .

النفيسة ثم جاء إليه بقال بياقة بقل ، وقرويّ بسلة عنب تساوي درهماً أو حبة فدخل بها إلى حضرته، وزاحم أولئك الأكابر بهداياهم الجليلة، فقبل الملك من الوضيع هديته ، ونظر إليها نظر القبول، وأمر له بأنفس خلعة وكرامة ، تبلغ مائة ألف دينار، ألا يكون ذلك منه في غاية الفضل والكرم ؟ .

ثمّ لو فرض أنّ هذا الفقير نظر بخاطره إلى هديته واستعظم أمرها وتعجّب بها ونسي ذكر منّة الملك ألا يقال هذا مجنون مضطرب العقل أو سفيه سيّء الأدب عظيم الجهل ؟ .

وثالثها : أنّ الملك الذي من شأنه أن تخدمه الملوك والأمراء ، وتقوم على رأسه السادات والعظماء ، ويتولّى خدمته الحكماء ، وتمشي بين يديه الأكابر والرؤساء ، إذا أذن لسوقيّ أو قرويّ في الدخول عليه ، والقرب منه ، حتّى زاحم أولئك السادات والأفاضل في خدمته ، وجعل له مقاماً في حضرته ، أليس يقال لقد كثرت على هذا الحقير المنّة من الملك ، وعظمت عليه النعمة ؟ .

فإن أخذ هذا الحقير يمنّ على الملك بتلك الخدمة الحقيمة ، ويستعظم ذلك مع هذه النعمة الواصلة إليه ، ويعجب بعمله ، أليس ينسب إليه محض السفه والجنون ؟ .

فكيف ، وإلّها الذي له ملك السموات والأرض ، وقد دان له العالمون ، ووقف بخدمته الملائكة المقربون ، والأنبياء المرسلون الذين لا يحصي عددهم إلّا ربّ العالمين ، ومنهم النافذة في تخوم الأرض أقدامهم^(١) الواصلة إلى العرش رؤوسهم ، وهم مع ذلك مطرقون لا يرفعون رؤوسهم تعظيماً لله تعالى ، ولا يفترون عن ذكر الله تعالى أبداً

(١) ... ومنهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى .. النهج : ١٧٠/١ .

إلى آخر مدّتهم ، فإذا أراد الله أن يميّتهم رفعوا رؤوسهم وقالوا :
« سبحانك ما عبدناك حق عبادتك »^(١) .

ولا يخفى حال نبينا (ص) في جدّه واجتهاده في عبادة ربّه^(٢) ومن بعده من الأئمة^(٣) ، الذين يخرج ذكر يسير من عباداتهم عن حدّ الإختصار إلى نهاية الإكثار ، وهم مع ذلك معترفون بالتقصير ، بأنّهم على أنفسهم مزرون^(٤) عليها ، ثمّ أنّك ترضى من نفسك بصلاة ركعتين محشوّة من المعاييب وقد وعدت من الثواب عليها بما لا يخطر على قلب بشر، وتعجب من ذلك وتستكثره ، ولا ترى منّة الله عليك في ذلك ؟ .
فما أجهلك من إنسان وما أسوأك من رجل ، وما أسفهك من بشر ! ..

وأما نحن فلو عقلنا وتفطّنا لأعمالنا، لوجدناها إلى كفة السيئات أميل منها إلى كفة الحسنات لشدة الغفلة ، وكثرة المعاييب ، وفساد القلوب ، وتشويش المقاصد .

-
- (١) ... ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ، ولم يطيعوك حق طاعتك النهج . ٢١١/١ .
والفكرة بمجملها مأخوذة من الحديث النبوي الشريف .
إنّ الله ملائكة قياماً من خيفة الله ، ما رفعوا رؤوسهم حتى يفتح في السور النفخة الآخرة .
فيقولون جميعاً : سبحانك ، رسا ، وبحمدك ، ما عبدناك كما ينبغي لك أن يعبد . هـ كرم الأخلاق : ٤٦٤
وفي حديث آخر : .. سبحانك رسا ! ما عبدناك حق عبادتك . رواه الحاكم عن سلسان .
اللمع : ١٢٢ .
(٢) في الحبر : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تغطرت قدماه (أي اشمتا) .
لسان العرب : ٥٥/٥ ، فأنزل بذلك ﴿ طه ﴾ ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ! .. . وعندما كان يطلب إليه الرفق بنفسه ، وقد عفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، كان يحيب : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ .
(٣) وأخبار تعبد أمير المؤمنين عليه السلام ، وحشيته ، وسجود زين العابدين ، ذي النونات ، والكاطم عليهما السلام ، مشهورة ، وذكرها يطول ، .
(٤) أي . مستقصون ، ومحتقرون .

اللَّهُمَّ لا تكلنا إلى أعمالنا ، ولا تؤاخذنا بتفريطنا وإهمالنا ،
 واشملنا بفضلك وأنسك ، وخذ بنواصي قلوبنا إلى جوار قُدسك ،
 فقديماً سترت ، وعظيماً غفرت ، وجزياً أعطيت ، وجسيماً أبليت وأنت
 أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ، فما قدمت عليك أيدينا إلّا صفراً من
 الحسنات ، مملوءة بالمعاصي والسيئات ، وجُودك أوسع وأكمل من أن
 يضيق عمّن التجأ إليك ، واعتمد بفضلك ورحمتك عليك ، وأنت دلتنا
 على جودك ، وهديتنا إلى فضلك ، وأمرتنا بالدعاء وضمنت الإجابة^(١)
 وأنت الجواد الكريم .

(١) إشارة إلى قوله عز وجل : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ سورة المؤمن الآية ٦٠

البحث الثاني

في خصوصيات باقي الصلوات :

في أسرار صلاة الجمعة :

بالنسبة إلى اليوميّة : تختص الجمعة باستحضار أن يومها يوم عظيم^(١) ، وعيد شريف ، خصّ الله به هذه الأمة^(٢) ، وجعله وقتاً شريفاً

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم : حير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : مفتاح السنة .
١١٦ ، الإحياء . ١٧٨/١ ، رواه مسلم ، رياض الصالحين : ٤٢٦
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن يوم الجمعة سيد الأيام ، وأعظمها عند الله تعالى . إرشاد
القلوب : ٤٦ .
ولأبي جعفر عليه السلام حديث بمعناه ، مع تقارب باللفظ . المقيمه : ١٧٢/١ التهديد :
٢١٣ .

وكانت قبل تسميتها بهذا الإسم ، يوم العروبة وأول من أطلق عليها هذا الإسم الأنصار في
المدينة وقيل : كعب بن لؤي . كشكول البهائي ٢٢٤/٣ - ٢٢٥
(٢) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ، ومن الليالي ليلة
القدر ، ومن الشهور شهر رمضان . . إثبات الوصية . ٢٧٩ .
ولأبي جعفر عليه السلام مثله . الكافي : ٤١٣/٣ .
وفي الحديث الشريف . إن الله كتب عليكم يوم الجمعة فريضة واجبة إلى يوم القيامة .
الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٦٠ .

لعبادته ليقربهم فيه من جواره ، ويبعدهم من طرده ونابه ، رحتهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال ، وتلافي ما فرط منهم في بقية الأسبوع^(١) من الإهمال ، وجعل أهم ما يقع فيه من طاعته ، وما يوجب الزلفي والقرب إلى شريف حضرته ، صلاة الجمعة. وعبر عنها في محكم كتابه الكريم ، بذكر الله الجسيم ، وخصها من بين سائر الصلوات التي هي أفضل القربات بالذكر الخاص ، فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ ﴾^(٢) ، وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما ينتبه له من له حظ من المعاني لا يليق بسطه بهذه الرسالة .

ومن أهم رمزها هنا التعبير عن الصلاة بذكر الله ونبه بذلك على أن الغرض الأقصى من الصلاة ليس هو مجرد الحركات والسكنات والركوع والسجود ، بل ذكر الله تعالى بالقلب وإحضار عظمته بالبال ، فإن هذا وأشباهه هو السر في كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، كما أخبر تعالى عنه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ إذا كان سببهما القوة الشهوية إذا خرجت عن حكم العقل وهذا كله إنما يتم مع التوجه التام إلى الله تعالى وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الأكبر^(٣) والكثير^(٤) على ما ورد في بعض تفسيراته^(٥) فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً وإذا كان الاستعداد بهذه المثابة ، لا جرم وجب الإهتمام بها

= و - إن الله عز وجل فرص عليكم يوم الجمعة في يومي هذا ، في مقامي هذا الإحياء . ١٧٨/١

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إذا احتسنت الكائثر الإحياء : ١٧/٤ - وراه مسلم - .

(٢) الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ، ذَلِكَ حَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٣) من قوله تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .

(٤) من قوله تعالى ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ .

(٥) مر ذلك أعاً .

زيادة على غيرها من الصلوات^(١) والتهيؤ والإستعداد للقاء الله تعالى .
والوقوف بين يديه في الوقت^(٢) الشريف ، والنوع^(٣) الشريف من
العبادة .

وأحضر ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدّنيا بالمشول في
حضرتة والفوز بمخاطبته في وقت معين أما كنت تتأهبّ له بتمام
الإستعداد والتهيئة والسكينة والوقار والتنظيف والتطيب وغير ذلك ممّا يليق
بجلال الملك ؟ .

ومن هنا جاء استحباب الغسل^(٤) يوم الجمعة والتنظيف^(٥)
والتطيب^(٦) والتعمم^(٧) على الرأس وقصّ الشارب^(٨) والأظفار^(٩)

(١) في الحديث الشريف : ثلاث لو بعلم الناس ما فيهن ، لركضوا ركض الإبل في طلبهن .
الأذان . والصف الأول . والغدو إلى الجمعة . الإحياء . ١٨١/١ - أخرجه أبو الشيخ في
ثواب الأعمال .

(٢، ٣) إشارة إلى الحديث : إن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص .
قال التبريري ، عطر الله مرقدته ، : إن الأوقات ، كالأمكنة ، وسائر الموجودات ، منها سعيد
ونحس ، وشريف وغير شريف . أسرار الصلاة (ت) : ٨٠ . ومثله في ١٠٦
(٤) استحباب الغسل يوم الجمعة ، تعظيماً لذلك اليوم ، وتفضيلاً له على سائر الأيام ، وزيادة
في النواهل والعبادة : عيون أخبار الرضا : ٩٦/١ (علل محمد بن شاذان) أنظر مفتاح
السنة ٣٧٢ - ٣٧٣

وفي الحديث الشريف : إن الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من رؤوس الشعير استئلاً :
مختصر الترغيب والترهيب : ٥٤ - رواه الطبراني .

فغسل يوم الجمعة سنة - عيون أخبار الرضا : ٣٠/١ ، الفقيه : ٤٤/١ ، الإستبصار :
١٠٢/١ - ١٠٣ .

(٥) التزير يوم الجمعة : أنظر الكافي : ٤١٣/٣ - ٤١٨ .

(٦) الحديث : : وأحب طيب الرجال . . . الإحياء . ١٨١/١ ، أخرجه أسوداودود والترمذي ،
وحسنه النسائي .

(٧) الحديث : إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة . من حديث وائلة بن
الأسقع . المصدر السابق .

(٨، ٩) عن أبي عبد الله عليه السلام : من أحد من شاربه ، وقلم أظفاره ، وغسل رأسه =

وغير ذلك من السنن ، فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف ، وعمل مخلص ، وقصد متقرب ، وثية خالصة ، كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا ، إن لم تعظم همّتك عن ذلك ، ولا تقصد بهذه الوظائف حظك من الرفاهية ، وتطيب نفسك من الطيب والزينة ، فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك ، وكلما أمكنك تكثير المطالب التي يترتب عليها الثواب فاقصدها ، يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها ، فانو بالغسل يوم الجمعة سنة الجمعة^(١) ، والتوبة ، ودخول المسجد ، وبالثياب الحسنة والطيب ، سنة رسول الله (ص)^(٢) ، وتعظيم المسجد ، واحترام بيت الله ، فلا تحب أن تدخله زائراً له ، إلا طيب الرائحة ، وأن يقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته^(٣) ، ويقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه ، حسماً لباب الغيبة عن المغتابين ، إذا اغتابوه بالروائح الكريهة ، فيعصون الله تعالى بسببه ، فقد قيل : أن من تعرض للغيبة وهو قادر على الإحتراز منها ، فهو شريك في تلك المعصية^(٤) ، كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ

= بالخطمي يوم الجمعة ، كان كمن أعتق رقبة . التهذيب : ٢٣٦/٣ .

وعن ابن مسعود : من قلم أظفاره يوم الجمعة ، أخرج الله عز وجل منه داء ، وأدخل شفاء : الإحياء : ١٨١/١ .

(١) الخبر : دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل . فقال له : « أَللّـجـمعة ؟ » فقال : « بل عن الجنابة » . فقال : « أعد غسلًا ثانياً » . المصدر السابق .

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف : حُب إليّ من دياركم ثلاث : النساء ، والطيب ، وقرة عيني في الصلاة : الإحياء : ١٦٣/١ و ١٦٥ و ٥٨/٣ و ٢١٩ ، اللمع : ١٣٨ - أخرجه أحمد والنسائي والحاكم - ، مكارم الأخلاق : ٤٦١ (قريب منه) ، مفتاح الفلاح : ١٤١ .

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام : صلاة متطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب : أسرار الصلاة (ت) : ٦٩ ، الأنوار النعمانية : ٢٣٩/٢ (قريب منه) .

(٣) للغزالي : فليتطيب في هذا اليوم (يوم الجمعة) بأطيب طيب عنده ، ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في حواره . الإحياء : ١٨١/١ .

(٤) للمؤلف رضوان الله عليه كتاب : كشف الريبة عن أحوال الغيبة ، طبع في قم وفي بيروت .

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴿١﴾ .

وإذا حضرت الصلاة فاحضر قلبك فهم مواقع الموعظة ، واستعد لتلقي الأوامر والنواهي على وجهها ، فإن ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة ، والخطيب ، والمنبر ، واستماع الناس ، وتحريم الكلام خلالها^(٢) ، ووجوب الإصغاء ، إليها .

فاعط كل ذي حق من ذلك حقه ، عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقربين الذين يكتبون المصلين في ذلك اليوم الشريف ، ويعرضونهم على الحضرة الإلهية ، ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسية .

فقد روي أن الملائكة المقربين تقف على أبواب المساجد وبأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الأول فالأول^(٣) ، وإن

(١) سورة الأنعام . الآية ١٠٨ .

(٢) تحريم الكلام خلال خطبة الجمعة : دفعاً للغو .

قال صلى الله عليه وآله وسلم . من قال لصاحبه ، والإمام يخطب : أنصت ، أو ، مه ، فقد لغا . ومن لغا والإمام يخطب ، فلا جمعة له الإحياء ١٨٤/١

(٣) الحديث : إذا كان يوم الجمعة ، قعدت الملائكة على أبواب المساجد ، بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب ، يكتبون الأول فالأول على مراتبهم . كوز السة : ١١٧ ، الإحياء : ١٨٢/١ - أخرجه ابن مردويه في التفسير من حديث أمير المؤمنين عليه السلام - وورد عن أبي جعفر عليه السلام .

إذا كان يوم الجمعة تنزل الملائكة المقربون ، معهم قراطيس من فضة ، وأقلام من ذهب ، فيجلسون على أبواب المساجد على كراسي من نور ، فيكتبون الناس على منازلهم : الأول والثاني ، حتى يخرج الإمام . فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ، ولا يهبطون في يوم من الأيام إلا في يوم الجمعة . الكافي : ٤١٣/٣ .

وورد الحديث بمعني آخر : إذ لا تكتب الملائكة إلا الصلاة على محمد وآل محمد . المقيده : ٢٧٣/١ ، التهذيب : ٤/٣ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٧٢ .

(ولعلها فئة خاصة من الملائكة أوكل إليها أمر التقاط الصلاة على النبي وآله ، ورفعها في هذا اليوم . ويعزز هذا الرأي لدينا ما ورد عن الصادق عليه السلام - حول الصلاة على النبي -

الجنان لتزخرف وتزين، وإنَّ الناس يتسابقون إليه على قدر سبقهم إلى الصلاة^(١)، ولا تزال الملائكة يكتبون الداخل إلى أن يخرج الإمام فإذا خرج، طويت الصحف، ورفعت الأقلام، واجتمعت الملائكة يستمعون الذكر^(٢)، وإنَّ الناس في المنازل والحظوة على قدر بكرهم^(٣) إلى الجمعة.

فإذا أحضرت هذا ببالك، وأنَّ الملائكة يستمعون وهم حولك، والله سبحانه وتعالى ناظر إليك، لزمك ارتداء الهيئة وأذراع السكينة وتجلبب الخشية، وعند ذلك تستحق أن تفاض عليك الرحمة، وتحفك البركة، وتصير صلاتك مقبولة، ودعوتك مسموعة، وأكثر في ذلك اليوم من الذكر^(٤) والإستغفار^(٥) والدعاء^(٦) وتلاوة القرآن^(٧) والصلاة على

= ووكلت بالمصلين عليه ملائكتك يصلون عليه، ويبلغونه بصلاتهم وتسليمهم : الصحيفة الصادقية (١٠٤٠).

(١) مستل من قوله صلى الله عليه وآله وسلم . فضل الله الجمعة على غيرها من الأيام . وإن الجنان لتزخرف وترين يوم الجمعة لمن أتاها، وإنكم تتسابقون إلى الحنة على قدر سبقكم إلى الجمعة، وإن أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد . الكافي : ٤١٥/٣ .

(٢) الحديث . . . فإذا خرج الإمام طويت الصحف، ورفعت الأقلام، واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر . فمن جاء بعد ذلك فأبما جاء لحق الصلاة، ليس له من الفضل شيء . الإحياء : ١٨١/١، مختصر الترغيب والترهيب : ٥٠ .

(٣) ورد في الحديث الشريف : المهجر يوم الجمعة كالمهدي بذكره . لسان العرب : ٢٥٥/٥ . وعن الصادق عليه السلام : فضل الوقت الأول على الآخر، خير للمؤمن من ولده وماله، كفضل الآخرة على الدنيا . مكارم الأخلاق : ٣٠١ .

(٤) قيل في الذكر : وفي الذكر جلاء صبدأ القلوب، وتنبيه عن وسوس النفوس، وشحذ لما كل من الطباع . الحكمة الخالدة : ٢٩٠ .

(٥) روى السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

خير الدعاء الإستغفار . عدة الداعي : ٢٦٤

وقال عليه السلام : إن للقلوب صبدأ كصبدأ النحاس فاجلوها بالإستغفار : المصدر السابق .

(٦) عن الصادق عليه السلام : الدعاء هو العبادة . إن الدعاء يرد القضاء، ينقضه كما ينقض =

النبي (ص)^(١) والصدقة ، فإنَّ اليوم شريف والفضل فائض ، والجود تام ، والرحمة واسعة ، فإذا كان المحلَّ قابلاً تمتَّ السعادة وحصلت الإرادة وزيادة .

وتذكر في يوم الجمعة ساعة^(٢) لا يرد الله فيها دعوة مؤمن .

فاجتهد أن تصادفها داعياً ومستغفراً وذاكراً ، فإنَّ الله يعطي الدَّاکر فوق ما يعطي السائل^(٣) .

وإن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم فافعل ، فإن لم يمكن فإلى العصر .

وكن حسن المراقبة ، مجتمع الهمة ، عسى أن تظفر بتلك السَّاعة فقد قيل أنَّها مبهمة في جميع ذلك اليوم نظراً من الله تعالى لخلقه ،

= السلك ، وقد أبرم إبراماً : الصحيفة الصادقية : ٢٠ - ٢١ .

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام : إن يوم الجمعة سيد الأيام ، يضاعف [الله] فيه الحسنات ، ويمحو فيه السيئات ، ويرفع فيه الدرجات ، ويستجيب فيه الدعوات ، ويكشف فيه الكربات . ويقضي فيه الحوائج العظام ، وهو يوم المزيد . الكافي ٤١٥/٣ . التهذيب : ٢/٣ .

(٧) فضل تلاوة القرآن : تقدم .

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أكثرُوا من الصلاة عليَّ في الليلة العراء ، واليوم الأزهري ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة . الكافي ٤٢٨/٣ ، التهذيب ٣/٣ (معه) . أنظر : كنوز السنة : ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٢) إنها السَّاعة الشريفة ، التي هي حير ساعة ، كما ورد في الخبر كنوز السنة ١١٦ - ١١٧ ، الإحياء : ١٧٨/١ ، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديث متفق عليه . إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه . الإحياء : ١٥٨/١ - أخرجه الترمذي وابن ماجه - مختصر الترهيب والترهيب : ٥٣ - ٥٤ . إرشاد القلوب ٤٧ ولأمر المؤمنين عليه السلام حديث قريب منه . الفقيه : ٢٧٧/١ .

(٣) ورد في الحديث القدسي ، رواية عن أبي عبد الله عليه السلام : من تغل بدكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . وبمعناه الحديث الشريف : من شغلته عبادة الله عن مسألته أعطاه أفضل ما يعطي السائلين . عدة الداعي : ٢٤٨ .

ليحافظوا عليها كما أخفى ليلة القدر^(١) في جميع السنة ليحافظوا عليها .
وروي أنها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف
بالناس^(٢) . وساعة أخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس^(٣) .
واجعل هذا اليوم خاصّة في الأسبوع لأخرتك فعسى أن يكون
كفارة^(٤) واستدراكاً لبقية الأسبوع .
ويكفيك في الإهتمام بالجمعة ووظائفها أن الله سبحانه جعلها

-
- (١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تحروا ليلة القدر في الوتر ، في العشر الأواخر من
رمضان . رياض الصالحين : ٤٣٦ - رواه الحارثي -
(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن يستوي الناس في
الصفوف . التهذيب : ٢٣٥/٣ ، إرشاد القلوب .
وعنه أيضاً . إذا خرج الإمام التهذيب : ٤/٣ .
وعن الصادق عليه السلام : بعدما يحط الإمام . الإختصاص : ٤٠ .
(٣) في الحديث الشريف : هي آخر ساعات النهار . كنوز السنة : ١١٧ ، مختصر الترغيب
والترهيب ٥٤
وعن الرضا عليه السلام : هي آخر ساعة التي ورد فيها دعاء السمات . مسند الرضا : ١٠٣ .
وروي . إذا غاب نصف القرص . إرشاد القلوب : ٤٦ .
ويجمع ذلك كله قول الغزالي :
واحتلف فيه ، ف قيل : إنها عند طلوع الشمس ، وقيل : عند الزوال ، وقيل : مع الأذان ،
وقيل : إذا صعد الإمام الممر وأخذ في الخطبة ، وقيل : إذا قام الناس إلى الصلاة ، وقيل :
آخر وقت العصر ، وقيل : غروب الشمس
- ويتابع حجة الإسلام - :
وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت ، وتأمر حادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها
بسقوطها ، فتأخذ بالدعاء والإستغفار إلى أن تغرب الشمس .
وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتطرة . وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم . (انتهى) .
الإحياء : ١٨٥/١ - ١٨٦ .
وهذا هو القول الصدق ، وفصل الخطاب . إنها الساعة الأخيرة من غروب الشمس .
صدق رسول الله ، وبضعت الزهراء ، وآله الأطهار المعصومون .
(٤) ورد في الحديث . الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهما ، إذا اجتنبت
الكائر . الإحياء ٥٤/٤٠ (وقد مر بعضه) .

أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطقت به الأخبار^(١)، وصرح به العلماء الأخيار حيث دلّ على أنّ الواجب أفضل من الندب، وإنّ الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات وأنّ اليومية أفضل من غيرها من الصلوات، وأنّ الصلاة الوسطى^(٢) من بينها أفضل الخمس، والمختار أنها الظهر والجمعة أولى من الظهر، فتكون أفضل منها، لو أمكن تصوّر فضل لها وحيث فتكون أفضل الأعمال.

وهذا بيان واضح يوجب تمام الإهتمام^(٣) بشأنها وأبلغ الخطر في التهاون بها لمن تدبّر، وقد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل الأشياء الصلاة على وقتها. كور السنة: ٢٦٩، لساد العرب ١٩٩/٥، مكاشفة القلوب ٢٦٢، وللصادق مثله عدة الداعي ٨٥. وعن أمير المؤمنين عليه أركى التحيات والسلام. ليس من عمل أحب إلى الله من الصلاة. تحف العقول ٧٨.

وعن معاوية بن وهب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم، وأحب ذلك إلى الله فقال:

- ما أعلم شيئاً بعد المعرفة، أفضل من هذه الصلاة مفتاح الفلاح ٣٢

وعن الصادق عليه السلام: أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٩.

(٢) الصلاة الوسطى. قال الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ سورة البقرة. الآية ٢٣٩

وفي سند طويل عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: هي صلاة الظهر، وهي أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهي وسط النهار، ووسط الصلاتين: صلاة الغداة وصلاة العصر. ونزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفره، فقنت فيها رسول الله وتركها على حالها في السفر والحضر، وأصاف للمقيم ركعتين. الكافي ٣/٢٧١ و٢٧٤، العقبه ٢٨/١، الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٧.

(٣) عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر، فقد بذر الإسلام وراء ظهره الإحياء ١٧٨/١ - أخرجه البيهقي -

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالية، طع الله على قلبه الوسائل (كتاب الصلاة): ٤٦٠

بها : ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

وقد وردت الأوامر بقراءة سورتها وسورة المنافقين^(١) فيها ليتكرر سماع الحثّ عليها فيهما وقد قال في سورة المنافقين بعد أن سمّاها في سورتها ذكراً : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ الخ .

فكرّر هذه الدقائق على فكرك عسى أن تكون من المفّلحين .

في أسرار صلاة العيد(*) ووظائفها :

وأما [صلاة]^(٢) العيد فاحضر في قلبك أنها في يوم قسمة الجوائز^(٣) ، وتفرقة الرحمة ، وإفاضة المواهب على من قَبِلَ صومه وقام بوظائفه .

(١) الكافي ٢٢٥/٣ - ٢٢٦ ، تحف العقول (من حديث أمير المؤمنين عليه السلام) ٨٣ . الإحياء ١٨٧/١ - أخرجه مسلم -

(*) عن أبي عبد الله عليه السلام : صلاة العيدين ركعتان سلا أدان ولا إقامه لس فلهما ولا عدتهما شيء التهذيب ١٣٥/٣ ، والأمر نفسه أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي جعفر عليه السلام لا صلاة فيهما إلا مع إمام . فإن صليت وحدك فلا بأس المصدر السابق . الفقيه ٣٢٠/١ ، الوسائل (كتاب الصلاة) ٤٧٦ .

(٢) أصماها لاستقامة المعنى ، إذ سقطت من الأصل

(٣) روى حاسر عن أبي جعفر عليه السلام ، قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إذا كان أول يوم من شوال ، نادى مادي يا أيها المؤمنون اعدوا إلى حوائركم

ثم قال . يا حابر ! حوائر الله ليست كمثل حوائر هؤلاء الملوك

ثم قال هذا يوم الحوائر ! الفقيه ٣٢٣/١ ، مهج الدعوات ٣٨٠

وفي حبر طويل عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

إذا كانت ليلة العطر ، وهي تسمى ليلة الحوائر ، أعطى الله العاملين أحرهم بعير حساب .

فإذا كانت عادة يوم العطر ، بعث الله الملائكة في كل البلاد يهبطون إلى الأرض ويقفون على

[أفواه] السكك ، فيقولون .

يا أمة محمد ! أرحوا إلى رب كريم . يعطي الجزيل ، ويعفو العظيم

وأكثر من الخشوع في صلاتك والإبتهاال إلى الله تعالى فيها وقبلها
وبعدها ، في قبول أعمالك ، والعفو عن تقصيرك ، واستشعر الحياء ،
والخوف والخجلة من حيرة الردّ وخذلان الطرد ، ليس ذلك اليوم بعيد
« من لبس الجديد وإنّما هو عيد من أمن من الوعيد »^(١) وسلم من
النقاش والتهديد، واستحقّق بصلاح أعماله المزيد ، واستقبله بما استقبلت
به يوم الجمعة من الوظائف ، والتنظيف ، والتطّيب ، وغيره من أسباب
التهيؤ ، والإقبال بالقلب على ربّك ، والوقوف بين يديه ، عسى أن
تصلح للمناجاة والحضرة لديه ، فإنّ مع ذلك يوم شريف ، وزمان
منيف ، يقبل الله فيه الأعمال وتستجاب فيه الدعوات ، فلا تجعل فرحك
فيه بما لم تخلق لأجله ، ولم يجعل عيداً بسببه من المأكّل والمشرب ،
واللباس ، وغير ذلك من متاع الدنيا البائرة ، فإنّما هو عيد لكثرة عوائد الله
تعالى فيه ، على من عامله بمُتاجر الآخرة .

في أسرار صلاة الآيات :

وإنّما [صلاة]^(٢) الآيات^(٣) فاستحضر عندها أحوال الآخرة

= أمالي المعيد : ٢٣٢ ، الروص الفائق : ١٠٠ (قريب منه)
أما المتوجهون في هذا اليوم إلى الله تعالى ، فهم - كما يصنعهم اس طاووس قدس الله سره -
سبعة أصناف . أسرار الصلاة (ت) ٨٦٠ - ٨٨ .

(١) من كلم أمير المؤمنين عليه السلام .

(*) صلاة الآيات ركعتان بعشر ركوعات .

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) الآيات ج . آية ، أي : علامة . ويقصد بالآيات : الخسوف والكسوف والزلزلة ، وكل
أخاويف السماء

عن أبي جعفر عليه السلام كل أخاويف السماء : من ظلمة أو ريح أو فزع ... فصل له
صلاة الكسوف حتى يسكن . الكافي ٤٦٤/٣ ، التهذيب ١٥٥/٣ ، الوسائل (كتاب
الصلاة) : ٤٨٤ .

وزلازلها^(١) وتكوير^(٢) الشمس ، والقمر ، وظلمة^(٣) القيامة ، ووجل الخلائق ، والتجاءهم واجتماعهم في تلك العرصة^(٤) ، وخوفهم من الأخذ والنكال ، والعقوبة والإستيصال ، وأكثر من الدعاء والإبتغال ، بمزيد من الخشوع والخضوع ، والخوف والوجل ، في النجاة من تلك الشدائد وردّ النور بعد الظلمة ، والمسامحة على الهفوة ، والزّلة ، وتب إلى الله تعالى من جميع ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس ، مطرق الرأس ، مستحي من التقصير فيقبل توبتك ويسامح هفوتك ، فإنّه يقبل القلوب المنكسرة ، ويحبّ النفوس الخاشعة والأعناق الخاضعة ، والتملل من ثقل الأوزار^(٥) . والحذر من منقلب الأضرار .

= وعن أبي عبد الله عليه السلام . صلاة الكسوف فريضة . المقيمه ٣٢٠/١ . التهذيب : ٢٩٠/٣ .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ . إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ . وقوله عروجل . ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ومه . تكوير العمامة ، وكورها : بمعنى لفها . وكورت الشمس . جمع ضوءها . ولُفَّ كما تلف العمامة ، وقيل . عورت ، أو اصمحت ودهبت . أو نزع ضوءها ، أو دهورت ، أو رمي بها . لسان العرب : ١٥٦-١٥٥/٥ .

(٣) إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فتعشاهم ظلمة شديدة . الأوبار النعمانية : ٢٧٨/٤

(٤) عن زين العابدين عليه السلام ، قال :

حدثني أبي عليه السلام ، أنه سمع أبا أمير المؤمنين عليه السلام ، يحدث الناس ، قال « إذا كان يوم القيامة ، بعث الله الناس من حفرة بهم ، جرداً ، مردأً ، في صعد واحد ، يسوقهم النور ، وتجمعهم الظلمة ، حتى يقفوا على عفة المحتر ، فيركب بعضهم بعضهم ، فيردحون دونها ، فيمنعون من المضي ، فتشتد أنفاسهم ، وتكثر عروقهم ، وتصيق بهم أمورهم ، ويستند صحيحهم ، وترفع أصواتهم .

قال . هو أول هول من أهوال يوم القيامة . أسرار الصلاة (ت) . ٢٤٠ .

للمرید ، أنظر : الأوبار النعمانية ٢٧٤/٤ - ٢٧٥ ، الإحياء : ٥١٣/٤ - ٥١٧

(٥) الأورار : ح . وزر . نعة الدب

في أسرار صلاة الطواف (*) :

وأما صلاة الطواف^(١) فاستحضر عندها جلالة البيت لجلالة رب البيت ، واعلم أنك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق ، والحكم بالحق ، فإنه وإن كان في جميع أحوالك ، مظلماً على سريرتك ، محيطاً بباطنك وظاهره ، لكن الحال في ذلك الموضع أقوى والمراقبة فيه أتم وأولى ، والغفلة ثم أصعب وأدهى ، وابن المقصّر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيه وبين النائي عنه ، والبعيد منه ؟ .

وإن كان علمه شاملاً للجميع ، ومحيطاً بالكل ، فليزد ذلك في خشوعك وإقبالك ، ولتحذر بسبب ذلك من إعراضك وإهمالك ، ومن ثم كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً ، والحسنة أيضاً فيها مضاعفة .

وتفكر في من سبق من الأنبياء^(٢) المقربين والأولياء^(٣) الصالحين ، فترى آثارهم وقربهم ، وما أورثهم علمهم وجههم من السعادة المخلدة ، والنعمة المؤبدة ، المجددة على مر الدهور ، والمطرودة على كر العصور، وتأس بهم في الأعمال وكمال الإقبال ، وليكن ذلك ونظائره مقدمة للصلاة، لا مقارناً فإن وظيفة الصلاة الأقبال بها خاصة . وترق^(٤) من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج .

(*) أنظر فضل الطواف في الكافي : ٤١١/٤ - ٤١٢

(١) ركعتان كصلاة الغداة ، خيرهما بين الركن والمقام .

(٢) وعلى رأسهم . إبراهيم ، خليل الرحمن ، أبو الأنبياء ، وإبى إسماعيل . وخاتم النبيين محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

(٣) كصحابية الرسول البررة الأخيار ، من مهاجرين وأنصار ، والسلف الصالح من المسلمين الأظهر

(٤) إشارة إلى الأحاديث . الصلاة مرقاة إلى الله تعالى . رسالة الحقوق ، الصلاة معراج

المؤمن . تفسير الأعلى : ١٤ ، أسرار الصلاة (ت) : ١٨٧ ، الصلاة قربان كل تقي ،

النهج : ٣٤/٤ . وتنسب للإمام الرضا عليه السلام . الفقيه : ١٣٦/١ ، مسند الرضا

١٥٧/٢ . وأصلها حديث بروي شريف . كنوز السنة . ٢٦٩

في أسرار صلاة الجنّازة(*)

وأما الجنّازة فاحضر عند مشاهدتها ووضعتها بين يديك ما قد خلفته من الأهل والأولاد ، وتركته من الأموال ، وقدمت على الله تعالى صفر اليد من الجميع ، لم يصحبها إلّا الأعمال الصّالحة ، وما تاجرته من أعمال الآخرة الرّابحة ، وتأمل بهجته كيف ذهبت ، وجلدته كيف تحولت ، وعن قريب يمحو التراب صورته ، وتأكّل الأرض هيّاته ، وما قد حصل له من يتم أولاده ، وترمل نسائه ، وتضييع أمواله ، وخلوّ مسجده ومجلسه ، وانقطاع آثاره بعد طول أمله ، وكثرة حيله وانخداعه بمواطاة الأسباب ، وغفلته عن الدخول في هذا التراب ، والقدوم على ما سطر عليه في الكتاب ، وركونه إلى القوّة والشباب ، وانشغاله عمّا بين يديه من الموت الذريع ، والهلاك السّريع ، وكيف كان يتردّد ويشيّع غيره من الأموات ، والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله ، وكيف كان ينطق ، وقد فسد لسانه ، وكيف كان يضحك ، وقد تغيرت أسنانه ، وكيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين ، في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلّا شهر أو أقل ، وهو غافل عمّا يراد به ، حتّى جاءه الموت فجأة في وقت لم يحتسبه فيه ، فقرع سمعه نداء الجبّار ، إمّا بالجنّة أو النار .

ولينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته ، وستكون عاقبته كعاقبته ، فلينهض حينئذٍ إلى الإستعداد ، وليشتغل بإكثار الرّزاد ، فإنّ المسافة بعيدة ، والعقبة كؤود ، والخطر شديد ، والندامة بعد الموت غير نافعة .

فهذا الفكر وأمثاله يحصّل قصر الأمل ، والإستعداد بصالح العمل ، ومحلّه خارج عن الصّلاة كما ترى .

(*) وهي عبارة عن خمس تكبيرات ، ينحللها تشهد ، وصلاة على النبي وآله ، واستغفار للمؤمن والمؤمنات ، ودعاء للميت ، ليس فيها ركوع ولا سجود ، بل قراءة فحسب ، ولا يشترط فيها الوضوء .

في أسرار صلاة النذر (*) :

وأما صلاة النذر والعهد ونحوهما، فليست شعراً قبولها، والرغبة في القيام بها والإهتمام بشأنها، وفاء لعهد الله تعالى، وامثالاً لأمره. ولا يتبرم^(١) بها توهُماً أنها ليست واجبة بالأصالة، فقد لحقت بمثلها في العظمة والجلالة، وليمثل في نفسه أنه لو عاهد ملكاً من ملوك الدنيا على عمل من الأعمال، بحيث يكون فعله له بمراى منه ومسمع، كيف يكون إقباله على عمله، واجتهاده في إصلاحه، واتقانه وامتلأ قلبه منه، ومراقبته لنظر الملك، بمجرد الوعد فضلاً عن توكيده بالعهد، فلا تجعل نظر الله تعالى دون نظر عبده، فإن ذلك عنوان النفاق، وأنموذج الشرك.

وهكذا يلاحظ وظيفة كل صلاة بحسبها ويقوم بمزيتها وآدابها ولا يقتصر على ما بيناه من الوظائف بل يترقى نظره إلى ما يفتح الله تعالى من المعارف، فإن أبواب الفيض مفتوحة، وأنوار الجود هابطة، ومبدولة، واصلة إلى النفوس الإنسانية، على قدر استعدادها.

وفقنا الله وإياكم لتلقى الأسرار وأدرجنا في عداد عباده الأبرار، وأخذ بنواصينا إلى رضاه ورحمته، وعاملنا بعفوه وكرمه ومغفرته، واستعملنا بما علمناه، وأشركنا في ثواب من أفدناه، فإن ذلك منه وبه وله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وها هنا نقطع الكلام في هذه الرسالة حامدين الله تعالى على كل حالة، وفرغ منها مؤلفها شيخ الإسلام والمسلمين، وقبلة المتعبدين أعلم العلماء العاملين وأكمل الفضلاء الكاملين، رئيس الفقهاء والمتكلمين، زين الملة والحق والسدين، الزاهد، العابد، الورع، الناطق بالحق

(*) قلما تعرضت لهذا الضرب من الصلاة كتبنا الصحاح إلا لماماً.

(١) البرم : الضجر والتأفف.

والصواب ، المؤيد من عند ربّ الأرباب ، الشيخ زين الدين بن علي بن
أحمد الشامي العاملي تغمّده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحه جنانه ، يوم
السبت تاسع شهر ذي الحجة الحرام سنة إحدى وخمسين وتسع مئة .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على محمد
 وآله الطاهرين .

- المراجع المعتمدة في تحقيق الكتاب -

- أ -

- (١) الآداب المعنوية (للصلاة) تأليف آية الله الخميني . تعريب الفهري . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١٩٨٦/٢ .
- (٢) الإتحافات السنية (بالأحاديث القدسية) : تأليف المناوي . تصحيح الزغبى . مؤسسة الرسالة . بيروت (دون تاريخ) .
- (٣) إثبات الوصية : تأليف المسعودي . دار الأضواء . بيروت . ط ١٩٨٨/٢ .
- (٤) إحياء علوم الدين . (الإحياء) : تأليف الغزالي . دار المعرفة . بيروت . (دون تاريخ) .
- (٥) الاختصاص : تأليف الشيخ المفيد . منشورات الأعلمي . بيروت : ١٩٨٢ .
- (٦) الأربعون حديثاً : تأليف بهاء الدين العاملي (الشيخ البهائي) . مخطوطة في مكتبتنا الخاصة .
- (٧) (كتاب) الأربعين (في أصول الدين) : تأليف الغزالي . المكتبة

- الأهلية . بيروت (دون تاريخ) .
- (٨) إرشاد القلوب : تأليف الديلمي . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١٩٧٨/٤ .
- (٩) أسرار الصلاة (ت) : تأليف جواد ملكي التبريزي . دار الأضواء . بيروت . ط ١٩٨٥/٤ .
- (١٠) الأعلام : للزركلي . دار العلم للملايين . بيروت . ط ١٩٨٤/٦ .
- (١١) أمالي الصدوق : للشيخ ابن بابويه القمي (الصدوق) . المكتبة الحيدرية . النجف . ط ١٩٦٦/٢ .
- (١٢) أمالي المفيد : للشيخ محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) دار التيار الجديد . بيروت . (دون تاريخ) .
- (١٣) الإيماء (على اشكالات الأحياء) : للغزالي . ملحق بالإحياء .
- (١٤) الأنوار النعمانية : للسيد نعمة الله الموسوي (النعماني) . طبعة تبريز ١٣٧٨ هـ .

- ب -

- (١٥) ألبیان والتبيين : للجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هرون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ط ١٩٨٢/٢ .

- ت -

- (١٦) التحرير الطاووسي : تأليف الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني . تحقيق ترحيني . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١٩٨٨/١ .

- (١٧) تحف العقول (عن آل الرسول) : تأليف ابن شعبة الحراني .
منشورات الأعلمي . بيروت . ط ٢ / ١٩٧٤ .
- (١٨) الترغيب والترهيب (مختصر) : انتقاء ابن حجر العسقلاني .
تحقيق الأعظمي . إحياء المعارف - بومباي / ١٩٦٠ .
- (١٩) تفسير الأعلى (مجموعة الرسائل) : منشورات مكتبة المرعشي
النجفي .
- (٢٠) التفسير الصوفي للقرآن . (المنسوب للإمام الصادق) . تحقيق
د . علي زيعور . دار الأندلس . بيروت . ط ١ / ١٩٧٩ .
- (٢١) تليس إبليس : تأليف ابن الجوزي . دار الكتب العلمية . بيروت
(دون تاريخ) .
- (٢٢) تنبيه الغافلين : تأليف السمرقندي ، المكتبة الشعبية . بيروت
(دون تاريخ) .
- (٢٣) تهذيب الأحكام . (التهذيب) : تأليف الشيخ المفيد . تحقيق
حسن خرسان . دار الأضواء . بيروت . ط ٣ / ١٩٨٥ .

- ث -

- (٢٤) ثواب الأعمال : تأليف الشيخ الصدوق . منشورات الأعلمي .
بيروت . ط ٤ / ١٩٨٣ .

- ج -

- (٢٥) جامع الرواة : تأليف الأردبيلي . دار الأضواء . بيروت : ١٩٨٣ .
- (٢٦) جامع السعادات : تأليف محمد مهدي النراقي . منشورات
الأعلمي . بيروت . ط ٤ .

- (٢٧) الجواهر السنية (في الأحاديث القدسية) : تألف الحر العاملي
مطابع النعمان . النجف : ١٩٦٤ .
- (٢٨) جواهر القرآن : تأليف العزالي . دار الآفاق الجديدة . بيروت .
ط ١٩٨٣/٥ .

- ح -

- (٢٩) الحقائق (في محاسن الأخلاق) للفيض الكاشاني . تحقيق قسم
التحقيق في دار البلاغة (محسن عقيل) . بيروت .
ط ١٩٨٩/١ .
- (٣٠) الحكمة الخالدة : تأليف ابن مسكويه . تحقيق د . عبد الرحمن
مدوي . دار الأندلس . بيروت . ط ١٩٨٣/٣ .
- (٣١) حياة الحسن العسكري : تأليف باقر شريف القرشي
(المخطوط) .
- (٣٢) حياة علي بن الحسين : تأليف باقر شريف القرشي
(المخطوط) .

- ر -

- (٣٣) رسائل الشريف المرتضى . طبعة قم : ١٤٠٥ هـ .
- (٣٤) رسالة روضة الطالبين (وعمدة السالكين) : تأليف الغزالي
(مجموعة الرسائل الفرائد) مكتبة الجندي . القاهرة (دون
تاريخ) .
- (٣٥) رسالة منهاج العارفين : تأليف الغزالي (مجموعة القصص

- العوالي (مكتبة الجندي . القاهرة (دون تاريخ) .
- (٣٦) الروض الفائق : تأليف الشيخ شعيب الحريفيش . دار الفكر . بيروت (دون تاريخ) .
- (٣٧) رياض الصالحين : تأليف أبي زكريا النووي (بعناية رضوان محمد رضوان) . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة . (دون تاريخ) .

- س -

- (٣٨) سر الصلاة (أو : صلاة العارفين) تأليف آية الله الخميني . تعريب الفهري . دار الإعلام الإسلامي . بيروت .

- ش -

- (٣٩) شرح كنوز السنة : وضعه د . ا . ي . فنسك . ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي . مكتب العالم الإسلامي . ١٤٠٤ هـ .

- ص -

- (٤٠) صحيفة الإمام الرضا : تحقيق محمد مهدي نجف . دار الأضواء . بيروت . ط ٢ / ١٩٨٦ .
- (٤١) الصحيفة الصادقية : تحقيق باقر شريف القرشي . دار الأضواء . بيروت . ط ١ / ١٩٨٩ .
- (٤٢) الصحيفة المهدية : جمعها الشيخ إبراهيم بن المحسن الكاشاني . دار الحوراء - بيروت . (دون تاريخ) .
- (٤٣) صلاة الخاشعين : للسيد دستغيب ، ترجمة السيد أحمد

القبانجي . دار التعارف للمطبوعات (بيروت) .

- ع -

- (٤٤) عدة الداعي (ونجاح الساعي) . تأليف أحمد بن فهد الحلبي .
دار المرتضى - الكتاب الإسلامي . بيروت . ط ١/١٩٨٥ .
- (٤٥) عجائب القرآن : تأليف فخر الدين الرازي . دار الكتب العلمية .
بيروت . ط ١/١٩٨٤ .
- (٤٦) علل الشرائع : تأليف الشيخ الصدوق . المكتبة الحيدرية .
النجف - دار إحياء التراث . بيروت . ط ٢/١٩٦٦ .
- (٤٧) عوارف المعارف : للسهروردي . دار الكتاب العربي . بيروت .
ط ١/١٩٦٦ .
- (٤٨) عيون أخبار الرضا : تأليف الشيخ الصدوق . منشورات الأعلمي .
بيروت . ط ١/١٩٨٤ .

- ك -

- (٤٩) الكافي : تأليف أبي جعفر ، محمد بن يعقوب ، مصورة طبعة
الأخوندي .
- (٥٠) كشف الرية (عن أحكام الغيبة) تأليف الشهيد الثاني . تحقيق
علي الخراساني . طبعة قم . ط ١/١٩٨٢ .
- (٥١) كشكول البهائي : تأليف محمد بن حسين (البهائي) منشورات
الأعلمي . بيروت .
- (٥٢) الكنى والألقاب : للشيخ عباس القمي . المطبعة الحيدرية .

النجف . ط ٣/ ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .

- (٥٣) كنز الفوائد : تأليف محمد بن علي بن عثمان (الكراجكي) .
تحقيق الشيخ عبد الله نعمة . دار الأضواء . بيروت . ١٩٨٥ .

- ل -

- (٥٤) لسان العرب : تأليف محمد بن مكرم (ابن منظور المصري) .
دار صادر . بيروت . (دون تاريخ) .
(٥٥) اللمع : لأبي نصر السراج الطوسي . تحقيق د . عبد الحليم
محمود - طه سرور . دار الكتب الحديثة في مصر : ١٩٦٠ .

- م -

- (٥٦) مصباح الشريعة : للإمام الصادق . منشورات الأعلمي . بيروت :
١٩٨٣ .
(٥٧) مصباح الهداية (إلى الخلافة والولاية) : تأليف آية الله الخميني .
مؤسسة الوفاء . بيروت . ١٩٨٣ .
(٥٨) مسند الإمام الرضا : جمعه عزيز الدين العطاردي . مؤسسة
الوفاء . بيروت . ١٩٨٢ .
(٥٩) معارج القدس : تأليف الغزالي ، دار الآفاق الجديدة . بيروت .
ط ٥/ ١٩٨١ .
(٦٠) معاني الأخبار : للشيخ الصدوق . منشورات الأعلمي . بيروت .
ط ١/ ١٩٨٤ .
(٦١) معاني بعض الأخبار : للشيخ الصدوق (مجموعة الرسائل)

منشورات مكتبة المرعشي النجفي .

(٦٢) المعجم المفهرس (لألفاظ القرآن الكريم) . وضعه محمد فؤاد

عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي .

(٦٣) مفتاح الفلاح : تأليف بهاء الدين العاملي . دار الكتب العراقية .

الكاظمية / ١٣٢٤ هـ .

(٦٤) المفردات (في غريب القرآن) تأليف الحسين بن محمد (الراغب

الأصفهاني) . تحقيق محمد سيد كيلاني . دار

المعرفة - بيروت . (دون تاريخ) .

(٦٥) المقصد الأسنى (في أسماء الله الحسنى) : تأليف الغزالي .

تحقيق د . فضل شحادة . دار المشرق . بيروت . ط ٢ / ١٩٨٢ .

(٦٦) مكارم الأخلاق : تأليف رضي الدين الطوسي . منشورات

الأعلمي : بيروت . ١٩٧٢ .

(٦٧) مكاشفة القلوب : تأليف الغزالي . دار الكتب العلمية . بيروت .

ط ١ / ١٩٨٢ .

(٦٨) من لا يحضره الفقيه (الفقيه) للشيخ الصدوق . تحقيق حسن

خرسان . دار الأضواء . بيروت . ط ٦ / ١٩٨٥ .

(٦٩) منهج الدعوات : تصنيف الشيخ حسين معتوق . ط ٢ / ١٩٨٦ .

(٧٠) منية المريد (في آداب المفيد والمستفيد) تأليف الشهيد الثاني .

دار الكتب الإسلامي . بيروت . ١٤٠٤ هـ .

- ن -

(٧١) نهج البلاغة (النهج) : للإمام علي . شرح محمد عبده . دار

المعرفة . بيروت . (دون تاريخ) .

- و -

(٧٢) وسائل الشيعة (إلى تحصيل الشريعة) - الوسائل - . كتاب الطهارة
والصلاة . طبعة الطباطبائي - الخوانساري ، الحجرية :
١٢٨٣ هـ .

المحتويات

كلمة الناشر	٥
مقدمة المحقق :	
الرجل (حياته ، سيرته ، آثاره)	٩
المكناب (دراسة وتحقيق)	٣١

أسرار الصلاة

مقدمة المصنف	٦١
في تحقيق معنى القلب	٦٥
في اعتبار حضور القلب في العبادة	٧٢
أسرار الطهارة والنجاسة :	٨٧

الفصل الأول

(في المقدمات)

أسرار الطهارة ومعناها	٩١
أسرار ستر العورة	٩٧
أسرار المكان	٩٩

أسرار الوقت	١٠٠
أسرار الإستقبال إلى القبلة	١٠٦

الفصل الثاني

في أسرار أركان الصلاة وآدابها (المقارنات)

القيام وأسراره	١١٣
النية وأسرارها	١١٧
تكبيرة الإحرام وأسرارها	١٢٠
دعاء التوجه : معناه وأسراره	١٢٢
القراءة : أسرارها ووظائفها	١٢٤
معاني القرآن وما يتعلق بها	١٢٧
قراءة القرآن	١٣٢
الركوع وأسراره	١٣٤
السجود وأسراره	١٣٦
التشهد وأسراره	١٤١
السلام وأسراره	١٤٣
تتمة الفصل (ختام الصلاة)	١٤٥
وظائف المصلي عقب الصلاة (التعقيب)	١٤٦
وظائف القاريء عند القراءة	١٤٩
سجدة الشكر	١٥٨

الفصل الثالث

منافيات الصلاة (الرياء والعجب)

الرياء وأقسامه	١٦٥
العجب وأقسامه	١٨٠

الخاتمة

البحث الأول

١٨٣	في جبر الخلل الواقع في الصلاة
١٩١	الدواء العملي للخلل

البحث الثاني

في خصوصيات باقي الصلوات

٢٠١	صلاة الجمعة وأسرارها
٢١٠	صلاة العيد وأسرارها ووظائفها
٢١١	صلاة الآيات وأسرارها
٢١٣	صلاة الطواف وأسرارها
٢١٤	صلاة الجنازة وأسرارها
٢١٥	صلاة النذر وأسرارها
٢١٧	المراجع
٢٢٧	المحتويات

طبع على مطابع مؤسسة الفجر
بجدة - الرياض - مكة

